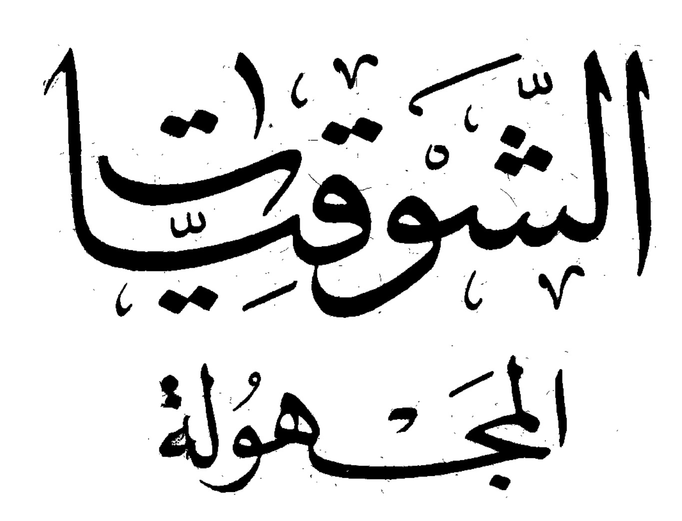


الشوقيات المجهولة

آثار شوقي

التي لم يسبق كشفها أو نشرها

دراسات وأضواء جديدة على حياة الشاعر وعصره وأدبه

الجزء الثاني

١٩٠٤ - ١٩٣٢

بقلم

الدكتور محمد صبري



دار المسيرة

بيروت

طبعة ثانية منقحة
١٣٩٩ هجرية
١٩٧٩ ميلادية

القسم الثالث

(١٩٠٤ — ١٩٠٨)

* * *

المؤيد والظاهر واللواء والجوائب المصرية فى ١٣ يناير سنة ١٩٠٤

نشرت هذه القصيدة فى الصفحة الثالثة مجللة بالسواد كأنها نعى وكان عنوانها : «من الفانى أحمد شوقى إلى صديقه الحميم الفانى المرحوم عبد المجيد رضوان[1]» .

عبـد المجيد لقيتَ من — ريب المنيـة ما سنلق
فى الكأس بعدك فَضلة — كل بكأس الموت يُسق
والشمس شاربة بها — يوما تضل عليـه شرقا
مارستَ كل الحق هل — صادفت غير الموت حقا
النفس فى عشق الحيا — ة تموت دون الوصل عشقا
والناس فى غمر الشقا — ء على اختلاف العمق غرقى
ليت المنـون حكمْتَ فى — تصريفها عدلا ورفقا
عجلت إليـك فغيَّبت — زين الشباب نُهى وخلقا

---

(١) عبد المجيد رضوان رئيس نيابة مصر مات فى سن الثامنة والثلاثين كان صديقا حميا لمصطفى كامل وزميلا لعلى فخرى وقاسم أمين وكبار رجال القضاء . مات بالسكتة القلبية فى يوم ٦ يناير سنة ١٩٠٤ . رثته جميع الصحف المصرية . قالت (اللواء) فى عدد ٩ يناير تحت عنوان (فقيد مصر) : «لم يعهد القوم حفلة جمعت من رجال القضاء والنيابة وكبار العلماء والنابغين فى كل علم وفن ما جمع الاحتفال بدفن الفقيد ... نودعك ولا ننساك أبد الدهر . نودعك وصورتك فى القلوب والخواطر . ومهما أسدل الظلام عليك من حجب فإننا نراك بالعيون والبصائر . نودعك ونسأل لذلك الأب الذى لم يذق للسلوان طعما والأخ الذى أذاب الحزن فؤاده والأهل والأقارب والخلان صبرا جميلا ونرجو للبلاد عوضا وإن كان الدهر بمثل الفقيد لا يجود » .

كان عبـد المجيد رضوان ينتظر الترقية فى عيد الجلوس (٨ يناير) . ولكنه علم قبل وفاته أن النائب العمومى الانكليزى (كور بيت) عارض فى تعيينه فى وظيفة أفوكاتو عمومى (الثانى بعد النائب العمومى) لأن عثمان مرتضى باشا وشى به لدى المستشار القضائى مكلريث وقال إنه صديق حميم لمصطفى كامل والخديوى . ولما التق آنئذ محمد باشا شكرى (مدير المنوفية أيام دنشواى) بعبد المجيد رضوان قال له الأخير : « هذه المسألة مش حتفوت على بخير » . وبعـد يومين مات الرجل كمدا .

الأرض فوقك مأتم　　جيب الفضيلة فيه شُقا

ماذا جنيت على أب　　شيخ بدمع ليس يرقا

منّيته فى ذا الشباب　　منًى فهلا كنّ صدقا

قد كان يرجو أن تعيش　　وكان يأمل أن سترقى

والمرء يسعَد بالبنين　　وفيك مُعتبر ويشقى

من للصغار الذائقين　　برغمهم لليتم رقا

ضَعُفُوا كأفراخ الحمام　　فمن لهم عطفا وزقا

من للقضاء تركته　　جزِعا ضعيف الركن قلقا

يبكى ويستبكى عليـ　　ـك المشتكِى والمستحقا

ثم حيث ضافك فى الثرى　　خَلْق وحيث تَضيف خلقا

إن التى جاورتها　　لم ترع للجيران حقا

عق الخلائق ظهرها　　وأظن باطنها أعقا

كل عليها زائل　　لاشىء غير الله يبقى

تهنئة بالعيد الكبير

لنابغة مصر شاعر الأمير

شجونى إذا جُنّ الظلام كثير ... يؤلبها عادى الهوى ويثير

إذا دهمت والليل من كل جانب ... فنومى قتيل والصباح أسير

مشت بجناح واهن من جوانحى ... ومالت على القلب الضعيف تُغير

فما ثار هذا الليل عندى وإننى ... أليف له فى جُنحه وسمير

إذا رقد الأحياء نادمت نجمه ... أدير له ذكر الكرى ويدير

ضعيفين لا نعطى حراكا على الدجى ... كلانا عليه مُقعد وعثور

نشدنا دفين الصبح فى كل ظلمة ... عليه كأنا منكر ونكير

يسائلنى الساقى أما لك نشوة ... لعلك رضوى أو عساك ثبير

تكاد تخف الكأس من نفحاتها ... وأنت على مر الكئوس وقور

فقلت عوادى الهم بينى وبينها ... تكاد تصد الكأس حين تدور

أتشغل قلبى الراح عن بعض ما به ... وأشغال قلبى لو علمت كثير

ومضطرب لا يهدأ الأيك تحته ... له مثل ما بى أنة وزفير

برى البين ظُفريه وأذهب ريشه ... وهد جناحيه فكيف يطير

يكاد يلين الجذع من زفراته ... وييبس منها الفرع وهو نضير

كلانا غريب فى المضاجع ليله ... طويل وليل العالمين قصير

أقول له والغُدر بينى وبينه ... ومن مدمعينا جدول وغدير (١)

يلوم أناس ليس يدرون ما الهوى ... لعلك دار يا حمام عذير

بعيشك خبرنى وإن كنت عالما ... هل الحب إلا جنة وسعير

أهنتُ عزيز الصبر فيك وخاننى ... إباء وفىٌّ فى الخطوب وفير

وما أنا من ينضو عن النفس شيمة ... ولكن سلطان الغرام قدير

خُلقت رحيم القلب آوى إلى الهوى ... وأنكر ضيف الحقد حين يزور

---

(١) الغدير النهر . و — القطعة من الماء يغادرها السيل ج غدر (بضم الغين والدال) وقد يخفف بالتسكين ، وغدران وأغدرة .

وما خذلتنى فى بـلاء بجيـة ... وبعض السجايا خاذل ونصير

ولا رمت إلا النفع للناس مطلبا ... ولا ارتاح لى إلا إليه ضمير

ومن يصحب الأملاك عشرين حجة ... يُجَمِّلهُ خُلُق فى الخلال أمير

سما بى مديح الكابر ابن محمد ... إلى حيث لا يبغى المزيد كبير (١)

تجلى على الأبصار والصبح فانثنت ... تباهى به شمس الضحى وتغير

وما استقبلت إلا ضياها تصيره ... دليل الهوى من نورها ويعير

أغر تحلى بالحياء وبالهدى ... فأعلاه نور والغضون نمير (٢)

⁂

فتى الهمة الشماء فضلك سابق ... وشعبك جاز بالولاء شكور

يروم رعاياك الذى نال غيرهم ... وأنت بتحقيق المرام جدير

جمعت الأداتين الشجاعة والحجى ... فكل عسير إن عزمت يسير

أتعلو علينا فى المشارق أمة ... وجدك دل الشرق كيف يسير

حباه حياة فى الحضارة جمة ... يشير إليها العصر وهو فخور

وقد ترفع الأوطانَ للنجم همةٌ ... ويُرجع قوما للحياة شعور

ويبعث نورُ العلم شعبا تضمه ... من المجهلات الحالكات قبور

ويمضى على حال ويأتى بضدها ... زمان ظروف كله وأمور

تعليق

علقت الصحيفة على هذه القصيدة فى نفس العدد فى مكان آخر قالت : "إنا أوردنا اليوم قصيدة شاعر الأمير وإن لم تخل من النسيب والتشبيب ملتمسين له ولنا العذر بأنه لم يجد لمولانا ومولاه الممدوح مايصوغه ويملأ به العيون ولم يشأ أن يكذب إلا فيما سجل القرآن الكريم على أمثاله الشعراء « ألم ترأنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون » . على أن مبادهته الأمير بحر ضميره وحر قوله فيها :

---

(١) نشرنا هنا بعض أبيات المديح لتحتفظ القصيدة بطابعها وربط أجزائها الاجتماعية والسياسية بعضها ببعض .

(٢) فأعلاه أى فأعلى الوجه . والغضون يقصد غضون الجبهة وهى تجاعيدها أو ثنايا يريد أنها صافية مشرقة كنمير الماء . قال شوقى فى قصيدة (أبى الهول) :

فيا رب وجه كصافى النمير * تشابه حامله والنمر

أتعلو علينا فى المشارق أمة ... وجدّك دل الشرق كيف يسير[1]

خباه حياة فى الحضارة جمة ... يشير إليها العصر وهو نخور

وقد ترفع الأوطان للنجم همة ... ويرجع قوما للحياة شعور[2]

أكبر شافع للواعظ لدى قرائه فى نشرها ، والتضوع بنشرها ، ففيه غلطة للامير نرجو أن يتدبرها فينفعنا بها ” .

نضيف إلى تعليق الواعظ أن قصيدة شوقى متينة الأسلوب جيدة السبك وقد خيل إلينا أننا نقرأ قصيدة أبى نواس التى يمدح بها الخصيب أمير مصر من طرف الرشيد، وكان قصده من بغداد :

أجارة بيتينا أبوك غيور ... وميسور ما يرجى لديك عسير

فإن كنت لا خِلماً ولا أنت زوجة ... فلا برحت دونى عليك ستور

وجاورت قوما لا تزاور بينهم ... ولا وصل إلا أن يكون نشور

فما أنا بالمشغوف ضربة لازب ... ولا كل سلطان علىّ قدير

وهى قصيدة طويلة وقد نظم البارودى قصيدة من وزنها ورويها :

تلاهيت إلا ما يجنّ ضمير ... وداريت إلا ما ينم زفير

وهل يستطيع المرء كتمان أمره ... وفى الصدر منه بارح وسعير

ومنها :

ألا فرعى الله الصبا ما أبره ... وحيا شبابا مر وهو نضير

إذ العيش أفواف ترف ظلاله ... علينا وسلسال الوفاء نمير

وإذ نحن فيما بين إخوان لذة ... على شيم ما إن بهن نكير

تدور علينا الكأس بين ملاعب ... بها اللهو خِدن والشباب سمير

---

(١) الاستفهام للتعجب ، والمعنى : — يا للعجب ! كيف تعلو علينا فى عهدك أيها الأمير أمة اليابان الشرقية فتناطح أكبر دولة غربية والحال أن جدك هو الذى دل الشرق بإقدامنا كيف يسير فى طريق الرق ، وكان من مقتضى ناموس الترقى أن تزيد فى عصرك علوا فكيف انعكس الحال وهوينا هذا الهوى (الواعظ) .

(٢) هذا البيت مرتبط بأول الثلاثة ، والمعنى : — ولكن لا عجب فبعض الهمم يرفع بالأمم إلى أعلى القمم وبعض الشعور يبعث فى الأموات روح الحياة ، يريد : إن علونا يتوقف على نمو الشعور فينا ووجود تلك الهمه فى الأمير ، فأما الشعور فحىّ يقظان بدليل قوله قبل هذه الأبيات « يروم رعاياك الذى نال غيرهم » وأما الهمة فهى موجودة ولكن فى صدر الأمير وهو بها ضنين بدليل « وكل عسير — إن عزمت — يسير » (الواعظ) .

وقصيدة البارودي طويلة أيضا وهى محكمة الصياغة متسقة متماسكة يجرى فيها من أول بيت إلى آخر بيت نفس عالٍ كما هو الحال فى القصيدتين الأخريين .

وقد نشرت (الواعظ) فى عدد ٢٥ مارس سنة ١٩٠٤ تحت عنوان (تهانى الأمير) ما يأتى : « أنشأ شاعر الأمة الجامع بين فضيلتى السيف والقلم والمتفرد بمزيتى النثر والنظم حافظ افندى ابراهيم قصيدة يهنئ بها سمو الأمير بغرة العام الجديد ننشرها مجردة عن المدح والإطراء ونقترح على الأدباء وأساة القريض نقدها ، والموازنة بينها وبين قصيدة شاعر النيل التى مطلعها « شجونى إذا جن الظلام كثير » انتهى .

قصيدة حافظ قسمان : القسم الأول يحتوى على ستة عشر بيتا أولها :

قصرت عليك العمر وهو قصير ... وغالبت فيك الشوق وهو قدير

وهى أبيات ضعيفة النفس والنسج . أما القسم الثانى وهو مؤلف من ثلاثة عشر بيتا فهو فى مجموعه جيد خالٍ من التكلف البادى فى القسم الأول وقد وجدت فيه نزعة حافظ الوطنية انطلاقها :

جرت أمة اليابان شوطا إلى العلا ... ومصر على آثارها ستسير

وما يمنع المصرى إدراك شأوها ... وأنت لطلاب العلاء نصير

فقف موقف الفاروق وانظر لأمة ... إليك بحبات القلوب تشير

ولا تستشر غير العزيمة فى العلا ... فليس سواها ناصح ومشير

فعرشك محروس وربك حارس ... وأنت على ملك القلوب أمير

وقد نشرت هذه القصيدة فى ديوان حافظ الذى طبعته وزارة التربية فى سنة ١٩٣٧ . ولعل هذه أول مرة يطبع فيها ديوان شاعر حديث طبعة علمية تؤرخ فيها القصائد وتذكر مناسباتها ، وقد توجد فيها بعض الأخطاء ولكنها نادرة مثال ذلك البيت الآتى من القصيدة التى نحن بصددها :

ولا يمنع المصرىَّ إدراك شأوها ... وأنت لطلاب العلاء نصير

وصحة البيت (وما يمنع المصرى ...) لأن ما هنا استفهامية وليست نافية . يقول ما الذى يمنع المصرى أن يدرك شأو أمة اليابان خصوصا وأن كل بعيد الهمة طامح فى طلب المجد لبلاده يجد لديك نعم العون والنصير . والبون ، كما ترى ، شاسع بين الصياغتين لفظا ومعنى .

(الظاهر) فى ١٧ مارس سنة ١٩٠٤

تهنئة برأس الهجرة

(١)

أصل هذه القصيدة ٣٧ بيتا اختار منها شوقى ١٩ بيتا ، هى أبيات الغزل الآتية ، وهى مُنشورة فى الجزء الثانى من ديوانه ص ١٤٦ — ١٤٧ :

روّعوه فتولى مغضبا أعلمتم كيف ترتاع الظِّبا

خُلقت لاهية ناعمة ربما روعها مر الصَّبا

لى حبيب كلما قيل له صدّق القول وزكّى الريبا

كذب العذال فيما زعموا أملى فى فاتِنى ما كذبا

لو رأونا والهوى ثالثنا والدجى يرخى علينا الحجبا

فى جوار الليل فى ذمته نذكر الصبح بأن لا يقربا

ملء برديْنا عفاف وهوى حفِظ الحسن وصنت الأدبا

يا غزالا أهِل القلب به قلبي السفح وأحنى ملعبا

لك ما أحببت من حبته منهلا عذبا ومرعى طيبا

هو عند المالك الأولى به كيف أشكو أنه قد سُلبا

إن رأى أبقى على مملوكه أو رأى أتلفه واحتسبا

لك قدّ سجد البان له وتمنت لو أقلّته الربى

ولحاظ من معانى سحره جمع الجفن سهاما وظبى

كان عن هذا لقلبي غنية ما لقلبي والهوى بعد الصبا

فطرتى لا آخذ القلب بها خلق الشاعر سمحا طربا

لو جلوا حسنك أو غنوا به للبيد فى الثمانين صبا

أيها النفس تجدّين سدى هل رأيت العيش إلا لعبا

جربي الدنيا تهن عندك ما أهون الدنيا على من جربا

نلتِ فى مانلت من مظهرها ومنحت الخلد ذكرا ونبا

(٢)

وهذا النص الكامل للقصيدة كما نشرتها (الظاهر) فى ١٧ مارس سنة ١٩٠٤ :

روّعوه فتولى مغضبا   أعلمتم كيف ترتاع الظبا
خلقت لاهية ناعمة   ربما روعها مر الصبا
لى حبيب أشبه الإنس بها   هل يخاف الله فيه الرقبا
كلما قيل له فى صبه   صدّق القول وزكى الريبا
كذب العذال فيما زعموا   أملى فى فاتنى ما كذبا
هل رأونا والهوى ثالثنا   والدجى يرخى علينا الحجبا
فى جوار الليل فى ذمته   نذكر الصبح بأن لا قربا
ملء برديتا عفاف وهوى   حفظ الحسن وصان الأدبا
يا غزالا أهل القلب به   قلبي السفح وأحنى ملعبا
لك ما أحببت من حبته   منهلا عذبا ومرعى طيبا
هو عند المالك الأولى به   كيف أشكو أنه قد سلبا
إن رأى أبقى على مملوكه   أو رأى أتلفه واحتسبا
لك قدٌّ سجد البان له   وتمنت لو أقلته الربى
ولحاظ عجب من سحرها   جمع الجفن سهاما وظبى
كل ما فيك مليح حسن   لا أعد الخصر فالخصر هبا

* * *

كان عن هذا لقلبي غنية   ما لقلبي والهوى بعد الصبا
فطرتي لا آخذ القلب بها   خلق الشاعر سمحا طربا
لو جلوا حسنك أو لو وصفوا   للبيد فى الثمانين صبا
أيها النفس تجدين سدى   هل رأيت العيش إلا لعبا
جربى الدنيا يهن عندك ما   أهون الدنيا على من جربا
نلت بى ما نلت من مظهرها   ومنحت الخلد ذكرا ونبا
أنا فى دنياى أو آخرتى   شاعر النيل وحسبى لقبا
أرد الكوثر إلا أننى   لا أرى الكوثر منه أعذبا

***

شرفا صاحب مصر شرفا	فتّ فى هذا المقام الشهبا
كيفما شئت تفرد بالعلى	نسبا آنا وآنا حسبا
أنت إن عد خواقين الورى	خيرهم جدا وأزكاهم أبا
أُنشر العرفان واجمع أمة	مثلت فى العالمين العربا
كل يوم آية دلت على	أن للعلم القُوى والغلبا
لو بنوا فوق السهى مملكة	لوجدت العلم فيها الطنبا
سُلّم الناس إلى المجد إذا	طلبوا سلمه والسببا
ربِّ بالهجرة بالداعى لها	بالذى هاجر ممن صحبا
إجعل العام رضا الإسلام أو	بلغ الإسلام فيه مأربا
وأَجِرْه منعما من أمم	كان رأسا حين كانوا الذنبا
حكموا فيه وفى خيراته	وغدوا أهلا وأمسى أجنبا
يا مراد الدهر من أعوامه	ما أتى من وفدها أو ذهبا
هو ذا العام وذى أيامه	جددا تهدى السعود القشبا
فز بها واحْيَ إلى أمثالها	عدد الساعات منها حقبا

(٣)

تعليـــق

يلاحظ من مقارنة النصين السابقين أن شوقى، وقد أعاد النظر فى شعره، لم يكن موفقا فى اختياره وفى بعض ما أدخله من تعديل وتبديل فى النص . فقد اكتفى بالقسم الغزلى وأسقط القسم الآخر من القصيدة الخاص بالعيد الهجرى مع أن أكثره من جيد الشعر ورصينه، كما أنه أبقى فى الغزل أبياتا سقيمة كقوله :

في جوار الليـــل فى ذمته ... نذكر الصبح بأن لا يقربا

وقوله (عن فؤاده) :

هو عند المالك الأولى به ... كيف أشكو إنه قد سلبا

وقـــوله :

فطرتى لا آخذ القلب بها ... خلق الشاعر سمحا طربا

هـذه الأبيات وأمثالها كان يجب تنحيتهـا عن الطبعة المنقحة كما تُنحى الفروع الميتـة عن الشجرة . ولا شك أن شوقى أحسن صنعا بتهذيب صياغته لبعض الأبيات كقوله فى مطلع القصيدة (روّعوه فتولى مغضبـا) بدلا من (ودعـوه ...) لولا أن كلمة (روع) مستعملة فى البيت التالى :

خلقت لاهيـة ناعمـة ربمـا (روّعها) مر الصبا

الضمير عائد على الظباء . ومثل هذا التكرار ينبو عنـه الذوق . وكان يحسن هنا أن يقول « ربمـا أفزعها مر الصبا » . ومن حسنات شوقى أنه أدمج البيتين الآتيين فى بيت :

لى حبيب أشبه الإنس بهـا هل يخاف الله فيـه الرقبا

كلما قيـل له فى صبـه صدّق القول وزكّى الريبـا

فقال : لى حبيب كلما قيـل له صدّق القول وزكى الريبـا

وقد أحدث شوقى تغييرا فى صياغة البيت الآتى :

ولحـاظ عجب من سحرها جمـع الجفن سهاما وظبى

فقال : ولحاظ من معـانى سحره جمـع الجفن سهاما وظبى

ولو أنه قال (ولحاظ من معـانى سحرها . جمـع الجفن ...) لجعل الضمير فى (سحرها) يعود على اللحاظ لكان ذلك أروع وأتم . ولعـل صحة البيت كذلك لأن الضمير فى سحره يعود على القد فى البيت السابق :

لك قـدّ سجد البـان له وتمنت لو أقلتـه الربى

ولحاظ من معـانى سحره جمـع الجفن سهاما وظبى

والمعنى لا يستقيم على هذا الوضع . وقد وفق شوقى فى تعديل البيت الآتى :

لوجلوا حسنك أو لووصفوا للبيد فى الثمـانين صبـا

فقال : لوجلوا حسنك أو غنـوا به للبيد فى الثمـانين صبـا

فنهض البيت بشطريه كما ينهض الطائر بجناحيه .

وقال يخاطب نفسه :

جربى الدنيـا تهن عندك ما أهون الدنيـا على من جربا

نلتِ(فى)ما نلتُ من مظهرها ومنحت الخلد ذكرا ونبـا

وأصل الشطر الأول من البيت الثـانى (نلتِ (بى) مانلتُ من مظهرها) وهـذا فى اعتقادنا هو النص الصحيح . وقد وضعت الفاء مكان الباء خطأ .

*
* *

القصيدة فى مجموعها لا تدل على اكتمال النضج عند الشاعر . على أن فيها أبياتا تهب منها نفحات شوقى الحكيم :

أيها النفس تجدين سدى ... هل رأيت العيش إلا لعبا
جربى الدنيا تهن عندك ما ... أهون الدنيا على من جربا

وشوقى الوطنى :

ربِّ بالهجرة بالداعى لها . ... بالذى هاجر ممن صحبا
اجعل العام رضا الإسلام أو ... بلغ الاسلام فيه ماربا
وأجره منعما من أمم ... كان رأسا حين كانوا الذنبا
حكموا فيه وفى خيراته ... وغدوا أهلا وأمسى أجنبا

هذا شعر كالماسة الكبيرة الصافية يتموج بالسحر ويتألق من كل جانب . فيه حلاوة القسم وتكراره فى البيت الأول و جمال الباءات الخمس وحسن الاستعطاف وعذوبة البيان والنغم : « رب . بالهجرة . بالداعى لها » . هناك هجرتان الأولى هجرة المسلمين فى صدر الاسلام إلى الحبشة فرارا من أذى قريش والثانية، وهى المقصودة هنا، هجرة نبى المسلمين والمسلمين قبله و بعده ومعه إلى المدينة . « بالذى هاجر ممن صحبا ... » . قد يكون المقصود النبى أيضا إذ هاجر فرارا من أذى القوم ممن صحب ... وقد يكون الكلام عن الأنصار وأولهم سيدنا أبو بكر الصديق الذى صحبه فى الغار .

والبيت الأخير رائع فإنه ، مع تناهيه فى الرقة والسهولة فى الاشارة إلى المحتلين والعادين على الاسلام، يحرك النيام و يستحث الهمم الراقدة منذ قرون (حكموا فيه وفى خيراته . وغدوا أهلا ...) .

انتقـــاد

(٤)

نشرت جريدة (الواعظ) فى عدد ٢٥ مارس سنة ١٩٠٤ تحت هذا العنوان نقدا لقصيدة شوقى السابقة . ولما كان هذا النقد لا يخلو من فائدة رأينا أن ننشره مع التعليق عليه :

”أعجب بعض كتاب الزمن الأخير بشعر شوقى إعجابا كبيرا وظنوه تنزيلا يوحى به إلى أحمد فغلوا فى وصفه بالبلاغة والإعجاز غلوا تخطى ما وراء المقبول وتعدى حد المعقول.

ولسنا نريد بذلك أن شعر شوقى بك كله سقط ولكن نؤكد أن أكثره لغط . وحسب القارئ دليلا أن نبين له بعض ما فى قصيدته من سقطات لا تغفر لأقل منه شهرة وأصغر منه مقاما . قال :

(روّعــوه فتولى مغضبــا   أعلمتم كيف ترتاع الظبا)

رواه اللـواء : ودعوه ، ولا معنى له . والترويع لا يناسبه الغضب وإنما يناسبه الفزع ، والجزع ، والفرَق وما فى معناها . والارتياع لا « يعلم » ولكن « يرى » فلو قال :

روعوه فتــولى فزعا . أرأيتم كيف ترتاع الظبا

لكان أحسن . غير أنه طلب التصريع « فحكمت عليه القافية » . ولو كان على شىء من اللغة لوجد فى الهرب والرهب مخرجا من حكمها . وقد يقال إن « علم » فى البيت بمعنى «رأى» . نقول وإنها هنا من الألفاظ المشتركة فى معان مختلفة لا يدرك السامع أيها أراد والإتيان بمثلها معيب . واشترط علماء القريض فى براعة المطلع أن تكون ألفاظه سالمة عما ينفر منه السامع . وفى البيت سبعة ألفاظ منها أربعة ينفر منهـا السمع ويجزع الفؤاد هى الترويع ، والتولى ، والغضب ، والارتياع . وعنـدى أن قوله « روّعـوه فتولى مغضبـا » والمقام مقـام تهنئة واستئناس بعام جديد أقبح من قول القائل : « لا تقل بشرى ولكن بشريان» . واشترطوا أيضا أن يكون أوّل الكلام مشتملا على إشارة لطيفة تبين مقصود الشاعر . وسمعت بعض خلصاء شوقى بك يذكر أنه أشار فى بيتـه إلى أن جنـاب اللورد كرومر روع سمو الخديوى المعظم باحتجاجه فى مسألة الرتب ، من حيث بذلها لغير الأكفاء حتى ابتذلت فتولى الجناب العالى إلى الاسكندرية مغضبا فإن صدق هذا القول كان مقصد شاعر الأمير الترزئة لا التهنئة وإن لم يصدق كان حقا على شاعر النيل أن يتحاشى مثل هذا التأويل .

تعليقات على النقد

هـذا النقد ينطوى على كثير من المبالغة والتعسف فليس أكثر شعر شوقى لغطا وليست هـذه القصيدة فى مجموعها من قصائده الجيدة وإن كانت بعض أبياتها فى منتهى الجـودة . ومعظم القصيدة من شعر الصناعة والتكلف ، شعر النسيب على طريقة القدماء . وظاهر أن النـاقد متحامل فى نقـده بدرجة أنه اخترع الاشارة إلى حكاية اللورد كرومر والرتب ونسبها زورا إلى بعض خلصاء شوقى بك . أما ادعاؤه أنه « لو قال شوقى :

روّعــوه فتولى فــزعا   أرأيتم كيف ترتاع الظبا

لكان أحسن » . هـذا صحيح لو كان « النظم » أحسن من « الشـعر » على أن الغضب إن لم يكن حالة من حالات الفزع فإنه صاحبه . جاء فى القـاموس غضب غضـبا ومغضبة : أبغضه مع حبه للانتقام منـه . وقول ثعلب « تغضب أحيانا على اللجام كغضب النـار على الضرام » كنى بغضب الخيـل عن عضها على اللجم كأنها إنمـا تعضها لذلك و بغضب النـار عن شدة التهابها .

* *

خلقت لاهيـة ناعمة ربمـا روعها مر الصـبا

قال : "يصف الظباء بأنها خلقت ناعمة البال رضية الحال . وهو خطأ محض لأنها لا تكون ناعمـة البال إلا إذا كانت آمنـة مطمئنة . والظباء على الدوام مروعة إن لم يكن من قانص يطاردها فمن وحش يطلبها . والشطر الثانى مسروق من قول القائل :

يذوب أن عبرت ريح الصبا فرقا ويختبي من أساس البيت فى البرم"

وتعليقنـا : القـول إن الظباء لا تلهو ولا تنعم لأنها مهددة على الدوام ! كالقول إن الإنسان لا يعيش ناعم البال ولا يلهو لأنه على الدوام مهدد بالأمراض والموت .

* * *

ثم ذكر الأبيات الخمسة التالية لمـا تقدم . وآخرها :

فى جوار الليـل فى ذمته نذكر الصبح بأن لا قربا

فقال : « لا مبالغة إذا قلنا إن معانى هذه الأبيات طرقها كل ناظم غير أن الشطر الثانى من البيت الثالث (الأخير) فى حاجة لعالم من علماء الزايرجة يكشف عن معناه » .

* * *

ملء برديـنا عفاف وهوى حفظ الحسن وصنت الأدبا

« الحسن أولى بالصـون . والأدب أحق بالحفـظ . والبيت مسروق من قول الشريف الـرضى :

بتنا ضجيعين فى ثوبى هوى وتقى يلفنا الشوق من فرع إلى قدم

* * *

يا غزالا أهـل القلب به قلبى السـفح وأحنى ملعبا

« لعله يريد أن قلبه « سـفح جبل » نزل به غزاله الذى يناديه وأن قلبه أحنى (من الحنو) ملعبا من السفح . ولعله فى ذلك ينظر إلى قول القائل :

الظبى يرتع فى الحشـيـ ـش وأنت ترتع فى الحشاشة

« فإن كان هذا فى تشبيه قلبه بسفح الجبل ما هو أدرى به منا ...

لك ما أحببت من حبتـــه منهـــلا عذبا ومرعى طيبا

« هذا البيت متمم لمعنى سابقه وهو عند علماء القريض من أقبح العيوب ويسمونه التضمين والمراد به أن يكون البيت مفتقرا إلى الثانى . ثم هو مسروق من قول الشريف الرضى :

ياظبية البان ترعى فى خمائلها ليهنك العيش إن القلب مرعاك

ولا ندرى كيف تكون حبة القلب منهلا يشرب ومرعى يؤكل فى آن » .

وتعليقنـا : لم يكن شوقى موفقا فى استعمال كلمة « السفح » التى أخذها عن الشريف الرضى بلا روية فى قوله :

ياليلة السفح الا عدت ثانية سقى زمانك هطال من الديم

وقد قال شارح الديوان إن « السفح » اسم موضع ... أما قول الناقد إن البيت الثانى متمم لمعنى سابقه وهو عند علماء القريض من أقبح العيوب فالواقع أنه لا تضمين هنا وأن البيت الأول ليس مفتقرا إلى الثانى وكلا البيتين مستقل وإن كان المعنى متصلا .

* * *

« هـو عند المـالك الأولى به كيف يشكو أنه قـد سُلبا »

« المـالك الأولى به » أسلوب غير عربى وهو تعبير فرنسوى محض فلعله مترجم .

وتعليقنـا : ليس هذا تعبيرا فرنسويا محضا ... إنمـا هو تعبير عربى ردىء .

* * *

« إن رأى أبقى على مملـوكه أو رأى أتلفـه واحتسبا »

« معنى البيت حسن جميل لو أدرك السامع أن « احتسب » فيه بمعنى « اختبر » ولكنه بعيد . أقرب منه حمل الاحتساب على المعنى المشهور وهو اعتداد المرء مصيبته فى ولده أو ماله من جملة بلايا الله التى يثاب على الصبر عليها ، وهو على هذا الاحتمال فاسد » .

وتعليقنـا : البيت حسن وجميل بشرط أن تُحمل كلمة « احتسب » على المعنى المشهور الثـانى وهو ما قصد إليه شـوقى . أتلفه أهلكه . والاحتساب طلب الأجر والاسم الحِسبة بالكسر وهو الأجر . واحتسب مملوكه أى احتسب الأجر عند الله بصبره على فقده وهلاكه لا سيما وأن الإتلاف هنا ليس هـو القتل المتعمد وانمـا هو إتلاف من طريق الصد أو الهجران الذى لا حيلة للمشوق فيه أحيانا .

* * *

فطرتى لا آخذ القلب بها   خلق الشاعر سمحا طربا

(يازوجة)

لو جلوا حسنك أو لو وصفوا   للبيد فى الثمانين صبا

أيها النفس تجدّين سدى   هل رأيت العيش إلا لعبا

« البيت الأخير حسن وجميل ولكن الشاعر انتقل إليه من الغزل طفرة فلم يحسن التخلص من فن إلى فن وهو عيب شائع فى شعره .

جربى الدنيا تهن عندك ما   أهون الدنيا على من جربا

نلتِ بى مانلتُ من مظهرها   ومُنحتِ الخلد ذكرا ونبا

« ذهل الشاعر عن قوله «أيها النفس تجدين سدى الخ» ،فرجع يقول : «نلت بى من مظهر الدنيا شيئا عظيما ومنحت الخلد فى الدارين بذكرى وخبرى » وفيه تناقض قبيح » .

تعليقنا : هنا بيتان سبقت الإشارة إليهما رائعان كروحى الطائر ولكن الناقد فرق بينهما فأضعفهما وأدال من حسنهما :

أيها النفس تجدين سدى   هل رأيت العيش الا لعبا

جربى الدنيا تهن عندك ما   أهون الدنيا على من جربا

* * *

«أنا فى دنياى أو آخرتى   شاعر النيل وحسبى لقبا»

«ومن هذا البيت سميناه شاعر الدارين اقتداء بالعرب فى تسمية كثير من الشعراء ببعض أقوالهم . ولسائل أن يسأل : أفى الآخرة شعر ؟ . نقول فيها ماتشتهى النفس . وشوقى يشتهى أن يكون بها شاعر الأمير

أرد الكوثر الا أننى   لا أرى الكوثر منه أعذبا

هذا هو الغلو الذى بغض الناس فى البديع وطوح بكثير من الشعراء إلى الكفر» .

* * *

«شرفا صاحب مصر شرفا   فت فى هذا المقام الشهبا»

كيفما شئت تفرد بالعلى   نسبا آنا وآنا حسبا

أنت إن عدّ خواقين الورى   خيرهم جدا وأزكاهم أبا

الحواشى من وحشى الألفاظ التى ينفر منها السمع . وفى البيت تفضيل لسمو الخديوى على جلالة السلطان . وما كنا لننبه عليه لولا قوله بعده :

أنشر العرفان واجمع أمة ، مثلت فى العالمين العربا

ثم يقول : كل يوم آية دلت على أن للعلم القوى والغلبا

لو بنوا فوق السهى مملكة لوجدت العلم فيها الطنبا

سُلّم الناس إلى أفقه [illegible] طلبوا سلمه والسببا

وتعليقنا : الأبيات الثلاثة الأخيرة كان يجب أن يذكرها الناقد بعد البيت المتقدم (أنشر العرفان واجمع أمة) لأنها تفسره وتزيده جمالا لا يدع مجالا للدس والتأويل ... وكل ما وجده الناقد فى الأبيات الأخيرة أن « فى البيت الأول « القوى » جمع ، والغلب مفرد ، وهو غير جائز عند البديعيين بالإجماع » . والذى نعلمه أن (الغلب) مصدر غلب ، وكذلك (الغلبة) له وقد يكون الغلب هنا [illegible] .

* * *

« رب بالهجرة بالداعى لنا بالذى هاجر ممن صحبا »

اجعل العام رضا الاسلام أو بلغ الاسلام فيه مأربا

وأجره منعما من أمم كانت الرأس وكانوا الذنبا

حكموا فيه وفى خيراته وغدوا أهلا وأمسى أجنبا

وفى البيت الثانى « أو » وهى تقتضى المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه ولا مغايرة هنا بينهما ، فإن المراد منهما واحد . وإن لم يكن واحدا فهى تقتضى أيضا عدم الجمع بين المعطوفين . وإذا كان غرض الشاعر القناعة للإسلام بأحدهما فقد قصر ، وفى كلتا الحالتين كان غنية عن البيت كله بنصفه . والنصف الثانى من لغوه .

وتعليقنا : هذه قطعة من الشعر الجيد ، كما سبق قلناه وبيناه ، ولكن الناقد لم يجد شيئا يقوله عنها سوى الإغراق فى « أو » والانشغال بها عن الجمال الذى يبدو فى موسيقاها وفى معانيها . ومثل هذا الناقد يجب أن يتدبر قول ابن الرومى :

قولا لمن عاب شعر مادحه أما ترى كيف ركب الشجر

ركب فيه اللحاء والخشب اليا بس والشوك بينه الثمر

وكان أولى بأن يهذب ما يخلق رب الأرباب لا البشر

والذى فات الكثيرين، ولا شك أن ابن الرومى قد فكر فيه وإن لم يفصح عنه، هو أن الشجر الذى يخلقه رب الأرباب جميل ، وأن العناصر المركبة فيه كالماء والخشب اليابس مؤتلفة وإن تفاوتت . وبعبارة أخرى إن بعض العناصر إذا نظر إليها على انفراد قد لاتبدو جميلة ولكنها فى مجموعها ألحان رائعة متناسقة تساعد على خلق موسيقى الجمال العام فى الشجر .

وبدلا من أن ينظر الناقد إلى جمال الشجرة لم يرمنها إلا الشوك والخشب . مع أن هذا الشوك والخشب ، الذى هو عنصر حياة ، هو أرضية اللوحة وفيها تتوهج نضارة الطبيعة وقدرة الخالق الفنان .

من مقال عن "ملوك الاسلام"

وجوقة الطرب المراكشية

« ماشقيت أمة بمن كانت ترجو السعادة من قيامهم على مصالحها شقاء المسلمين بملوكهم وأمرائهم منذ انقلبت شوراهم استبدادا.. هذا عبد العزيز سلطان مراكش يرى أمته خارجة عليه ويرى ويسمع ملأ أوروبا يأتمرون به ليستلوا ملكه ويستلبوا عرشه ... ثم هو لاه عن ذلك بشهواته وملذاته فى ركوب السيارة، ولعب المسادى (البليار) ، ومغازلة الغوانى ، واستيفاد المطربين من أقاصى البلاد .

وهذا السلطان عبد الحميد تتناهش أوروبا ملكه وهو يحاربها بالهدايا ، ويرد كيدها بالمآدب ويستميل الناقدين بالرتب والناقين بالنياشين ، ويقطع ألسنة الجرائد الأجنبية والمصرية عنه بما هو أحوج لإنفاقه على جنده و ... وعلى الدنيا السلام . وهذا أمير مصر تتآمر فرنسا وانكلترا ، أو تآمرتا وقضى الأمر، على أريكته وهو لاه عنها بمريوط يوما ، وإدفينا يوما ، والصحراء شهراً ، والسياحة فى أوروبا شهورا ، وحفلات الرقص ليلة ، وملاهى التمثيل لياليا . أولئك شاه العجم ، وأمير الأفغان ، وإمام مسقط ، وغيرهم كل منهم فى شىء يلهيه عما يكيد له أعداؤه . ولو أنهم تعارفوا تعارف ملوك الغرب وتحالفوا تحالفهم واشتغلوا بإصلاح شئونهم لكانوا أعز الملوك جاها .

قال شاعر النيل يذكر انغماس سلطان مراكش فى ملذاته ويذكره باتفاق انكلترا وفرنسا على إزالة نعمته وينبهه من غفوته ، وما أطرف ما قال وأبلغه حكمة لمن عقل :

قالوا الخليفة فى (فاس) أحق بها ... من فرع عثمان فرع الفضل والجود

فقلت إن صدقت دعواكمو التمسوا ... (خليفة الله بين الناى والعود)[1]

سر الخلافة ما قد بات صاحبه ... مابين(مرسى)و(شلهوب)و(محمود)[2]

وبين (سلطانة) لا بين سلطنة ... تلهيه عن كل تدبير وتسديد

(١) هذا تضمين لشطر من بيت لبشار . (٢) مرسى ، وشلهوب ، ومحمود ، وسلطانه من أسماء ثمانية الأشخاص الذين شخصوا إلى مراكش فى الوفد الموسيقى .

يامرخيا لهوى النفس العنان أفق ... واشفق على رمق باق به تودى

هلا نهاك اتفاق الدولتين غدا ... عن اتفاق مع القينات والغيد[1]

وقد عقبت الصحيفة على الأبيات بقولها : وإن مصر ومراكش فيما أشار إليه من اتفاق الدولتين لعلى السواء فحبذا لو بلغت آية أحمد شاعر الأمير مسامع الأمير فتدبر المخلص والمناص من هذا الاتفاق .

ثم قالت : « ليست أدواء الإسلام قاصرة على تلاهى الأمراء والملوك بمثل ما يتلهى به سلطان مراكش ، وربما كانت هذه الملاهى أقل تلك الأدواء ضررا لوقوفها عند حد الخصوصيات ، فقد قرر علماء العمرانيات أن شر أدواء الدولة اشتغال صاحب عرشها بالتجارة أو الصناعة أو الزراعة أو أى أمر فيه مزاحمة الراعى للرعية .

" وقد ابتليت مصر بهذا الداء . فلسمو الخديوى المعظم جوارٍ منشئات تجرى فى البحر والنهر لغاية الكسب . وله مزارع لا ينفك يسعى فى توسيع دائرتها ، ومتاجر من الحاصلات الزراعية ومصنوعاتها ، ووسائط لاستدرار الأموال متنوعة منها السكك الحديدية . ومن ذلك ما رواه اللواء الأغر فى يوم الأربعاء الماضى ومحصله : إن السكة الحديدية التى أنشأها سمو الجناب العالى بين الإسكندرية ومريوط عادت على سموه بالفائدة المالية الكبرى . ولهذا قرر إنشاء خط حديدى يمتد نحو تخوم طرابلس الغرب . ومن هذا الخبر الصغير يعلم القراء سر سياحة الجناب العالى فى الصحراء الشهر الماضى . . ومن هذا تعلم أن عنايته منصرفة إلى منافعه الخصوصية حسا ومعنى ، وأن فوائد البلاد العمومية ليس لها من اهتمامه العالى والتفاته السامى إلا نظر شزر " .

---

(١) نشرت (المؤيد) فى ٢٧ مارس سنة ١٩٠٤ الأبيات الستة المذكورة تحت عنوان (صدى جوقة الطرب وبامضاء (ش) . ونشرت الجريدة نفسها فى ٢٩ مارس افتتاحية عنوانها (السفارة الموسيقية . من مصر إلى مراكش) — بقلم « كاتب طائر الصيت » قال بعد الديباجة : « قرأت فى جريدتكم نبذة عن الوفد الموسيقى من مصر إلى فاس . ثم قرأت فى اليوم التالى هذه الأبيات (وهنا ذكر أبيات شوقى الستة) لشاعر مفلق سباق غايات . نساق آيات . عقاد ألوية الشعراء . نقاد أندية الأمراء — وجد الإسكندر فى ذخائر دارا صندوقا من الذهب ، مرصعا بالياقوت على أجمل شكل وأبدع صنعة كان لحفظ أعطار المغلوب . فسأل من حوله عما يصلح أن يوضع فيه فقال كل مقالته فأمر الملك الفيلسوف العسكرى بديوان شعر هوميروس فجاءوا به فوضعه بيده فيه — ولو سمع الإسكندر هذا الشعر لكان ثانى اثنين فى الصندوق فالملوك هم الذين يرفعون منار العلم والأدب وكفى بما فعله الإسكندر فخرا للشعراء مدى الدهور والأعصار » .

تعليـــــق

نشر المرحوم اسماعيل صبرى باشا بيتين فى عتاب السلطان عبد العزيز، قال :

يا آل مراكش وفد الغناء أتى ... من مصر يسعى لمولاكم على الراس

لا تنكروا نكتة فى طى بعثته ... فالعود أحسن مايهدى إلى (فاس)[1]

ونشرت جريدة (المؤيد) فى عدد ٥ ابريل سنة ١٩٠٤ أبياتا «لنابغة الشعراء محمد حافظ إبراهيم» يخاطب مولاى عبد العزيز سلطان المغرب إثر سفر جوقة الطرب المصرية إليه :

عبد العزيز لقد ذكرتنا أمما ... كانت جوارك فى لهو وفى طرب

ذكرتنا يوم ضاعت أرض أندلس ... الحرب بالباب والسلطان فى اللعب

فاحذر على التخت أن يسرى الخراب له ... فتخت (سلطانة) أعدى من الحرب

وقد نشر المؤيد فى نفس العدد للشاعر البليغ إمام العبد :

لاموا الفتاة وما سرت بطبولها ... إلا لتوقظ أمة نعسانه

لما رأت سلطانهم فى نشوة ... راحت تدير شئونهم سلطانه

إن الشعراء جميعا ضربوا على ذلك الوتر الحنان وتر أحمد ، فلم يستثيروا منه إلا الصدى الحاكى . . . ولا يزال الصوت الأول تهدر عذوبة ألحانه فى قلوبنا ، ويستولى شجاه على نفوسنا ، ويحييها ، ويميتها ، وينشرها ويطويها .

---

(١) قال الأستاذ أحمد الزين شارح ديوان (إسماعيل صبرى) : فى قوله : «العود» تورية ظاهرة عن عود الغناء وعود البخور ، كما أن فى قوله «فاس» تورية أيضا ، فهو إما نسبة إلى فاس عاصمة مراكش ، أو اسم فاعل لا يخفى معناه . وهو بهذا المعنى مناسب لعود البخور .

أدبيـــــات

« بين نابغة الشرق أحمد شوقى بك والصحافي الألمعي خليل افندى مطران رابطة متينة فى الولاء الشديد والود الأكيد ، وقد نمى إلى شاعر العصر أن خليله اشتبك فى مبارزة مع المسيو مانس محرر جريدة (الإجيبت) أدّت إلى خروج خليل افندى من بهرة الاقتتال مصابا ، فعز على شوقى بك أن يلبث حابسا لسانه الغرد عن نظم شيء من القريض فى صديقه الفاضل . والشاعر إذا انفعلت نفسه وتأثر قلبه جاش الشعر فى خاطره سريعا ، فما هو إلا القليل حتى طفق ينثر علينا من أزاهر نظمه هذه الباقة الجميلة التى رأينا أن ننشرها اليوم فى (الظاهر) ليتمتع بنضارة مرآها وطيب شذاها عشاق الأدب ومحبو القريض ، قال أعزه الله » :

أمَنْسُ إلى كم تضل السبيلا ... فُتنت وحيرت فيك العقولا
أبحت البراز بهذى البلاد ... وكان البراز بها مستحيلا
وتوشك تجعله ديدنا ... وتدعو الفضالى إليه فضولا
فلم تخش بالأمس رب اللواء ... ولا هبت رب القوافى خليلا
أمن أجل حادثة تنقضى ... بأدنى العتاب تدق الطبولا
وتدعو الشهود إلى الملتقى ... وتبعد والخصم عن مصر ميلا
وتطعن مطران فى أنفه ... وما أنف مطران شيئا قليلا
طعنت الأشم الأبىّ العيوف ... الأنوف السميك العريض الطويلا
طعنت الصحافة فى أنفها ... طعنت الرصيف الحصيف النبيلا
طعنت (الجوائب) فى ربها ... ولم تخش (جورجى) بها أو(مشيلا)
خليلَ مطران نلت الشفاء ... ولا ذقت بعد لمنس (دويلا)[1]
فأنت تهز صقيل اليراع ... ومنس يهز الحسام الصقيلا
وأنت المقدم فى بعلبك ... ومنس المقدم فى أهل (ليلا)[2]
ومالك فى السيف عند البراز ... فبارز رسائله والفصولا
وعلمه كيف يصول اليراع ... فتخجل منه الظبا أن تصولا

(١) دويل Duel كلمة فرنسية معناها البراز أو المبارزة .

(٢) إسم مدينة فى فرنسا .

ويا أنف مطران أنف الإباء … عزاء جميلا وصبرا جميلا
بكت لجراحك عينى دما … وفرض على دمها أن يسيلا
فإن شئت خذ نورها مرهما … وخذ هدبها للتداوى فتيلا

(الظاهر) فى ٢٣ أبريل سنة ١٩٠٤

أدبيـــات

« لشوقى بك كل يوم درة من بديع القريض يصوغها فى عقد الحكم والأمثال . وقد أتحف الأدب هذا اليوم بهذه الآيات البينات » :

لله فى نصرة اليابان حكمته … لا يُسأل الله عن فعل ولا شان
رأى اليهود أقاموا المال ربَّهمو … وآل عيسى أجلُّوه كديان
وقوم أحمد قد ضلوا شريعته … وضيعوا كل إسلام وإيمان
تفرق الكل فى أديانهم شيعا … وأحدثوا بدعا فى كل أزمان
فقال أنصر خلقا لا إله لهم … أنا الغنىّ عن العُبّاد سبحانى
لعل إيتو وتوجو والمكاد إذا … راموا الهدى عرفونى حق عرفانى

تعليـــق

فى ٤ أبريل سنة ١٩٠٤ نشر (المؤيد) « رواية الحرب بين الروس واليابان » وهى أرجوزة طويلة لأحمد الكاشف احتلت الصفحة الأولى من المؤيد وجزءا من الثانية . وفى ٦ أبريل نشرت الجريدة قصيدة حافظ الشهيرة (غادة اليابان) . وفى ٢٣ أبريل ظهرت أبيات شوقى الستة فى (الظاهر) فنسخت آيتها كل ما تقدمها . أبيات تجتمع فيها وتأتلف الحكمة والشعر والفلسفة فى أبهى مجاليها .

(الظاهر) فى ١٦ مايو سنة ١٩٠٤

« ذكرت جريدة (الجوائب المصرية) أن جرادة زارت إدارتها قبل أن تغادر بنات جنسها هذه العاصمة . وقد رأى نابغة الشرق شوقى بك أن يسجل ذكرى هذه الجرادة الجريئة فى صحيفة التاريخ فأنشد فيها » :

الخطر الأصفر

الخطر الأصفر فى اعتقادى	هذا الذى ندعوه بالجراد
كالقوم فى اللون وفى المبادى	يسير للغزو على استعداد
ويدخل القرى بلا ميعاد	مجتنب الإبراق والإرعاد
وهمه إن حط فى البلاد	طِلاب موت أو دِراك زاد
أبسل من عساكر الميكادى	أجود بالأنفس والأولاد
أفتك بالزرع من الحصاد	معتصم بحبل الاتحاد
فما مشى قط على انفراد	إلا التى من كَلَف مزداد
بدت لمطران بذاك النادى	وعذرها عند اللبيب بادى
هامت بما جدّ من الأمجاد	والعشق فى الطير كما العباد
فأقبلت والصبر فى نفاد	تسأله أين قِرى الأجواد
فقال ذا طرسى وذا مدادى	خذيهما لا تأخذى فؤادى

ثم اسكنى أباعدى بالوادى

* * *

قال :

عذال أهل الهوى فى الأرض لو جمعوا	رضيت جمعهم من عاذلى بدلا
لو تسأل الأرض عنه كيف تحمله	لقالت الأرض كيما أحفظ الثقلا

وقال أيضا :

يا مذنبا كل يوم نحو مغرمه	أذنب كما شئت قلبى عنك معتذر
ذهبت من عاذل قاس بداهية	فلست تعلم ما تأتى وما تذر

(المؤيد) فى ٢٤ مايو سنة ١٩٠٤

احتفال العروة الوثقى

نشر المؤيد فى ٢٤ مايو وصفا شاملا للاحتفال العظيم بأساس مدرسة محمد على الصناعية الذى أقامته بثغر الإسكندرية جمعية العروة الوثقى فى يوم ٢٣ مايو سنة ١٩٠٤ . قال: «توسط الجمع صاحب الدولة الوزير رياض باشا رئيس الحفلة . وفى الساعة الرابعة تماما بعد الظهر أقبل موكب الجناب العالى . واعتذر عن الحضور جناب اللورد كرومر . وبعد ما ألقى بعض التلاميذ والتلميذات خطبا تناسب المقام قام رياض باشا وألقى خطبة أثنى فيها على اللورد كرومر ونسب له وللاحتلال الفضل فى تطوير مصر الحديثة . وقد رد الخديو ردا تقليديا ثم انحدر إلى موضع الأساس حيث قدم له محمد بك سعيد (باشا) رئيس جمعية العروة الوثقى محضر الحفلة» . وهذه أبيات التاريخ التى وضعت مع المحضر فى أساس البناء :

يا عزيزا يسعى لعز الرعايا	فله تجزل الثناء الناس
إن آباءك الكرام بمصر	خير من مدنوا البلاد وساسوا
تلك آثارهم تدل مدى الدهـ	ـر عليهم كأنهم نبراس
أنت أحييتها وشاهد صدق	بالنوايا[1] الحسان هذا الأساس
ولسان السعود قد قال أرخ	خير دار بنى لنا العباس ١٣٢٢

وبينما كان الخديوى يضع الحجر الأول فى أساس المدرسة كان التلامذة ينشدون :

يا مليكا شاد فينا	مثل ما شاد الخليل
دمت مشكور المساعى	أيها المولى الجليل
كان إبراهيم يبنى	كعبة للصالحين
ولأنت اليوم تبنى	كعبة للصانعين
فلك القطر دواما	حافظ حق الجميل
فابن يا مولى وشيد	دار عز وافتخار
فهى كنز للرعايا	وحياة للديار
وستكسو مصر ثوبا	يبهر الدنيا جميل

والواقع أن أبيات شوقى التاريخية أحسن أجود نظما من أبيات النشيد . وعلى أية حال لم يكن لهذا المديح التقليدى أى صدى فى النفوس لأنه خلو من نبرة وجدانية . أما خطبة

(١) النوايا من استعمالات شوقى ولم أجدها فى المعاجم . ولا توجد إلا نية ونيات .

رياض فقد كان لها صدى بعيد وضجة كبرى . بدأ (المؤيد) ، وهو أكبر الصحف الموالية له ، الحملة على رياض فى افتتاحية عدد ٢٥ مايو . قال إن رياض « نسب كل تقدم ورقى فى البلاد إلى كرومر والاحتلال » . وفى عدد ٢٨ مايو ندد بأن رياض فى خطبته « رجا اللورد كرومر فى غيبته وفى حضرة الجناب العالى أن يتعهد مدرسة محمد على الصناعية بعنايته ورعايته مع أن الاحتفال والاكتتاب قبله موضوعان تحت رعاية الجناب العالى » . وقد شن اللواء والظاهر وغيرهما حملة شعواء على رياض وثنائه على المحتل المستبد بأسلوب غير حصيف . وهنا تحرك شوقى ليعوض ما فاته فى الحفلة . فنشرت له صحيفتا (الظاهر) و (اللواء) فى عدد ٦ يونية سنة ١٩٠٤ تحت عنوان (خاتمة رياض) قصيدة جليلة بلا إمضاء مطلعها :

كبير السابقين من الكرام   برغمى أن أنالك بالملام

والقصيدة تسعة وثلاثون بيتا وهى منشورة فى الجزء الأول من ديوانه (طبعة سنة ١٩٢٦) ص ٢٥٩ . وقد أخطأ ناشر الديوان فى قوله إن القصيدة « قيلت بعد خطبة رياض باشا فى ٨ يونية سنة ١٩٠٤ » ، لأن الخطبة قيلت فى يوم ٢٣ مايو والقصيدة نشرت فى ٦ يونية ، كما أخطأ الناشر فى قوله فى الهامش « إن رياض باشا كان خطب فى مدرسة محمد على الصناعية التى أنشأتها جمعية العروة الوثقى سنة ١٩٠٤ ، وكان اللورد كرومر عميد الدولة المحتلة حاضرا هذا الافتتاح فتملقه الخطيب إلخ » .

وقد اشتهر من هذه القصيدة قول شاعرنا :

خطبت فكنت خطبا لا خطيبا   أضيف إلى مصائبنا العظام

لهجت بالاحتلال وما أتاه   وجرحك منه لو أحسست دام

الشطر الأول (خطبت فكنت خطبا لا خطيبا) كنت أسمع الكبار يهتفون به فى كل مناسبة فى السنوات التى أعقبت القصيدة . ومن ناحية البيان ما أجمل جملة شوقى الاعتراضية (لو أحسست) فى قوله (وجرحك منه لو أحسست دام) .

ومن آيات وطنية شوقى قوله :

أحبك مصر من أعماق قلبى   وحبك فى صميم القلب نام

لأجلك رحت بالدنيا شقيا   أصد الوجه والدنيا أمامى

وانظر جنة جمعت ذئابا   فيصرفنى الإباء عن الزحام

الذئاب كناية عن المحتلين أعداء الوطن الذين ما فتئ شوقى يطاعنهم بيراع (أشد على العدو من الحسام) .

(الظاهر) فى ٢٢ مايو سنة ١٩٠٤

أدبيـــات

لأحمــد شــوقى بك

يا طيف من أهوى جعلت لك الفدا ... أكلاكما عن ناظـرى يغيب
عذر الحبيب هـو الرقيب عدمتـه ... قـل لى بعيشك هل عليـك رقيب

وله فى ثقالة الرقباء :

هجـرتك لا لأنـك جئت ذنبـا ... لك الحسـنات يذهبن الذنوبا
ولكنى رددت إلى رقيب ... يردّ عن الهوى العذرى القلوبا
فـلو وصـفوه (للجنون) قبـلى ... جفـا ليـلى وأوشـك أن يتـوبا

(الظاهر) فى ٩ يوليو سنة ١٩٠٤

لقد لامنى يا هند فى الحب لائم ... محب إذا عُـدّ الصحاب حبيب
فـا هو بالواشى على مذهب الهوى ... ولا هـو فى شرع الغـرام مريب
وصـفت له من أنتِ ثم جرى لنـا ... حـديث يهم العاشـقين عجيب
وقلت له صـبرا فكل أخى هـوى ... على يد من يهـواه سوف يتـوب

وقال والأصل فارسى :

أطيب العيش منزل ... فيه روض وجدول
وسـقاة أولـو نُهى ... وكؤوس تَنَقَّـل
ومغنٍّ وعازف ... وهَـزار وبلبـل
وحبيب يحبـنى ... ورقيب مغفـل

* * *

وقال نقلا عن جريدة أوربية والأصـل لشاعر يابانى يتهكم على الأميرال كيمورا الذى لم يأت بعمل فى البحر حتى الآن :

يودّ النـاس لو يدرو ... نَ ما أنتَ كيمورا
وما تصـنع بالأسطو ... ل مشحونا ومعمورا
فما أصبحت منصورا ... ولا أمسيت مقهورا

ولا دست على حوت ولا أغرقت عصفورا

ولم نسدر على البحـر جديدا عنك مأثورا

ولا أسمعتنا عنـك أحاديثا ولو زورا

ولا طاردت مفكوكا ولا ضايقت محصورا

فهل أسطولك الضخم على المـاء (شمندورا)

* * *

وبعث بهـذه الكلمة فى معـرض الشكر إلى صديقه الأمجد خليـل مطران صاحب (الجوائب المصرية) :

مطران أعطيت المكارم حقها ورغبتُ فى مائة بجدتَ بضعفها

فقبلتهـا وصـرفت فكرى تارة نحـو الثنـاء وتارة فى صرفهـا

وأنا الذى عرف الملوك وعف عن إحسان راحتهم وساكب عرفها

أنت السماحة يا خليـل بأصلها وبذاتهـا وبعينهـا وبأنفهـا (١)

---

(١) ظاهر أن شوقى كان اقترض مالا من خليل مطران فشكره بهذه الأبيـات . ويقال إن شوقى اقترض أيضا بعض المـال من أبو شادى صاحب الظاهر . أشارت (الصاعقة) إلى ذلك فى عدد ١٨ فبراير سنة ١٩٠٤ قالت فى كلمة نقـدية فكاهية لاذعة « تقترح الصاعقة على أدباء مصر فى هذا العصر أن يعثوا بتأويل هـذا البيت المسجل فى ديوان شاعر الأمير :

مولاى عبـدك طائع فافعل به ما أنت فاعل

ثم قالت تحت عنوان (أى النفسين أعلى) : « سأل أحد الأدباء أديبا أى بيت يفتخر به حافظ إبراهيم فأجاب قوله :

ويا يد ما كلفتك البسط مرة لذى منة أولى الجميـل وأنعما

فسأله أيضا وأى بيت يفتخر به أحمد بك شوقى فأجاب قوله :

قـد مسنا الضر فانظر فى حوائجنا لا مسك الضر يوما يا أبا شادى

الظاهر في ٢٢ أغسطس سنة ١٩٠٤

عام الكفء

نظم حافظ إبراهيم في سبتمبر سنة ١٩٠٤ قصيدته الشهيرة :

حطمت اليراع فلا تعجبي ... وعفت البيان فلا تعتبي

ونشر أحمد نسيم سلسلة من القصائد تحت عنوان عام الكفء في جريدة (الظاهر) سنة ١٩٠٤ بإمضاء (ا . ن) . وقد أطلق عام الكفء على قضية الزوجية الشهيرة التي كان لها ضجة كبرى في الرأي العام . كان الشيخ علي يوسف تربطه أواصر الصداقة بالسيد عبد الخالق السادات الذي ينتمي إلى بيت النبوة الطاهر . فخطب الشيخ علي ابنته صفية ، ورضيت الفتاة وسكت الأب . ولكن الشيخ علي عقد العقد في بيت البكري من غير علم الأب فثار الوالد ورفع الأمر إلى المحكمة الشرعية طالبا فسخ العقد لعدم الكفاءة في النسب . وادّعى الشيخ علي أنه من الأشراف ولكن المحكمة برياسة الشيخ أبو خطوة قضت بفسخ العقد في أغسطس سنة ١٩٠٤ وتأيد الحكم في محكمة مصر الشرعية الكبرى في أكتوبر .

قيل أن محمد المويلحي استحرض الشعراء والكتاب للكتابة في (عام الكفء) ليشفي غليله من (عام الكف) . والواقع أن (عام الكف) لم يتعد أثره الوسط الأدبي وقد لعب فيه الشعر الدور الأول وأما (عام الكفء) فقد اهتز له الرأي العام وكان للكتابة فيه المحل الأول : كتبت وقتذاك مقالات كثيرة في الفقه والشريعة والأنساب مع أن المسألة لم تكن تحتمل كل هذا الجدل . . وكانت جريدة (الظاهر) تقود الصحف في حملتها على صاحب المؤيد .

كتبت (الظاهر) : " وردت إلينا هذه القصيدة مع بريد الخارج "[1] .

قل للمؤيد ما دهاك ... يدك التي صفعت قفاك

فلم التفطرس والغرو ... ر ألست تذكر مبتداك

أيام كنت ولست تم ... لك كسرة لتسد فاك

تلج الثياب وكلها ... فرج يضيق لها سواك

فمن اليمين إلى اليسا ... ر إلى الأمام إلى وراك

---

(١) كان من عادة شوقي السفر إلى الخارج في صيف كل عام . وقد نشرت له (الظاهر) لصاحبها أبو شادي قصائد كثيرة بإمضاء (ش) . لذلك نعتقد أن القصيدة لشوقي وإن كانت سقيمة في بعض أجزائها . ويعارض الأستاذ طاهر حتى في نسبتها لشوقي ولكن الأستاذ الجديلي يقول لنا نقلا عن الأستاذ عباس الجمل إن القصيدة لشوقي . ويقول إنه سأل شوقي عن ذلك فأكد أن القصيدة له فقطعت جهيزة قول كل خطيب .

تبلى الرياح خطوطها ويزيد فى البلوى حذاك
تمشى الصباح إلى المسا ء عسى أخو برّ يراك
تغشى المنازل طالبا رزقا لشعر لا يُلاك
عافته أطلال الديا ر وبحله وادى الأراك
لم تنس ذلك كله - لم تنس جدك أو أباك
لكن غفلة أمة عبدت عجولا قبل ذاك
نسيت لك الماضى الذى لو قبل تبهت وجنتاك
حسبت خدائعك الفضا ئح والبساطة فى دهاك
خالتك هيكل حكمة تطوى المعارف فى رداك
والدين والوطن المفدى يشهدان على رياك
تصف الجلال والاحتلا ل ومن هنا أو من هناك
وتقول قلت وقال لى مولى تواريه ولاك
كذب وربك كله غش نصبت به الشباك
هى أكبرتك وعظمت تك فأجلستك على السماك
جمعت لك النسب الذى من قبل لم يعرف أباك
أضحى الوثير لك الوطا ء وصار من خز غطاك
حتى بطرت وآذنت عنك السعود بالانفكاك
فعلوت متن جهالة ووقعت تخبط فى عماك
بيت المؤيد هل علمـ ت بما جناه الشيخ (جاك)
كل الفضائح والقبا ئح مشرفات من ذراك
هلا انقضضت من الأسا س ورحت تبكى من بناك
فعليه شرع محمد قد سل سيفا للهلاك
يستل أعناقا تريـ د لحرية الدين انتهاك
أكفاك ياشيخ المؤيـ د ما جرى أم ما كفاك
حكم أذاقك مره عدلا وطعمه سقاك
بؤ حاملا غضب الذى قدر السقوط لأخرياك
سبحان من قسم الحظو ظ فلا ابتداك ولا انتهاك

(ش)

المؤيد في ١١ ديسمبر سنة ١٩٠٤

تهانى العيد [1]

يا ناعس الطرف نومى كيف تمنعه — جفنى تمنى الكرى بالطيف يجمعه
بينى و بينك سر لست مؤتمنا — عليه غير خيال منك أُطلعه [2]
له حفاظ ورأى فى مواصلتى — وأنت بالهجر يا غدّار تولعه [3]
ما ضر لو زار أجفانى ولى رمق — عساى بالرمق الباقى أشيعه
إن أنت لم تنعطف قلت لى رشا — يغار من طيفه السارى فيمنعه
يشكو إليك ويشكو منك منتحب — جرى دما من مغانى السهد مدمعه [4]
إن جنّه الليل أدمت خدّه يده — وانهدّ من سورة الأشجان مضجعه
أبكى الصِباء رخياً من أعنته — جرى بنا لمدى اللذات يقطعه [5]
صبا الفؤاد على آثار كبوته — إلا أمانىّ لا تنفك تخدعه
إذا تمثلته فى اللب طار له — و رفرف القلب حتى خفت يتبعه [6]
أقول للنفس عنه لا أعاللها — مضى به زمن هيهات يرجعه
إذا صبا المرء ولى غير مرتجع — فما له بالتصابى لا يودعه
أجدّ للهو أثوابا وأخلقها — وموضع المجد من بردىَّ موضعه
طلبته يافعا حتى ظفرت به — والمجد يجمل فى الفتيان موقعه
فى الغرب مغتربا والشرق ملتفت — مشنّف بحفيظ الدر مسمعه [7]
كن كيف شئت وخذ للعلم حفلته — فما وجدت كعلم المرء ينفعه [8]
والشعر بالعلم والعرفان مقترنا — كالتبر زدت له ماسا ترصعه
فإن جمعت إلى حظيهما خلقا — فذلك الحظ إن فكرت أجمعه

---

(١) هذه القصيدة ٣٦ بيتا أسقطنا منها المديح . وهى فى بحر وروى قصيدة ابن زريق الشهيرة (لا تعذليه فان العذل يولعه) . وفى أبيات شوقى مسحة من الحزن على الشباب والأيام التى كان يطلب فيها العلم . (٢) أطلعه عليه .
(٣) يخاطب المحبوب بقوله (يا غدار) وهذا لفظ غير موفق . (٤) مغانى السهد هى العيون وهذا تعبير رائع .
(٥) الصبا بالكسر الشوق ولا مبرر هنا لمد المقصور وكان فى وسعه أن يقول "أبكى الشباب" . وصبي الرجل يصبي صباء بالفتح فعل فعل الصبي ولعب مع الصبيان ، ولعله المقصود هنا . (٦) أجاد شوقى هنا تصوير الحنين إلى زمن الصبا والصباء . (٧) إشارة إلى ما كان ينظمه من شعر فى أوقات اغترابه ودراسته . يقال "تقلدت بحفيظ الدر" أى بمحفوظه ومكنونه لنفاسته . شنف الجارية وأشنفها : جعل لها شنفا وقرطها به فتشنفت أى اتخذته وتقرطت به . وشنف كلامه وقرطه : جلاه . (٨) رجل ذو حفل وحفلة أى مبالغ فيما أخذ فيه يريد هنا المبالغة فى الاهتمام بالعلم .

تهنئة برمضان

هذه القصيدة مؤلفة من ٤٣ بيتا . وقد اجتزأنا بنشر القسم الأول منها الذى لا علاقة له بالمديح (باستثناء بيت مديح واحد) . ويلاحظ أن شوقى خرج عن عادته المألوفة فى التمهيد للمديح بالنسيب :

بعدت ديار واحتوتك ديار	هيهات للنجم الرفيع قرار
ضجت عواد بالبراح روائح	وشكا حديد سابح وبخار [1]
بالأمس تصدر عن فروق صاديا	واليوم يوردك الشآم أوار [2]
زعموا المسافة ليلة ونهارها	ما الدهر إلا ليلة ونهار
سِر وأسْر فى طول البلاد وعرضها	إن الأهلة دأبها الأسفار
والأرض أوسع والعجائب جمة	والعمر أضيق والسنون قصار
يا راكب الدأماء يزجى فلكه	رُحماك هل للفلك عندك ثار
مأسورة أبدا تروح وتغتدى	وهلاكها فى أن يفك إسار
حازت نفوس العالمين وحازها	ضمن الجوارى صاحب غدار [3]
همت وجرأها على تياره [4]	أن الأمور جميعها تيار [5]
تجرى مؤمّنة السبيل زمامها	لطف الجليل وحصنها المقدار
فى قلّب [6] ما للرفاق وسيلة	فيه ولا لهمو عليه خيار
بينا مودّته على أكبادهم	برد إذا هى فى الجوانح نار
ما زلت أعرض فى الضمير لآلئ	وأغيره [7] بنظيمها فيغار
والفلك يرقص والرياح عوازف	والليل ليل والعباب مثار
حتى نزلت باكرين [8] إلى القرى	متهللين كأنهم أقمار

(١) البراح المكان الذى لا سترة فيه من شجر وغيره والعوادى يقصد الرياح . (٢) الأوار حر النار والشمس والعطش كالصدى . وفروق الاستانة . (٣) الجوارى السفن . والغدار يريد البحر . (٤) التيار من تار البحر يتير تيرا نا تعاظمت أمواجه وهاج . وهو موج البحر الذى ينضح ومنه "كالبحر يقذف تيارا بتيار" . (٥) التيار الثانية كما فى قوله "قطع عرقا تيارا" أى سريع الجرية . (٦) قلب متقلب (البحر) . (٧) أغير من أغار الرجل حمله على الغيرة . (٨) الباكر من بكر إليه بكورا أتاه بكرة . والقرى البلاد أو الضياع . ولعل الشاعر يقصد القرى (بكسر القاف) وهى نار الضيافة .

سبقت إلى السارى الصباحَ وجوههم — تندى ويحمد عندها الإسفار[1]
قوم هم العرب الكرام تمخضت — مضر بهم فى شرخها ونزار[2]
نزلوا بلبنان الأشم ونقلوا — فيه المكارم حيث سار الجار
لبنان يا ملك الجبال تحية — رقت وأزلفها لك الإكبار
(عاليه) تحملها إليك و(صوفر) — ومناهل بالجنتين غزار
من نازح الدار التقى بك داره — ساح الأكارم للكريم ديار
خلّ الأحبة والمآرب خلفه — وإذا الأحبة فيك والأوطار
للواردين على رياضك أعين — من فضة أهدابهن نضار
سال الفرات بها وقام كأنه — دمع السرور لو أنه مدرار
ليت الزمان أجار من أحداثه — قطرين بينهما هوى وجوار
أخذ المحبة من (على) وابنه — وعلى الهوى تتألف الأفكار

* * *

المرأة زهرة الحياة الباقية

نشرت (مجلة سركيس) فى عدد أوّل نوفمبر سنة ١٩٠٥ تحت هذا العنوان ما يأتى :
أتحفنى سعادة شوقى بك شاعر الأمير بهذه الأبيات وهى تعريب أبيات فرنسية للشاعر سيلفيستر[3]، قال أعزه الله :

تزول محاسن الأشياء لكن — موات جمالها يحيى لديك
إذا رحل الشقيق أقام شىء — على شفتيك منه ووجنتيك
وتحتجب السواسن غير زاهى — جبينك للعيون ومعصميك
وهذا الجو يُخمد كل برق — ويعجز دون بارق مقلتيك
وروحك مركز للطف طرّا — فكل اللطف مرجعه إليك
إذا فنيت زهور أو نجوم — وزايلها[4] البهاء بدا عليك
أعار الحسن وجهك كل نور — وأودع كل طيب مفرقيك

---

(١) الإسفار (بكسر الهمزة) من أسفر الرجل دخل فى أسفار الصبح . (٢) الشرخ الأصل والعرق وأول الشبيبة .
(٣) هو بولس أرمان سيلفستر Paul-Armand Silvestre (١٨٣٧ — ١٩٠١) شاعر أديب نشر ديوانه الأول فى سنة ١٨٦٢ بمقدمة للكاتبة الشهيرة جورج ساند ثم أصدر دواوين أخرى بعد ذلك . ويمتاز شعره بعذوبته ورقته المتناهية . وقد اشتهر برواياته وحكاياته الساخرة . (٤) زايلها : فارقها .

شــوقى بك فى الكليــة

« علم القــراء ممـا كتبناه أن شاعر الأمير و بلبل مصر الغريد وقف خطيبا وشاعرا فى الكلية الأمريكية حينما كان فى بيروت . وقد نشرت مجلة سركيس[١] أمس تلك الخريدة الفريدة بل السلك الدرّى » :

مدينــة العــلم أم دار مبــاركة ... أم معبد من جلال العلم أم حرم

أم أدركت أمرِيكا وهى محسنة ... أن المعارف فى أهل النهى ذمم

بَنَتْ ببيروت دار العــلم جامعة ... نعم البناء ونعم الحصن[٢] والهــرم

فيها الضيوف لواء العــلم ظللها ... يا حبذا الجيش بل ياحبذا العلمَ

جند الخليفة تمت من نجابتهم ... لملكه الآيتــان السيف والقــلم

وكم لرب الندى عبد الحميد يد ... فوق الثنــاء ولو أن الزمان فــم

خليفــة الله أبقى الله دولتــه ... يحفهــا العــز والإكبار والعظم

كلية الشرق إن الشرق مفتخر ... يعلى مكانك فيه العرب والعجم

فكل باب كباب القدس مستَبَق ... وكل ركن كركن البيت مستلم

أقلُّ حقِك أن تُطوى زواخره ... إليك سبحا إذا لم تسعف القدم

لا زلتِ نورا لأهليه ولا عدمت ... وئامها عنــدك الأديان والأمم

أتيتهم من طريق العلم فانتبهوا ... والناس أيقظ ما كانوا إذا علموا

شبيبة الشرق فى دار العلوم به ... الشرق من جدّكم جذلان يبتسم

حالَ تحــول وأيام مداولة ... وأبؤس تتــوالى إثرها نعم

مالى وللنصــح للإخوان أبذله ... إن النصوح و إن أصفاك متهم

ثلاثة نال نعمي الخلد مدركها ... الله والعــلم والتــاريخ فاغتنموا

---

(١) قالت مجلة سركيس فى عدد ١ نوفبر سنة ١٩٠٥ «فى شهر أكتوبر سنة ١٩٠٥ وصل شوقى إلى بيروت موفدا من الخديوى لمرافقة البرنس محمد على إلى الجامعة الأمريكية . وفى ١٠ أكتوبر ذهب الأمير وشوقى إلى الجامعة فاحتفلت بالشاعر فى ناديها الكبير ثم ألقى الأستاذ داوود أفندى قربان قصيدة شوقى بك» .

(٢) أراد بالحصن قلعة بعلبك .

(الأمة) فى ديسمبر سنة ١٩٠٥

عيد الفطر المبارك

هذه قصيدة مديح وتهنئة ، سلسة الأسلوب ، مشرقة الديباجة لا عيب فيها إلا أنها من شعر (المناسبات) . على أن فى البيت الأخير منها تكفيرا عن المديح كله :

أثمنى يدا خلقت للقبل ... فمن نالها بالسماك اتصل
أقبلها قبلة للجلال ... وأخرى لنائلها المرتجل
تضاءل عن جودها حاتم ... ونالت من الحمد ما لم ينل
وكم فى الجديد من الطيبات ... وإن ضربوا بالقديم المثل
تجدد فى الناس آى المسيح ... تميت القنوط وتحيي الأمل
إذا منعت ، فضلها سابق ... وإن منحت . فضلها لم يزل
وطالع شاكرها المشترى ... وطالع كافرها فى زحل (١)
علمت ويعلم من فى الوجود ... إذا قال مولاى قولا فعل
أخو عزمة وعده والوعيد ... هما الرزق فى سيره والأجل
تمر الوعود كمر السحاب ... ووعدك كالبحر يمشى المهل
يعم العباد ويغشى البلاد ... إذا الغيث فى أرض قوم نزل
ويارب ريث أفاد الجزيل ... إذا ما أفاد اليسير العجل
أمولاى إن تك أكرمتنى ... بجميلك من قبل عندى وصل
وفضل أبيك على كاهلى ... وعن بر جدك بى لا تسل
وأنتم بناة العلى بالنوال ... وآونة بالظُّبَى والأسل
أحاديثكم ملء سمع الزمان ... إذا ما حديث الكرام انتقل
طلعتم على الشرق كالنيرات ... فزنتم سماواته من عطل
هنيئا لك العيد والتهنئات ... من العصر أملا كه والدول

---

(١) لعل صحة البيت :

وطالع كافرها المشترى ... وطالع شاكرها فى زحل

لأن المشترى كوكب نحس . أما زحل فهو مثل فى العلو والبعد ومنه قول المتنبى :

وعزمة بعثتها همة زحل ... من تحتها بمكان الأرض من زحل

وعشـت لأمثال أمثاله إليـك الهنـاء ومنـك الجذل
خصيب الرحاب رهيب الجناب إذا ما أمرتَ الزمان امتثل
ويا لطّف الله بالمسلمين وكان لنا العون فيما نزل[1]

(١) كانت أوربا فى ذلك الوقت لا تفتأ تثير القلاقل فى الدولة العلية وتحرض العناصر المسيحية عليها لإضعافها . وقد نشرت (الأمة) فى نفس العـدد الذى ظهرت فيه قصيدة شوقى مقالا تحت عنوان (إنما ينتقمون من محمد) جاء فيه : « ما معنى تهـديد عرش الخلافة الإسـلامية لأقل حادث يحدث فى داخليتها بدسيسة من ساستها ؟ إذا كان اهتمامها الأخذ بيد الضعيف والانتصار له من القوى ، فما معنى عدم تدخلها فى حوادث روسيا ومذابحها المريعة التى ظهـرت أهوالها ضـد شعب حىّ ألا وهو الشعب الاسرائيلى الذى رزئ فى ظل القيصر بأرزاء مؤلمـة أفضت به إلى التلاشى والهجرة ... » .

كانت مصر دائمـا وممـالك الشرق تنتصر للظلوم ضد الظالم ، ضد روسيا القيصرية وأوربا ، وتعصبهما ، واضطهادهما للدولة العلية والإسـلام . وقد نددت مصر باضطهاد إسرائيل ، وها هى إسرائيل تتألب على مصر والشرق مع أوربا الغربية وتطارد العرب فى أوطانهم وديارهم .

حوالى سنة ١٩٠٥

الرقيب على الصحف

كتب الفيكونت فيليب دى طرازى فى الجزء الثانى من (تاريخ الصحافة العربية) فصلا عن الصحافة العثمانية جاء فيه (ص ٧) ما يأتى :

« . . فلما اعتلى عبد الحميد الثانى أريكة الدولة العثمانية (١٨٧٦) كانت الصحافة مطلقة الحرية تنشر الأنباء على علاتها ، وتنتقد أعمال الحكومة ومأموريها حتى أنها لم تشفق على السلطان نفسه . وناهيك أن جريدة الجوائب فى الآستانة ، وصحف الجنان والجنة والبشير والتقدم وثمرات الفنون فى بيروت كانت بلا أدنى خوف تنشر المقالات الضافية عن مواقع الخلل فى تركيا ، بل إنها كتبت صريحا عن مقتل الوزراء فى دار الخلافة ، وذكرت خلع السلطانين عبد العزيز ومراد الخامس عن سرير الملك ، وأذاعت خبر انتصار الروس سنة ١٨٧٧ على العساكر العثمانية . غير أن السلطان عبد الحميد الذى لم يكن يهمه من كل أمور السلطنة إلا صيانة حياته ، خشى سوء العاقبة من دولة الجرائد وصولة كتابها ، فأصدر أمرا بتقييد حريتها ، وضيق عليها المراقبة حتى صارت جسما بلا روح . فما كانت تنشر سوى ما يطلب السلطان المشار إليه من ألفاظ التفخيم والتعظيم والتمجيد فى مدح عدالته الموهومة ، على رغم مظالمه واستبداده ، وسوء إدارته التى كادت تجر الخراب على المملكة لولا لطف البارى سبحانه . .

«ومن ألطف الأقوال فى وصف مراقب الجرائد فى تركيا ما نظمه (أحمد شوقى) شاعر خديو مصر بهذا المعنى :

لو ابتلى الله به عاشقا — مات به لا بالجوى والوله

لو دام للصحف ودامت له — لم تنج منه الصحف المنزله

لو خال «بسم الله» فى مصحف — تغضب تحسينا محا البسمله»

هذا ما ورد فى كتاب (فيليب دى طرازى) . وقد جاء فى كتاب (الآداب العربية فى القرن التاسع عشر سنة ١٩١٠) لمؤلفه الأب لويس شيخو فصل عن الحماسة الدستورية كان كتبه بعد إعلان الدستور فى تركيا . تكلم الأب شيخو فى هذا الفصل عن حرية الصحافة فى العهد الحميدى ثم قال : «وتفكه آخرون بمراقبى الصحافة والمطبوعات فقال شيخ شعراء المصريين شوقى بك :

لنـا رقيبٌ(١) كان ما أثقـله   الحمـــد لله الذى رحـــله

(١) كان مراقب الاستانة من أشد المراقبين قسوة وحربا على حرية الرأى . وكانت رقابته تشمل جميع الرسائل والبرقيات التى ترسل إلى الصحف الأجنبية . وقد اضطرت سياسته التعسفية الأحرار من سوريين وعرب إلى الهجرة من العاصمة التركية وغيرها من عواصم الدولة إلى مصر وباريس للدفاع عن معتقداتهم ومذاهبهم السياسية . وكان بعض ولئك أمثال الصابونجى وسليم سركيس وفارس نمر وآخرون من أكبر أعوان الاحتلال وأعداء الدولة العثمانية والخلافة . وكان يطلق على هذا النفر اسم « الدخلاء » . والواقع أن مسألة إصلاح الدولة العثمانية مسألة متشعبة متباينة الوسائل والأغراض فمع أن المؤيد واللواء والظاهر مثلا تنشد الاصلاح كانت فى الوقت نفسه تطعن فى حزب تركيا الفتاة . كتب محمود سلامة المحرر باللواء فى عدد ١٣ يونية سنة ١٩٠١ مقالا تحت عنوان (تركيا الفتاة) جاء فيه : « مطالب ظاهرها عقل وحكمة وباطنها جنون وفتون . ينادون بالحرية و يلتمسونها ممن استعبدوا الأحرار باسم تحرير الرقيق » إشارة إلى الدول الأوروبية التى تخلصت من مزاحميها العرب فى إفريقيا واستعبدت القارة السوداء باسم الانسانية ومحاربة تجارة الرقيق . وكتب (المؤيد) فى ٧ إبريل سنة ١٩٠١ مقالا افتتاحيا عنوانه (التخبط فى طلب الاصلاح . خطة حزب تركيا الفتاة) جاء فيه : « فماذا يبتغى دعاة الاصلاح أو أدعياؤه ممن يسمون أنفسهم حزب تركيا الفتاة اليوم ؟ » .

وكان أهل الرأى فى مصر والدولة العثمانية عموما يرون فى الوقت نفسه أن سبيل الاصلاح غير ميسر مع وجود إدارة مستبدة فى الاستانة ورقابة شديدة على الصحف . وقد نشر المؤيد فى عدد ١١ فبراير سنة ١٩٠٠ مقالا لمكاتبه مترجما عن التركية عنوانه « المطبوعات فى دار الخلافة . لأحد كتابها الفضلاء » جاء فيه : « إن الجرائد عندنا كلها تئن أنين ذى الداء العضال بعلة الرقيب وتسلطه العجيب . كل ماتخط الأقلام على صفحاتها و يكون مفيدا فان الرقيب Censor يمر عليه فيمحوه محوا . والرقيب يرى من أول واجباته أن يحذف كل مقال فيه معنى حى يستلفت النظر أو يؤثر على نفس القارئ ولو كان فى صيغته دعاء لجلالة السلطان الأعظم لأنه يرى فى تأثير القلم أيا كان جناية كبرى على نظام المطبوعات المألوف . ليس الغرض التشهير بالسيئات وإنما أكتب هذه الأسطر بمداد الأسف والحزن على وصولنا إلى درجة يأس ليس بعدها موت لأرباب الأقلام والأفكار فى كل ما يختص بشؤون الأمة والجامعة الاسلامية » .

وفى عدد ١٧ سبتمبر سنة ١٩٠٠ نشر المؤيد افتتاحية ضافية تحت عنوان (ما هى وظيفة الصحافة العثمانية . وبماذا يخدم الصادق منها الدولة العثمانية . مثال من عمل الرقيب فى الاستانة) . قال : « عرف القراء أن جلالة مولانا أمير المؤمنين منح الصحافة العثمانية نظرة رضى يوم عيد جلوسه فعافاها من ضريبة التمغة التى كانت وصمة ذل على جبهتها بل كانت حملا ثقيلا على عاتقها . فهل للصحافة العثمانية أن تنال نفحة رضى أخرى حتى تستطيع أن تقوم بوظيفتها للدولة والملة . ليست الرقابة فى الممالك العثمانية على جرائدها التى تطبع فى الاستانة أو فى الولايات الشاهانية فقط ولكنها واصلة إلى جميع الجرائد التى تصدر فى الغرب والشرق والولايات العثمانية الممتازة فيمنع وصول الكثير منها إلى داخل المملكة ولا تدخل إلا نسخا أحادية كل أسبوع من الجرائد غير الممنوعة . و بعض ما يدخل من هذا النوع تقص بعض أعمدته لأن فيه شيئا لا يوافق مزاج الرقيب . ولسنا نزيد هذا الموضوع إيضاحا فوق الذى كتبه سعادة مكاتبنا الفاضل فى جملة رسائل سابقة له . وقد بعث لنا كتابا خصوصيا يقول فيه « عادت حليمة إلى عادتها القديمة فان الرقيب على الجرائد المصرية عاد إلى عبثه فمنع من أعداد مؤيد الأسبوع الأخير عددين لا أدرى ما ذنبهما . وقد منع أيضا من أعداد جريدة اللواء عددين وخرق الثالث خرقا لنشره خبرا تحت عنوان (المذابح الموهومة) هذا نصه : « نشرت جريدة الطان الباريسية أن الباب العالى رفض طلب سفير انكلترا بشأن تأليف لجنة للبحث عن أسباب المذابح فى سباجانج وصرح بأن تلك المذابح مختلقة ملفقة وأنه يمكن للقناصل فى ساسون أن يتحققوا الأمر بأنفسهم » هذا هو الخبر شبه الرسمى الذى لم يرق لعين الرقيب . أليست الرقابة على الصحافة فى تركيا عارا ومفسدة لها وسببا فى فقدان وظيفتها الحقيقية لأصحابها ولقرائها وللدولة والأمة » .

=

لـو أبتـلى الله بـه عاشقا ... مات بـه لا بالجوى والـوله
لو دام للصحف ودامت لـه ... لم تنج منـه الصحف المنزله
إذا رأى الباطل غالى بـه ... وإن بدا الحق لـه أبطله
لو خال «باسم الله» فى مصحف ... تغضب «تحسينا»[1] محا البسمله
وعزة الله بـلا «عزت»[2] ... لا تنفـع القـارى ولا خردله
جرائـد الترك عـلى عهـده ... كانت بـلا شأن ولا منزله
إن تذكر الخنجر لفظا تصب ... من شدة الذعر بـه مقتـله
وإن تصف قنبلة لم ينم ... من هول ذكرى حادث القنبله[3]

وقد نشرت مجلة الرسالة فى ٢١ أكتوبر سنة ١٩٣٥ تحت عنوان (شوقية لم تنشر . مراقب الصحف بالآستانة) ، للمغفور له أحمد شوقى بك ، نص القصيدة كاملا كالآتى[4] :

= كان مصطفى كامل وعلى يوسف من أكبر مؤيدى الخلافة العثمانية فى الشرق . ومع ذلك لم تسلم صحيفتا هما من تصرفات الرقيب وجهله . والواقع أن «الخلفاء» كانوا أيضا على حق فى محاربة الاستبداد التركى . ولئن غالى بعضهم فى الاستناد إلى الانجليز المحتلين لتحرير الممالك «العثمانية» فقد بالغ بعض الوطنيين المصريين فى استنادهم إلى الخلافة الغاشمة والتنديد بأنصار الحرية والاصلاح من الأتراك .

(١) جاء فى (تقويم المؤيد) لسنة ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩) : «على أثر إعلان الدستور قبض على كبار الخائنين من الوزراء وكبار الموظفين وهـذه قائمة أسمائهم : السرعسكر رضا باشا . مشير الطوبخانة زكى باشا . ناظر الداخلية ممدوح باشا . باشكاتب المابين تحسين باشا . أحد القرناء راغب باشا . أمين المدينة رشيد باشا . ناظر البحرية حسن رامى باشا . رئيس حملة الأباريق كامل بك . سيد آكاه باشا . أبو الهدى الصيادى أفندى وابنه حسن بك . الجاسوس اسماعيل باشا . المفتش اسماعيل سيد باشا . توفيق خادم عزت العابد باشا . . وقـد اعترى الباشكاتب تحسين باشا من جراء إعلان الدستور مرض الماليخوليا حيث كان يقول فى كل لحظة «انه يفضل الموت على أن يشاهد بعينيه الحالة الحاضرة» . بدأ تحسين باشا خدمتـه فى نظارة البحرية على عهد ذلك الغول حسن باشا الذى كان يبلع كل عام من ميزانية البحرية مليون جنيه يقتسمه مع رجال المابين . ولما مات ثريا باشا أراد أن يكون خلفه من أعوانه ، فاستعمل دهاءه ونفوذه حتى عين تحسين باشا فى هـذا المنصب وبسط يده للأخذ حتى أنه يملك الآن نحو ٦ ملايين فرنك «ربع مليون جنيه ذهبا» وهو مبلغ إذا قيس بما يملكه زملاؤه ولا سيما عزت باشا (العابد) عد تافها جدا . . .» .

(٢) أحمد عزت باشا العابد كان من أقرب المقربين إلى السلطان عبد الحميد وهو الوحيد الذى تمكن من الهرب .

(٣) إشارة إلى القذيفة التى ألقيت على جلالة أمير المؤمنين بجوار الجامع الحميدى فى حفلة صلاة الجمعة ٣١ يولية سنة ١٩٠٥ . وقـد نظم شوقى قصيدة عنوانها «تهنئة بالنجاة» نشرتها (الجـوائب المصرية) فى ١٦ أغسطس سنة ١٩٠٥ مطلعها :

هنيئا أمير المؤمنين فإنما ... حياتك للدين الحنيف نجاة

وهى فى الجزء الأول من (الشوقيات) طبعة سنة ١٩٢٦ ، ومؤرخة خطأ فى سبتمبر سنة ١٩٠٥ (بدلا من أغسطس) .

(٤) يظهر أن شوقى يبدأ بنظم أبيات معـدودات قوية فى حادث ما ثم يضيف اليها من وقت لآخر أبياتا أخرى حتى تصبح قصيدة لا ينتظمها نفس واحد ولا يشد بعضها بعضا .

لنا رقيب كان ما أثقله ... الحمد لله الذى رحله
لو آبتلى الله به عاشقا ... مات به لا بالجوى والوله
لو دام للصحف ودامت له ... لم تنج منه الصحف المنزله
إذا رأى الباطل غالى به ... وإن بدا الحق له أبطله
لو خال «باسم الله» فى مصحف ... تغضب «تحسينا» محا البسمله
وعزة الله بلا «عزت» ... لا تنفع القارى ولا خردله
جرائد الترك على عهده ... كانت بلا شأن ولا منزله
إن تذكر الخنجر لفظا تصب ... من شدة الذعر به مقتله
وإن تصف قنبلة لم ينم ... من هول ذكرى حادث القنبله
الشر بالشر فيا قوم لا ... إثم إذا راقبتمو منزله
فحاصروا الأبواب واستوقفوا ... من أخرج الزاد ومن أدخله
إن كان فى السلة تفاحة ... ضعوا له موضعها حنظله
أو جىء «بالشرشر»(١) له فاملاوا ... مكانها من علقم جردله
أو اشتهى الأبيض من ملبس ... قولوا له الأسود ما أجمله
ذلك يا قوم جزاء امرئ ... كم غيّر الحق وكم بدّله

(١) شرحت (الرسالة) الشرشر بأنها عين معدنية مياهها حلوة وصحية .

حوالى سنة ١٩٠٥

نقلا عن (ذكرى الشاعرين) للأستاذ أحمد عبيد

على لسان هملت

دهر مصائبه عندى بلا عدد — لم يجن أمثالها قبلى على أحد
عم يخون وأم لا وفاء لها — أم ولكن بلا قلب ولا كبد
جنت علىّ هموم العيش قاطبة — وقبلها ما جنت أم على ولد
لما مددت يدى بالشر منتقما — منها نهانى أبى عن أن أمدّ يدى
رحماك رحماك يا ذاك الخيال ويا — أماه رفقا ويا عادى الهوى اتئد
أنا الشقىّ المعنّى المبتلى أبدا — وقفت أمس ويومى للأسى وغدى
أمشى وراء خيال لا يفارقنى — كأنه نكدى فى العيش أو كمدى
وأهجر الوجد للثارات أطلبها — ومثل وجدى قلوب الناس لم تجد
هويت والنفس لا تسلو ضغائنها — فضعت بين الهوى والحقد بالرشد
إن ضقت يادارنا الدنيا بنا أملا — فى دارنا الخلد آمال بلا عدد
صبایَ ودّع . شبابىَ سر . حِمامىَ حِنْ — دنيایَ زولى . خيالَ الشقوة ابتعد

تكلم الدكتور محمد فاضل فى كتابه (الشيخ سلامه حجازى) عن الروايات التى مثلها الشيخ سلامه فى سنة ١٩٠٥ قال: « مال الشيخ إلى تجربة نوع جديد من الفن المسرحى هو النوع الصرف « التراجيديا » ... محاولة جريئة لأن الجماهير كانت قد ألفت من الشيخ النوع التلحينى (الأوبريت) فأراد أن يجرب تأثير النوع الأول فطلب إلى الأديب الذائع الصيت فرح أنطون أن يترجم له طائفة من الروايات فقدم له (البرج الهائل ، وابن الشعب) كما قدم له طانيوس عبده (هملت) فأخرجها الشيخ من غير تلحين ومثلها تمثيلا رائعا خاليا من الأناشيد ... . ولكن لم تكتب الحياة لهذه الروايات أكثر من تمثيلها مرة واحدة لأن الشعب جبل على غناء الشيخ وعلى تمثيله التلحينى ... فأدرك الشيخ أنه لا بد من مرضاة الجمهور واضطر أن يدخل التلحين عليها ولجأ إلى بعض أصدقائه لوضع أناشيد مطابقة لوقائعها . ومن ثم فقد عادت هذه الروايات واسترجعت إقبال الجمهور، حتى لقد شهرت بشهرة قصائدها وأناشيدها . ومن منا لا يذكر قصيدة « شوق » فى رواية هملت التى مطلعها:

دهر مصائبه عندى بلا عدد — لم يجن أمثالها قبلى على أحد

والتى لولاها ما عرفت الرواية ولا ظهرت إلى يومنا هذا على خشبة المسرح » .

(المنبر) فى ٨ يولية سنة ١٩٠٦

عــــذراء دنشــــواى

نشر الكاتب القصصى طاهر حقى روايته (عذراء دنشواى) فى حلقات متتابعة فى جريدة المنبر لصاحبها الأستاذ أحمد حافظ عوض. وظهرت الحلقة الأولى (نسمات الأصيل) فى عدد ٦ يوليه. وقد أهدى المؤلف روايته إلى سعادة أحمد شوقى بك شاعر الأمير. وفى عدد ٨ يوليه قالت (المنبر): "قدم القصصى الفاضل مؤلف هذه الرواية حق البحث لشاعر الأمير وأمير الشعراء شوقى بك كما رأى القراء فى ديباجة أول أمس . ولكن روح الشعر لا تفارق عاشقها ومعشوقها فولدت من خيالها معنى سولت لها رفض الهدية الأدبية وجادت على قراء المنبر بالكتاب الآتى" :

صديقىّ العزيزين

اطلعت فى المنبر المتصل إن شاء الله تعالى بالجوزاء على فاتحة رواية باسم (عذراء دنشواى) رأى حضرة واضعها الفاضل تلطفا منه وإحسانا أن يهديها إلىّ . ورأيت أن أعتذر على أعواد المنبر من قبول الهدية وأن انفض يدى من عذراء نشأت بين حَمام كم جلب من حِمام ، وبين أجران كم جَرَّت من أحزان . ولو سألنى حضرة المؤلف رأيي قبل أن ينشر ما نشر، كما هو مألوف فى مثل هذا المقام ، لدللته على من هو أحق منى بحسن ظنه كعشماوى ، أو نابغة المحامين الهلباوى[1]، أو غيرهما من جنود الحادثة، وشهود الكارثة[2] والسلام .

المخلص (شوقى)

---

(١) جاء فى (المنبر) عدد ١٦ يولية سنة ١٩٠٦ : « عرضت وظيفة المدعى العمومى فى قضية دنشواى على الأستاذ أحمد عبد اللطيف المحامى قبل أن تعرض على الهلباوى فقبلها ولكن على شريطة أن يكون حرا فى المرافعة فيطلب من العقاب ما يراه موافقا للجرم فقيل له ستنقدك مائتين ذهبا ويجب أن تقول ما نريد أن يقال فأبى . أما الهلباوى فقبلها كما طلبوا وأعطى خمسمائة من الجنيهات بواقع مائة عن كل ضابط من الخمسة الانجليز الذين قام مطالبا بعقاب من اعتدى عليهم » .

ومعروف أن الهلباوى ندد بالجريمة باعتبارها من أفظع الجرائم فى العالم وادعى أنها كانت مدبرة وطالب بأقصى العقوبة أى إعدام سبعة من المصريين وإدانة ٢١ نفسا ... والعجيب أن الهلباوى قبل هذه الحادثة كان من أكبر معارضى الاحتلال فسبحان المغير .

(٢) هذا الكتاب يدل على أن شوقى بك كان يشارك المصريين فى عواطفهم وإن لم يفعل كما فعل حافظ الذى نظم قصيدته الدالية بعد الحادثة بأيام . وتتلخص الكارثة التى فصلتها وصورتها(مجلة المجلات العربية)فى عدد يوليو =

= سنة ١٩٠٦ فيما يأتى : فى يوم ١٣ يونيه سنة ١٩٠٦ قصد خمسة من ضباط جيش الاحتلال إلى قرية دنشواى لصيد الحمام فلما بلغوها قابلهم شيخ طاعن فى السن هو حسن على محفوظ (أول الأربعة الذين نفذ فيهم حكم الإعدام) ، وقال لهم أن يبتعدوا عن البلد لأن الأهالى مستاءون من العام الفائت . ولكن على الرغم من ذلك التحذير صاد الانكليز فقتلوا امرأة وحرقوا جرنها فاشتبك الأهالى معهم فسقط أحد الفارين منهم ووقع قتيلا بضربة الشمس . وفى ٢٤ يونيه انعقدت المحكمة المخصوصة فى شبين الكوم ، وهى محكمة انكليزية وإن كانت مصرية فى مظهرها ، وكانت مؤلفة برئاسة بطرس باشا غالى ناظر الخارجية المصرية بصفة كونه نائبا عن إبراهيم باشا فؤاد ناظر الحقانية لغيابه بالأجازة ، وجناب المستر هيتر نائبا عن جناب المستشار القضائى (ميكريث) والقائمقام لدلو القائم بأعمال المحاماة والقضاء فى جيش الاحتلال ، وسعادة أحمد بك فتحى زغلول رئيس محكمة مصر الابتدائية الأهلية ، وجناب المستر بوند وكيل محكمة الاستئناف العليا . وكان فى مقام المدعى العمومى إبراهيم بك الهلباوى . وعين عثمان بك مرتضى رئيس أقلام نظارة الحقانية سكرتيرا . وكان المحامون عن المتهمين ثلاثة : أحمد بك لطفى السيد ومحمد بك يوسف و إسماعيل بك عاصم .

وقد طلب المدعى العمومى إعدام سبعة بدعوى أنهم هم رؤساء المتهمين والحكم على الباقين بأشد عقوبة بعد الإعدام مستندا إلى أن مثل هذه التهمة الموجهة إلى أهالى دنشواى يعاقب عليها مرتكبوها بالقتل فى القوانين الانجليزية وبعض القوانين الفرنسية وفى الشريعة الإسلامية .

وتقول مجلة المجلات إن « لطفى السيد دافع دفاعا قانونيا بليغا ونفى تهمة الاصرار مثبتا أن الجريمة ليست كما قال المدعى العمومى من أفظع الجنايات فى العالم» . ولكن يظهر أن الدفاع فى مجموعه لم يكن قويا أو «حارا» . وقد صدر الحكم فى ٢٧ يونيه سنة ١٩٠٦ بإعدام أربعة شنقا فى قرية دنشواى حيث كانت المشانق معدة مقدما . ونفذ الحكم فى ٢٨ يونيه شنقا وسجنا وجلدا فى المتهمين جميعا وسط البكاء والعويل .

حدثنى طاهر حقى أنه فى أثناء نشر حلقات (عذراء دنشواى) فى المنبر استدعاه مرارا منسفيلد حكمدار العاصمة الانكليزى وطلب إليه التخفيف من حدة كتاباته وانذاره بسوء العاقبة نظرا لهياج النفوس بسبب دنشواى مما اضطر صاحب القصة إلى تغيير لهجتها .

(الجريدة الأسبوعية)[1] فى ٣١ يناير سنة ١٩٠٨

المــوت ولا الاحتــلال

دنشــواى فى الأفــراح

أرســل إلينا وطنى حزين سكن أوروبا دور غناء وكتابا يقول فيــه : « لنجعل شعارنا المشنقة ، ولنقدس المشنقة فهى سبب حياة أمة . أرسلت إليك هذا الدور وأرجو أن يرغم المغنى فى الأفراح على أن يفتتح الغناء بهذا الدور . . » .

يا حمـامة دنشواى
نوّحى للسير جـراى
تحـت الظـــلام
كيلا ينام

* * *

الشــنق حــامى
والضـــرب دايـر
فين المحـامى[2]
ما فيش كلام

هــذا الدور العاصف الذى تتجاوب فيــه وتطرب ألحــان الفجيعة فى دنشواى وترتسم فى جوه الرهيب صورة المشانق قد بلغ به شوقى قمة الشعر الغنائى . وقد أبلغنى الأستاذ طاهر حق (صاحب الجريدة الأسبوعية) أن هذا الدور كان يغنى فى السهرات الخاصة وأنه سمع عبد الحى حلمى يغنيه فى المطرية فى منزل شوقى بك ، كما غناه محمد سليمان . ولا يخالجنا شك فى أنه نظم عقب حادثة دنشواى فى ســنة ١٩٠٦ ، ولكن لم يكن فى المقدور نشره إلا بعد خروج كرومر ومجىء غورست .

---

(١) صاحب هذه الجريدة كما قلنا فى المقدمة هو الأستاذ محمود طاهر حق الروائى المعروف وقد رأينا له مقالا فى عدد ٢٦ ابريل سنة ١٩٠٢ من (المصور) مذيلا بامضاء (محمود طاهر حق . مترجم بديوان الأوقاف) مما يدل على أن الأستاذ حق كان يمارس الصحافة منذ شبابه .

(٢) يريد أنه لم يكن هناك محام أو مدافع أو أن وجوده فى حكم العدم .

وأبلغنى الأستاذ إبراهيم شفيق ، حين عرضته عليه ، أن هذا الدور يسمى " طقطوقة " (فى الأصل قطقوطة) . ويمكننا القول إذن إن هذه أروع " طقطوقة غنائية " سياسية فى العصر الحديث كما إن أهم دور غنائى سياسى هو الدور الذى نظمه المرحوم إسماعيل باشا صبرى (ولا إشارة إليه فى ديوانه) والمنشور فى صفحة ٥٣ من كتاب (تراثنا الموسيقى . الجزء الأول) الذى كتب القسم التاريخى منه الدكتور محمود أحمد الحفنى وكتب قسم التدوينات الموسيقية الأستاذ إبراهيم شفيق — وهذا نصه :

عشنا وشفنا سنين ومن عاش يشوف العجب
شربنا الضنا والأنين جعلناه لروحنا طرب
وغيرنا تملك وصال واحنا نصيبنا خيال
* كدا العدل يا منصفين *

دور

تمام الجميل إنجاز وصدق المعاهدة شرف
ومن يتبع الرفق فاز حتى بفضله اعترف
سلامى عليك يا زمان زمان الهنا والأمان
* بفضل الأحبة العزاز *

روى لى الأستاذ إبراهيم شفيق ، عن الأستاذ محمد عبد الرحيم المسلوب ، ومحمد العقاد ، وإبراهيم سهلون الذين اشتركوا فى عزف الدور أنه بعد عودة البارودى من المنفى فى سنة ١٩٠٠ ذهب عبده الحمولى وإسماعيل صبرى افندى للتسليم عليه فقال البارودى لاسماعيل صبرى : " لماذا لم تعملوا دورا بمناسبة الاحتلال وأحداث وادى النيل " فقال إسماعيل صبرى : " نعمل يا باشا " فرد البارودي : " وأنت قاعد " فنظم فى الحال إسماعيل صبرى ذلك الدور وسلمه لعبده الحمولى فسلم عبده بدوره الأغنية لمحمد عثمان لتلحينها . وغناها بعد ذلك عبده وكبار المغنين .

وهذه الرواية[1] فى اعتقادى تفتقر إلى الإثبات وتنقصها الدقة . وأغلب الظن أن الدور قد نظم قبل عودة البارودى من منفاه (أى قبل سنة ١٩٠٠) بسنوات مما سنبينه . وقد كتب

(١) بمناسبة الاحتفال بذكرى محمد عثمان وسيد درويش ذكرت (المساء) فى عددها الصادر فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٦٠ نفس الرواية نقلا عن الأستاذ إبراهيم شفيق قالت : «وفى ١٩ ديسمبر عام ١٩٠٠ رحل محمد عثمان . ولعل أهم أدواره الشائعة هو دور عشنا وشفنا سنين ، لحنه فى منزل سامى البارودى بحضور الشاعر إسماعيل صبرى والمطرب عبده الحامولى» .

والواقعة الواحدة الصحيحة فى هذه الرواية هى أن الدور من نظم إسماعيل صبرى . وهو من أهم أدواره وإن كان لا أثر له فى ديوانه .

الدكتور محمد أحمد الحفنى فى مقدّمته التاريخية لكتاب (تراثنا الموسيقى) تحت عنوان (الفن الوطنى ص ٧٣) سطورا معدودات (ثلاثة عشر) لا تنقع غلة عن عبده الحمولى ومحمد عثمان زعيمى النهضة الفنية الحديثة . فى كلامه عن محمد عثمان قال : " ومن أهم أدواره : حبيت يا جميل . لسان الدمع أفصح من بيانى . ياما انت واحشنى . أصل الغرام نظرة . عشنا وشفنا (غناها لمناسبة الثورة العرابية) " . بهذه الإشارة العابرة الغامضة ذكر الدكتور الحفنى ذلك الدور العظيم الذى لحنه محمد عثمان وغناه عبده . وقد كتب الأستاذ قسطندى رزق فى الجزء الأول صفحة ١١٤ الذى ظهر فى سنة ١٩٣٥ من كتابه (الموسيقى الشرقية والغناء العربى) ما يأتى تحت عنوان :

شعور المغفور له سعد زغلول باشا

نحو فقيد الفن (الحمولى)

« دعى عبده فى المدة المتراوحة بين سنتى ١٨٩٦ — ١٨٩٩ للغناء فى أسيوط بدار الدكتور حبيب بك خياط احتفالا بزواجه بابنة الوجيه المرحوم ويصا بقطر فاعتذر عن قبول الدعوة لارتباطه بإحياء حفلة زفاف ربة الصون والعفاف كريمة المرحوم مصطفى باشا فهمى رئيس مجلس الوزراء الأسبق (صاحبة العصمة صفية هانم) إلى سعد بك زغلول . فغنى دور (أنا من هجرك أحكى خصرك) كما أنه غنى دورا آخر من نظم إسماعيل باشا صبرى (عشنا وشفنا سنين . ومن عاش يشوف العجب . غيرنا تملك وصال (بواو العطف) . واحنا نصيبنا خيال . فين العدل (كررها ثلاثا) يا منصفين) بلهجة الغضب مصورا بنغماته الحماسة وشعور الأمة الوطنى مما كان يحيط بالبلاد من ظروف وانفعالات ذودا عن حوزة الوطن العزيز » . انتهى .

وفى الجزء الثانى من الموسيقى الشرقية الذى صدر فى سنة ١٩٣٨ نشر الأستاذ قسطندى تحت عنوان (عبده الحمولى فى فنه . الغناء والحركة الوطنية . بقلم خليل بك مطران) ما يأتى :

« كان الأساس فى ابتكار " عبده " رعاية المناسبة وكانت الحلية الدائمة التى يزينه بها تطويع كل نغم لتمثيل المعانى التى ترد تحت الألفاظ .

« فمن ذلك فى أول أمره وبدء اشتهار اسمه واتصاله ببلاط الخديوى إسماعيل باشا أنه لما احتفل بزواج الأميرين حسين وحسن نجلى ذلك الخديوى كان أول ما افتتح به عبده غناءه هو ذلك الدور الشهير " الله يصون دولة حسنك على الدوام من غير زوال " . وقد جعل النغم الذى يؤدّيه به نغما جهريا ممتدا يوافق الدعاء المرموز به تحت تلك الكلمة أعجب موافقة .

« على أن من يتبع أناشيد عبده وأدواره فى كل حفلة خاصة يجده ملتزما هذه الطريقة . ولم يقصر هــذا الالتزام على الدوائر المحددة بل خرج به فى بعض الآونة إلى دوائر عامة منها ما يتصل بالرأى ومنها ما يتصل بالسياسة .

« فالمثــال على الأولى هو الذى أبدع فيه أيمـا إبداع « عهد الأخوة يحفظه . بالروح ومالناش غيركده » ومبعث هذا الدور كان فكرة ماسونية أخذت تشيع فى ذلك الوقت شيوعا كثيرا فى القطر » .

« والمثال على الثانية هو الدور الذى بلغ به أوج مقــدرته الفنية فقد طبق عليــه لحنا جديدا مقتبسا من التركية لم يكن معروفا فى العربيــة إلى ذلك الحين وغناه بمـا لم يضارعه بل لم يقاربه فيه أحد فى عهده أو بعده . ذلك هو الدور :

عشنا وشــفنا سنين ومن عاش يشوف العجب
شربنــا الضنا والأنين جعلناه لروحنــا طــرب
وغــيرنا تملك وصال . واحنــا نصيبنا خيــال
هكذا العدل يا منصفين

« قيل هذا الدور حين الهبة الأولى للحركة الوطنية الشعبية بعد ولاية الخديوى عباس ، وحين بدأت الأمة تتظلم جهرة من وطأة الاحتــلال واللورد كرومر آنئــذ فى إبان جبروته فتعقيبا على حملة قوية بدأتها الصحف الوطنية آنئذ وعلى ما طفق الحديث به فى الأندية يتردّد على ألسنة الخطباء، ساهم عبده بإبداء شعوره . وبث ذلك النغم القوى البديع وتلك الألفاظ الشاكية الباكية التى لا تستأذن إلى صميم القلوب شكوى أمة متوجعة متحفزة للنهوض » .

هــذا ما قاله خليل مطران، وهو حجة ، ومنه يستدل أن الدور كان نظمه بعــد اعتلاء عباس العرش بحوالى سنتين أو ثلاث أى فى سنة ١٨٩٤ — ١٨٩٥ بعــد حادثة الحــدود (يناير — مارس ٩٤) التى ظهر فيها جبروت اللورد كرومر وثورة النفوس على الاحتلال[١] .

وفى الجزء الثالث من كتابه الذى ظهر فى سـنة ١٩٤٣ كتب الأستاذ قسطندى يرد على الذين يقولون إن الطابع الغرامى غلب على الموسيقى الشرقية بدليــل أن تلاحين عبده المختارة طافحة بمعانى غرام وتحــرق وصد دون معــانى الرجولة . . العــبرة بالنغمات لا بالألفاظ فإن

---

(١) كانت جريدة (الفلاح) لصاحبها إلياس حورى تحمل حملات شعواء على الوزارة والإنكليز فى غضون سنة ١٨٩٤ وبدأت (المؤيد) حملاتها القوية فى سنة ١٨٩٥ . وليس أدل على شدة التوتر فى تلك الآونة من الافتتاحية التى نشرها (المؤيد) فى ٢٨ مايو سنة ١٨٩٥ تحت عنوان (الأسطول الإنكليزى فى مياه الإسكندرية) .

فى نغمات عبده تقرأ الشهامة والعظمة والإباء وعزة النفس ، بدليل أن فى الدور الذى غناه ليلة زواج المغفور له سعد زغلول باشا ، فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٨٩٥ ، القائل (عشنا وشفنا سنين . ومن عاش يشوف العجب . . غيرنا تملك وصال (بواو العطف) — واحنا نصيبنا خيال . . فين العدل (كررها ثلاثا) يا منصفين) . غضبة عمر وزئير سعد ، يوم تدخل رجال الاحتلال فى شئون مصر العزيزة ، خلافا لنغمات المجددين الطافحة بالخشونة والذل والتهتك » .

ظاهر أن قسطندى رزق لم يتمكن من تحديد زمن نظم دور إسماعيل صبرى وغنائه فى ليلة زواج سعد زغلول (٢٨ نوفمبر سنة ١٨٩٥) إلا فى الجزء الثالث أى بعد تحقيق طويل . وظاهر أن صوت إسماعيل صبرى ارتفع عاليا بلحنه الرائع ضد المحتل فى بداية الحركة التى أعقبت الثورة العرابية ، كما أن صوت شوقى فى دوره أو طقطوقته الحزينة المتأججة بالوطنية انطلق فى سماء دنشواى . وكلا الصوتين قد نَفَّس عن المكروب والمظلوم وقرع أذن الظالمين .

(المؤيد) فى ١٢ رمضان سنة ١٣٢٤ — ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٠٦

ذو الوزارتين

نشر (المؤيد) الأرجوزة الآتية تحت عنوان (إلى عطوفة فخرى باشا) وقال فى تقديمها : « قد اشتهر حضرة صاحب العطوفة فخرى باشا بحسن المحاضرات والنكت الأدبية فالمؤيد من سماحة أخلاقه العذر إذا نشر أبياتا حكمت بها القافية على رأى المثل . قال شاعر كبير مجيد يخاطب عطوفته » (ولم تسم الشاعر) .

والذى لا شك فيه أن الأرجوزة نظمت فى يوم واحد وهو اليوم التالى لتعيين سعد زغلول فى المعارف بدلا من فخرى باشا الذى كان يجمع بين المعارف والأشغال . ويرجع تأليف نظارة مصطفى فهمى باشا الثالثة إلى ١٢ نوفمبر سنة ١٨٩٥ . وكان الرئيس ناظرا للداخلية وحسين فخرى باشا للأشغال العمومية والمعارف (ذو الوزارتين) وبطرس باشا غالى للخارجية وأحمد مظلوم باشا للمالية وإبراهيم فؤاد باشا الحقانية ومحمد عبانى باشا للحربية والبحرية . وكانت هذه الوزارة أطول وأضعف الوزارات التى حكمت مصر وخضعت للاحتلال إذ استمرت ثلاثة عشر عاما . وفى ٢٨ أكتوبر ١٩٠٦ عين سعد زغلول (بك) المستشار بمحكمة الاستئناف الأهلية ناظرا للمعارف العمومية بدلا من حسين فخرى باشا الذى كان مكلفا بهذا المنصب علاوة على نظارة الأشغال العمومية . وأنعم الخديوى برتبة الميرميران الرفيعة على سعادة سعد زغلول (باشا) ناظر المعارف العمومية مع أنه كان معارضا فى تعيينه لولا تدخل كرومر . وفى أبريل سنة ١٩٠٧ استقال كرومر بسبب حادثة دنشواى . وفى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٨ تألفت نظارة بطرس باشا غالى التى حلت محل نظارة مصطفى فهمى . وظل سعد زغلول ناظرا للمعارف فى النظارة الجديدة .

وليس ناظم تلك الأرجوزة "الشوقية" أول من سخر من ذى الوزارتين فقد كتبت (مصباح الشرق) فصلا فى عدد ٢١ سبتمبر سنة ١٨٩٩ فصلا تحت عنوان (ذو الوزارتين) جاء فيه : "يروى أن أحد أرباب الجرائد زار سعادة ناظر الأشغال العمومية فى رودس حيث يقيم للتريض والتروح بين الرياض والغياض والماء والخضرة فدار بينهما هذا الحديث :

الكاتب — لقد أصبحت الأفكار اليوم فى شغل شاغل وقد جئت أستق من بحر معارفك . .

الناظر — ليس من أخبار النظارة عندى ما يهم إطلاع القراء عليه فالمدارس بحمد الله مغلقة و إدارة الديوان يديرها أرتين باشا بالنيابة عنى ثم يرثها دنلوب من بعده عند سفره . والمشروع الوحيد المهم فيها هو الذى أدرسه الآن وهو " رفع " أسعار التعليم حتى يقتصر أمره على أولاد الأغنياء . فإنى لا أنسى ما قاله لى خوجة افندى المفتش بالنظارة أن المتقدمين قالوا فى حكمة " لا تعلموا أولاد السفلة العلم " وأرى أن أحسن طريقة لدفع السيل المنهمر على المدارس من الطبقات الدنيا أن تزيد فى غلاء أجرة التعليم . وقريبا نلغى القسم المجانى بتمامه . .

المكاتب — ليس سؤالى عن أعمالكم فى نظارة المعارف و إنما أسألكم عن أعمالكم فى نظارة الأشغال وما أعددتموه لدفع الطارئ . .

الناظر — وما ذا عسى أن يكون قد حدث فى نظارة الأشغال . . كل أعمالها جارية على أحسن ترتيب وأنا أبحث الآن أسباب التأخير التى حالت دون افتتاح خط ترمواى الأهرام فى أول سبتمبر . .

المكاتب — غرضى كله أيها الناظر السؤال عن أحوال النيل . .

الناظر — وهل يسأل أحد الآن عن النيل إن نقص أو زاد بعد القواعد التى وضعت فى إصلاح الرى . .

المكاتب — وجه السؤال أن النيل نقص فى هذا العام نقصا عظيما ويخشى أن يتخلف بسببه كثير من أطيان الوجه القبلى عن الرى . .

الناظر — ومن أين علمت ذلك ؟ .

المكاتب — من الصحف المصرية . .

الناظر — لا تعبأ بأقوال الجرائد المعارضة . .

المكاتب — إن أخبار نقص النيل صحيحة على أى حال وهم يقدّرون الأطيان التى لا تزرع هذه السنة بما يفوق مائة ألف فدان . .

الناظر — مثل هذا التقدير من شأن نظارة المالية لعلاقته بعجز الضرائب فلا تخاطبنى فيه وعلى كل حال فإن مائة ألف فدان ليست بشىء يذكر فى جنب خمسة ملايين فدان تزرع فى كل سنة . .

المكاتب — أرى على كل حال أنه لا بد لناظر مثلك من المبادرة بالرجوع إلى بلاده لمباشرة أعمال نظارة الأشغال حتى لا تنطلق ألسنة الناس باللوم كما يلام القائد إذا ترك جيشه وهو فى ساحة القتال . .

الناظر — (ضاحكا) لا تحسب لذلك حسابا فإننا قد عودنا المصريين مثل هذه السيرة إذا وقعت الحرب فى السودان كان ناظر الحربية فى حمامات كارلسباد و إذا نزل الو باء بأرض مصر تفرق رؤساء الحكومة فى مدن أوروبا و إذا كان ما تزعمه من حدوث الشرق الآن كان ناظر الأشغال مقيما فى رودس . .

« قال الكاتب ولما رأيت الناظر على ما هو عليه من الجهل بأحوال نظارة الأشغال نسبت ذلك إلى كثرة تفرغه لأعمال نظارة المعارف وأحببت أن لا أعود من عنده بغير فائدة منه فعدت به للحديث عنها فوجدته يقف منها عند ذلك الحد التافه ثم يتخلص منه إلى الكلام فى الأمور التافهة من نظارة الأشغال أيضا فتصورته فى هذه الحالة كالنعامة إذا قيل لها سيرى قالت أنا من الطير و إذا قيل لها طيرى قالت أنا من الإبل » .

الأرجـــوزة

تعـــزيتى لذى الوزارتين	تعزية الشـيعة فى الحسين
قد كان يعطى الختم باليدين	فصار يعطيه لحارسين (١)
مطبعة قـــد تطبع الألفين	صغيرة فى مثـل حجم العين (٢)
يـديرها الكاتب دورتـين	فيـظفر الرى بمليونين (٣)
زين الوزارات وأى زين	قد استرحت بعد طول الأين (٤)
وكـنت متعبـا بالاثنتين	كتعب الزوج بضرتين
فراق دنلوب كسد الدين	فــلا تعد تلقـاه بعد بين (٥)

لا يلدغ المؤمن مرتين

---

(١) يقول إن الوزير كان يختم الأوراق باليدين فصار يعطى ختمه لحارسين هما كاتبه فى الأشغال وكاتبه فى المعارف .
(٢) مطبعة صغيرة فى حجم العين أى ختم .
(٣) الدورتان الأولى «إدارة» الختم فى الخاتمة والثانية إدارته عند التوقيع على الأوراق . .
(٤) الأين : الإعياء . (٥) دنلوب كان مستشار المعارف وقيصرها . .

ياليـــل طُـــل

الأبيات الآتية فى المنشـد حسن جابر وأغلب الظن أنهـا لشوقى وهى رائعة خصوصا قوله فى الفجر :

ألحانــ بلبـله غدت   ممزوجة فى صـوت جابر

وقد ذكرها أحد مراسـلى جريدة (الجوائب المصرية) بمناسبة حفـلة أحياها حسن جابر فى إحدى مدن الوجه البحرى (سنة ١٩٠٦) ولم يشر إلى قائلها . ومعروف أن شوقى كان على صـلة وثيقة بكبار المغنين والمنشـدين فى كل عصر وأنه نظم فيهـم ولهم شـعرا كثيرا ضاع أكثره .

يا ليـل طل أو لا تطـل   فالقلب فى الحالينـ عاذر [1]

إن طلت كانت رحمـة   حلّت على من كان حاضر

أو لم تطـل فالفجر قـد   آلى بأنـ ينفيك صاغر [2]

ألحانـ بلبـله غـدت   ممـزوجة فى صـوت جابر

هـو منشـد متفنـنٌ   فإذا أجاد أجاد سـاحر

---

(١) فى هذه الأبيات مجاراة لقصيدة ابن الفارض التى غنا ها المرحوم عبده الحمولى .

ياليل طل ياشـوق دم   إنى على الحالينـ صابر

لى فيك أجـر مجاهـد   إن صح أنـ الليل كافر

طرفى وطـرف النجم فيـ   ـك كلاهما ساه وساهر

يهنيـك بدرك حاضـر   ياليت بدرى كان حاضر

حتى يبينـ لناظـرى   من منهما زاه وزاهـر

بـدرى أرق محاسـنا   والفرق مثل الصبح ظاهر

(٢) نفاه عنـه : نحاه ودفعه وأزاله : وصاغر (يريد الليل) من صغر (بضم العين) بمعنى هان وذل . و يقال صغرت الشمس أى مالت للغروب .

خيـــال الظـــل

والعبقرية المصرية

صـدر (خيال الظل) لصاحبه حافظ عوض فى ١٥ مارس سـنة ١٩٠٧ يحمل هذين البيتين شعارا له :

رأيت خيـال الظل أكبر عبرة لمن هو فى علم الحقيقة راق
شخوص وأشباح تمر وتنقضى وتفـنى جميعـا والمحرك باق

وهمـا بيتان قديمـان يرجعان ، فى أغلب الظن ، إلى القرن الثامن الهجرى وناظمهما مصرى . و (خيال الظل) مجلة أسبوعية مصورة سياسية هزلية ولكن هزلها جد . ولم يكن سلاحها الأقوى فى صورها وسخرياتها (كاريكاتور) التى لا فن فيها ولكنه كان فيما حوته من شعر شوقى العامى أو الفصيح أو الوسط بين العامى والفصيح . وأذكر أن كاتبا قال عن محجوبيات أو مسكوبيات شوقى أنها لا تليق به ، مع أن بعضها من الأدب الرفيع . ومما لا ريب فيه أن ما نظمه إسماعيل صبرى وشوقى فى عام الكف سنة ١٩٠٢ من مفاخر أدبنا الحديث لأنه يمثل ناحية من نواحى العبقرية المصرية . والعبقرية الفرنسية تشترك معها فى هـذه الناحية التى تتضح بالتهكم المر والسخرية اللاذعة المستدامة التى لا ترحم ، والتى لا يسلم أحد منها ، ظالمـا كان أو مظلوما . وقـد ظهر الأدب الهزلى السياسى والاجتماعى فى أروع صـوره فى شكل (كاريكاتور) فى فرنسـا فى عهد لويس فيليب (١٨٣١ — ١٨٤٨) وبعـده . إبان المحن السياسية والدفاع عن الحريات ، والتنديد بالمجتمع وطبقاته التى ينتشر فيها التهريج والنفاق والدجل . وقد كان دومييه Daumier الرسام أكبر مصوّر كاريكاتورى فى القرن التاسع عشر . كان فى رسمه الهزلى كشكسبير فى شعره ورواياته . خطوط وملامح ناطقة بالعبرة التى تضحك وتبكى .

وقد برع العرب فى شعر الهجاء قديما ، ولا أظن أمة فى الغرب تضاهيهم فى هذا الفن . ولكن الشعر السياسى هزلا كان أو جدا قد خلقته ظروف البيئة الشرقية الحديثة . وقد نبغ فيه ، كما قلنا ، إسماعيل صبرى وشوقى ، وأننا بصراحة نفضل شعر شوقى السياسى الهزلى فى (خيال الظل) على محجوبياته لأن هذه الأخيرة مجرد فكاهات ومداعبات تتجلى فيهـا روح النكتة . أما الأولى فهزلها جد ، وضحكها كبريق السيف يلمع فيه الموت . مهازل ومآس متعددة الأشكال والفصول ، دقيقها وجليلها ، مستمرة فى مسرح الكون . لا يرخى عليها ستار .

(خيال الظل) . العدد الأول فى ١٥ مارس سنة ١٩٠٧

(١)

فى صدر الصفحة الأولى من هذا العدد صورة كبيرة تمثل اللورد كرومر و (الجريدة) فى يده . وتحت الصورة البيتان الآتيان :

يا لورد كم من معان فى سياستكم ۞ جرّت إلى القال بين الناس والقيل

كدنشواى وتعيين أردت به ۞ قتل الحمام وإحياء الزغاليل

وكانت (المنبر) لصاحبها — وصاحب (خيال الظل) — حافظ عوض ، نشرت قبل ذلك بيومين (١٣ مارس) البيتين المذكورين تحت عنوان " كلمة حكيمة " ونسبتهما إلى " أحد الفضلاء " . وفى عدد ١٥ مارس سنة ١٩٠٧ نشرت (مجلة سركيس) البيتين وقدمت لهما بقولها : " بعث أحدهم بهذين البيتين إلى المنبر مخاطبا جناب اللورد كرومر وفيها إشارة إلى صيد الحمام فى حادثة دنشواى وارتقاء سيادة أحمد فتحى بك زغلول القاضى فى تلك القضية إلى منصب وكالة الحقانية " .

ونضيف إلى ما تقدم أن مناسبة هذين البيتين هى أولا تعيين فتحى زغلول مكان إسماعيل باشا صبرى وكيلا للحقانية فى مارس سنة ١٩٠٧ بعد تعيين سعد زغلول (أكتوبر سنة ١٩٠٦) ناظرا للمعارف . ويلاحظ أنه فى شهر مارس سنة ١٩٠٧ إلى جانب ترقية فتحى زغلول بدأت الصحف الوطنية (المؤيد والمنبر واللواء) تهاجم سعد بعد أن كانت تتريث فى الحكم له أو عليه ، خصوصا بعد اجتماع الجمعية العمومية فى ٣ مارس سنة ١٩٠٧ ومطالبة صاحب المؤيد ، الذى كان عضوا فيها ، بتعليم العلوم باللغة العربية . وقد خطب سعد فى الجمعية ودافع عن التعليم بلغة أجنبية فظهر وقتئذ ، إن صدقا وإن كذبا ، بمظهر المدافع عن سياسة الاحتلال فى محاربة اللغة العربية . كما أن الجمعية كانت تطالب بمجانية التعليم خصوصا للفقراء ، لأن الحكومة كانت تضيق المجانية ، كما كانت تطالب بإنشاء مجلس نيابى بناء على اقتراح الشيخ على يوسف (انظر فى منبر ١٠ مارس تفصيل الاقتراح) .

كان المؤيد فى يناير وفبراير سنة ١٩٠٢ من أكبر المدافعين عن اللغة العربية ضد حملات المستر ويلمور والمستر ويلكوكس ومدير (الأجبسيان جازيت) الذين كانوا ينادون بإحلال

اللغة العامية محل اللغة الفصحى وكتابة العربية بالحروف اللاتينية[1] . ومن ذلك الوقت (١٩٠٢) كان سوء الظن يحوم حول كل من يفكر فى نشر التعليم باللغات الأجنبية فى مصر . نشر (المنبر) فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٠٧ تحت عنوان (التعليم باللغة العربية فى المدارس المصرية . إدحاض رأى المعترضين) حديثا جرى بين إنكليزى زائر و بين صاحب الجريدة، حافظ عوض جاء فيه : — هذه العقبة (فى سبيل التعليم باللغة العربية) هى خلو عالم التأليف العربى من المؤلفات العالية فى العلوم المقرر تدريسها .

« قلنا إن هذه العقبات قد اجتيزت منذ عشرات من السنين . إذ كان التأليف من قبل فى أى علم من العلوم باللغة العربية . .

— هل تريدون أن تستعمل الألفاظ الفنية والمصطلحات العلمية باللغة الأجنبية إن لم يتسن العثور على ما يؤدى معناها باللغة العربية . .

« فقلنا إن الأمر سهل لأننا لسنا بالمبتدئين فى هذا الطريق الخ » . .

---

(١) كتبت مجلة (الزهراء) عدد صفر سنة ١٣٤٥ (أغسطس سنة ١٩٢٦) تحت عنوان (العامية والفصحى) تقول : « نشر سلامة موسى فى هلال يوليه مقالة فى موضوع « اللغة الفصحى والعامية » دعا فيها إلى هجر الفصحى واصطناع العامية فى الكتابة والتعليم والأدب . واقترح أن تدخل الأساليب والمفردات الإفرنجية إلى العربية بدون قيد ولا شرط . واتكأ الكاتب فى مقاله على أقوال السير وليم ويلكوكس الإنكليزى فى صعوبة اللغة الفصحى — والسير ويلكوكس من دعاة البروتستانية وله رسائل تبشيرية باللغة العامية ينشرها له مبشرو البروتستانية بمصر — وقال : إن الآداب المصرية كالدرامة والقصص وغيرها يمكن أداؤها بالعامية دون الفصحى . ورمى إلى التخلص من الفصحى بزعم أنها تبتلع الوطنية المصرية وتجعلها شائعة فى القومية العربية بما تتشربه من الآداب والروح والعاطفة القومية العربية . وزعم أخيرا أن اللغة الفصحى لغة بدوية وأن الثقافة بنت الحضارة وليست بنت البداوة .

« فى مقال سلامة موسى ما يجعل القارئ يشعر باعتقاد الكاتب أن وجود لغتين عامية وفصحى شيء خاص باللغة العربية . مع أن العامية موجودة فى كل لغة وفى كل بلاد ، بل إن اللغة الفصحى بينما هى واحدة فى التعليم والتدوين والأداء العلمى فى قطر من الأقطار نجد اللغة العامية متعددة . فكيف تستقيم اللغة العامية لغة تعليم وكتابة مادامت العامية فى ناحية من القطر الواحد مغايرة للعامية فى ناحية أخرى ، فاللغة العامية ليس عليها طابع العمومية حتى تصلح لأن تكون عامة فى وجوه استعمالات اللغة » .

هذا ما كتبته (الزهراء) وهى محقة فى قولها إن العامية لتعددها واختلاف ألوانها لا تصلح لأن تكون لغة عامية ثابتة فى القطر الواحد وفى الأقطار المختلفة . وهذا عين ما قاله الكتاب فى مصر فى سنة ١٩٠٢ ردا على ويلكوكس وأضرابه من الإنكليز . ولكننا نخالف (الزهراء) فى قولها إن العامية موجودة فى كل بلد بإزاء الفصحى . والواقع أن اللهجات واللغات المحلية موجودة فى كل بلد أوربى مثلا ولكن الجميع يستعملون الفصحى كلاما ، وكتابة ، واستعمال العامية أو اللهجة الخاصة نادر فى حين أن العامية هى لغة الكلام السائدة فى مصر والفصحى مقصورة على الكتابة . ومن هنا نشأت صعوبة التعبير فى الدراما والقصص والروايات الهزلية بلغة الكتابة لبعدها عن لغة الكلام التى تألفها النفس وتستقبلها بغير حجاب . لذلك لا ترى (الزهراء) تعارضا بين وجود لغة فصحى و بين الرغبة فى أداء بعض الآداب بلغة عامية كالروايات والأغانى المسرحية والأهازيج الشعبية .

إذا كانت أمثال هـذه الردود لا تزال غير مقنعة إلى اليـوم فكيف بها منـذ أكثر من نصف قرن ؟

وقد ألقى ناظر المعارف سعد زغلول كما قلنا فى الجمعية العمومية فى يوم ٣ مارس سنة١٩٥٧ خطبة كبيرة فى هذا الموضوع جاء فيها : « إن الحكومة لم تقرر التعليم باللغة الأجنبية لمحض رغبتها أو اتباعا لشهوتها ولكنها فعلت ذلك مراعاة لمصلحة الأمة . إن مركز الأمة من الأمم الأخرى واختلاطها بالأجانب واشتباك المصالح الأجنبية بالمصالح الوطنية كل ذلك أوجب تعليم العلوم باللغة الأجنبية لكى يتقوى التلاميذ فيها كما ينبغى، ويمكنهم بها أن يستفيدوا من المدنيـة الأروبية ويفيدوا بلادهم بها ويقووا على الدخول مع الأجانب، فى معترك الحيـاة، حياة العلم والعمل . شعرت الأمة بهذه الضرورة قبل شعور الحكومة بها فأرسلت كثيرا من أبنائها إلى المـدارس الأجنبية كمدارس الفرير والجزويت والأمريكان التى تعلم العـلوم فيها بلغات أجنبية .

« اضطرت الحكومة أن توجب التعليم باللغـة الأجنبية (الفرنسـية أو الإنكليزية) . وكان أول من سعى فى ذلك ونفذه فى سنة ١٨٨٩ هو المرحوم على مبارك باشا . ومع كونه حاصلا فى ذلك العهد بلغة أجنبية فلا تزال الشكوى تتقدم بعد الشكوى من ضعف التلاميذ فى اللغة الأجنبية .

« عنـدما أنشئت مدارس الجمعيـة الخيرية الإسلامية التى أنا أحد مؤسسيها رأينـا أن لا ندخل اللغة الأجنبية فيها ولكننا لم نلبث أن شعرنا بهذا الخطأ فعدلنا عنه واضطررنا لإدخالها . . وفى الحقيقة إذا فرضنا أن نجعل التعليم من الآن باللغة العربية فإننا نكون قد أسأنا إلى بلادنا وإلى أنفسـنا إساءة كبرى لأنه لا يمكن الذين يتعلمون على هـذا النحو أن يتوظفوا فى الجمـارك والبريد والمحاكم المختلطة والمصالح العـديدة المختلطة التـابعة للحكومة والشركات والبنوك .

« إذا قطعنا النظر فى هـذا كله صادفتنا صعوبة مادية وهى قـلة المعلميـن الأكفاء الذين يمكنهم تعليم الفنـون المختلفة باللغة العربيـة . . ويستحيل مع وجود هـذه الصعوبة الشروع الآن فى التعليم باللغة العربية . وإذا كنتم مع ذلك توافقون على الاقتراح المقدم لكم (تعليم العلوم باللغة العربية) كنتم كمن يحاول الصعود إلى السماء بغير سلم » .

ظاهر أن أسطورة محاربة سعد للغة العربية قد نشأت فى ذلك الوقت، وظاهر أن كل ما كان يبغيه سـعد هو تعليم العلوم باللغة الأجنبية الغنيـة بالمراجع والمصطلحات العلمية التى

لا غنى عنها فى الحياة العملية والعلمية ولا غنى عنها لنأخذ من المدنية الأوربية بنصيب . وقد هاجمت كبريات الصحف الوطنية سعدا ، ولم تدافع عنه إلا الجريدة والأخبار . كتبت « الأخبار » لصاحبها الشيخ يوسف الخازن فى عدد ١٠ مارس سنة ١٩٠٧ مقالا تحت عنوان « اللغة العربية وسعد زغلول » أشارت فيه إلى « الرغبات التى أعربت عنها الجمعية العمومية ليكون تلقين العلوم فى مدارس الحكومة باللغة العربية » ونادت « بضرورة اللغة الأجنبية حتى تتوفر الكتب العلمية » . وفى عدد ٩ أغسطس سنة ١٩٠٧ ذكرت الأخبار مدرسة القضاء الشرعى (التى صدر بإنشائها قانون بتاريخ ٢٦ فبراير سنة ١٩٠٧) ستفتح قريبا وأن مشروع هذه المدرسة من آثار المرحوم الشيخ محمد عبده . وقد أشارت الصحيفة فى نفس العدد إلى الصعوبات الجمة التى لقيها سعد فى سبيل التغلب على اعتراض الأزهريين وأعضاء مجلس النظار والخديوى نفسه . وضربت مثلا على ذلك . قالت : « لما اعترض المعترضون على تدريس « العلوم الطبيعية » وافقهم سعد على ذلك وأبدل درس « العلوم الطبيعية » بدرس « خواص الأشياء » فوافقهم هذا التعديل مع أنه فى الحقيقة لم يغير شيئا فى المدلول عليه » .

الواقع أن سعدا كان كأستاذه محمد عبده صديقا للورد كرومر . وكان كلاهما يعمل على الاستفادة من هذه العلاقة لخدمة بلاده و إصلاح شئونها دون أن يتزحزح شبرا عن حدود الكرامة فى اتصالاته مع المحتل . ولكن هذه الصداقة بما تنطوى عليه من أغراض متباينة وظروف سياسية خلقت مركزا دقيقا ، زاد من حرجه ودقته تعيين فتحى زغلول وكيلا للحقانية بعد دنشواى . . وهنا ابتدعت روح المعارضة ، الساخرة المتهكمة — التى تولد مع كل نفس مصرية — بلسان شوقى ، قصة الزغاليل . .

(٢)

قال شاعر الوطنية ومشهر « دنشواى » فى البرية[1] :

يقولون عن مصر بلاد عجائب ... نعم ظهرت فى أرض مصر العجائب

تقدّم فيها القائلون لشبهة ... ونيلت بسجن الأبرياء المناصب

---

(١) كان المعروف أن شاعر الوطنية ومشهر دنشواى فى البرية هو حافظ إبراهيم . قال الأستاذ الأديب الشاعر حسن كامل الصيرفى فى كتابه (حافظ وشوقى ١٩٤٩) ما نصه : « هذه الحادثة وجدت فى شعر حافظ صداها قبل أن تجده فى شعر شوقى ، ولا ندرى السبب الذى أخر شوقيا عن تناولها ، ولعل منصبه فى القصر وصلته به كشاعر رب القصر هما اللذان حالا دون تناوله هذا الحادث حتى حدث من كرومر ما حدث بعد ذلك من إهانته للمصريين والخديوى إسماعيل فى الخطبة التى ألقاها فى الحفلة التى أقيمت توديعا له ، فرأى شوقى أن الجو ملائم للقول فى هذه =

وأخّر فيها كل أهل لرفعة ... وقدّم « فهمى »(١) وحده والأقارب
فيالورد هذا الحكم والله مطلق ... ومن مطلق الأحكام تأتى المصائب
ولم يبق إلا أنت فينا وقيصر ... وقيصر مغلوب وإن قيل غالب

وورد منه أيضا :

ماذا تريدين من مصر وصاحبها ... يا (تيمسْ) الإفك والبهتان والزور
ما أنت إلا لماليين همهم ... سلب الممالك من بور ومعمور
يستأجرونك ما شاءت مطامعهم ... ولا كرامة فى الدنيا لمأجور
نقصت حق بنى مصر وليس لهم ... ذنب سوى أنهم طلاب دستور
فهل يُعد أثيما فى اصطلاحكم ... من جدّ فى طلب العرفان والنور

* * *

(خيال الظل) العدد الثانى فى ٢٢ مارس سنة ١٩٠٧

إلى الأزهر المعمور

يا كعبة العلم فى الإسلام من قدم ... لا يزعجنّك إعصار الأباطيل
إن كان قومك قد جاروا عليك وقد ... جاءوا لهدمك فى جيش الزغاليل
فقد مضت سنة العادين إذ حصروا الـ ... بيت الحرام فردّوا كالهماليل(٢)
الله أرسل طيرا بين أرجلها ... قنابل الصخر ترمى صاحب الفيل
للدين والبيت رب لا يقاومه ... حمر الثياب(٣) ولا سود الأساطيل

ـــ الحادثة بعد مرور عام عليها وذلك بمناسبة طلب العفو عن سجنائها ، وقد نشرت هذه القصيدة بجريدة (اللواء) فى ٢٧ من يونيه سنة ١٩٠٧ . أما حافظ فقد ردّد ذكر هذه الحادثة فى أكثر من قصيدة ، وكان أول ما نظمه فيها قصيدته الدالية التى نشرت فى ٢ من يوليه سنة ١٩٠٦ أى بعد صدور الحكم بخمسة أيام » .

والثابت الذى لا ريب فيه أن الخديوى عباس — وقد أكد لى ذلك الأستاذ طاهر حق — كان « هائجا » محنقا وأنه ساند مصطفى كامل على السفر إلى انجلترا والقيام بحملته الشهيرة (أواخر صيف سنة ١٩٠٦) ضد كرومر وفظائع دنشواى ، وأن شوقى — وهو ذلك البحر الجياش بالعاطفة وفنون القول — نظم الكثير فى دنشواى فى ذلك الوقت ، وقد أثبتنا بعض ما نظمه مما عثرنا عليه وهو قليل ولكنه يدل على الكثير ، كما يدل لحنه وشجاه على أن شوقى هو شاعر الوطنية ومشهر دنشواى فى البرية . .

(١) يريد مصطفى فهمى رئيس الوزارة وقد تزوج سعد باشا بابنته صفية .
(٢) الهماليل هى الضعاف من الطير ولا واحد لها . والهماليل أيضا الثوب المخرق .
(٣) (حمر الثياب) كنية للإنجليز وردت مرارا فى شعر شوقى .

القسم الأدبي والسياسى

قال شاعر أديب بلسان إبراهيم باشا نجيب يبرئ نفسه :

ما (تيمس) الإفك إلا عقرب ذهبت   عمياء تقذف سما ههنا وهنا

فلا تصدق عميد الاحتلال فما   من هؤلاء ولا من هؤلاء أنا

ورد لنا هذان البيتان من كاشف المعميات فى السياسات عن لسان الدكتور فارس نمر .

خلقوا على باب الوكالة (فارسا)   فدعوا إليهم فندلى[1] و بويلا[2]

---

(١) (فندلى) كان سكرتيرا للوكالة البريطانية وقد ذكره كرومر فى خطبة الوداع الشهيرة التى ألقيت فى الأوبرا فى ٤ مايو سنة ١٩٠٧ : « والحال أنى لولا مؤازرة غيرى من المصريين والأوربيين لما استطعت أن أعمل شيئا وأقول إنه لم يعمل أحد منهم عملا أنفع مما عمله المستر (فندلى) الذى كان ينوب عنى فى ظروف وأحوال لاتخلو من الصعوبة مدة غيابى فى السنوات الأخيرة » (تصفيق) .

وقد جاء فى (المنبر) عدد ٥ أغسطس سنة ١٩٠٦ ما يأتى : « قالت جريدة الاجبسيان غازيت إن العبارات الواردة فى الكتاب الأبيض عن الصحافة المصرية فيما بعث به المستر فندلى متولى أعمال الوكالة البريطانية من الاسكندرية بتاريخ ٥ يوليه إلى السير إدوارد غراى ستحدث ضجة .... فإن المستر فندلى يرمى الصحافة العربية والافرنكية فى مصر بتهمة شديدة إذ يقول صراحة إن هذه الجرائد قد أعطيت رشوة للكتابة ضد الحكومة » .

وفى ١١ أغسطس سنة ١٩٠٦ كتبت (المنبر) : « يظهر أن المستر فندلى قد أدرك أنه تسرع فيما قال أو فيما نسب إليه من تهمة الصحافة المصرية عربية وأفرنكية ... فسعى للخلاص والفرار من سهام الأقلام العربية والأوروبية فأوعز إلى مكاتب جريدة (الظاهر) بالاسكندرية حضرة النشيط نجيب افندى هاشم الذى يكثر من التردد على المستر فندلى متولى أعمال الوكالة البريطانية النازل الآن فى الاسكندرية بأن يقول إن المستر فندلى لم يقصد بتهمته الصحافة غير صاحب (اللواء) الذى ينفق الأموال الكثيرة فى لندرة الآن لنشر مبادئه بكل الوسائل » .

وفى عدد (المنبر) المؤرخ ٢٠ أغسطس سنة ١٩٠٦ جاء فى خطاب موجه من « محام فاضل » إلى المستر فندلى : « قلتم فى تقرير نشر فى الكتاب الأبيض إن قضية دنشواى لو تقدمت إلى محكمة بريطانية لقضت على ستة من من المتهمين بالإعدام لا كتفاء المحكمة المخصوصة بهذه العقوبة على أربعة فقط ... و يلوح لى أن فكرة جنابكم ربما كانت أمرا مقضيا لو لم يتمكن بعض المتهمين فى تلك القضية من الفرار » .

(٢) نشرت (المؤيد) فى ١٩٠٩/١٢/٢٧ نقلا عن (الغازيت) مقالا لكاتب انكليزى عن المستر بويل السكرتير الشرقى سابقا للورد كرومر وقنصل انكلترا الآن فى ألمانيا : « إن نفوذ المستر بويل العظيم السرى على عقل اللورد كرومر كان مشئوما من بعض الوجوه . ولقد وصف المستر ديدى الكاتب الشهير المستر بويل بمثل ما وصفته به (الطان) أيضا من أنه كان المؤثر على سياسة اللورد كرومر والموحى إليه بما يفعله شأن الراهب كريس فى تأثيره على سياسة ريشيليو فمتى اتفق مثل هذين المصدرين الموثوق بهما على وصف الرجل بما تقدم كان لابد من وجود شىء من الحقيقة فى قوليهما . ولقد قال لى أحد الضباط المصريين حديثا إن خطأ السردار الأعظم هو خضوعه لنفوذ بعض صنائعه من السوريين . إن تحيز المستر بويل بجانب أولئك السوريين نفر قلوب الوطنيين من اللورد كرومر . كما أن سعة إطلاعه على اللغة العربية جعلته الواسطة الوحيدة بين المصريين والمعتمد الذى جاهر مرة أنه لا يعرف من اللغة العربية إلا « مافيش فلوس » . إن منشىء مصر الحديثة (!) قد ارتكب أغلاطا كبيرة ولكن الغلط الأكبر الذى ارتكبه وزاد تورطه فيه فى أواخر عهده هو اعتماده التام على رأى المستر بويل » .

يا لورد ما فى الناس قبلك سيد ... باع النمورة واشترى زغلولا

* * *

حظوة اللورد (لشاعر متستر) :

حظوة اللورد قُسمت ... بين فتحى وبيرم

فاحمدوا الله أنها ... لم تدم للقطم

الزغاليل الزغاليل (له أيضا)

يا ليت شعرى والأفهام حائرة ... ما غيّة اللورد فى تلك الزغاليل

إنى لأخشى إذا ربى خوافيها ... أن تستحيل إلى طير أبابيل

الزغاليل (له أيضا)

قالوا الزغاليل سادوا ... فقلت لا عن روية

أليس فى كل يوم ... لِلورد فى مصر غية

وبعث إلينا شاعر لطيف بهذين البيتين :

أهل (الجريدة) والذين بمالهم ... وبجاههم بين الملا عملوها

ما فى الجريدة من نرجيه سوى ... لطفى فردّوه لنا وكلوها[1]

* * *

وردت إلينا هذه الأبيات اللطيفة من صديق بالإسكندرية رأى أن يختص بها خيال الظل :

أسخطتُ جدى الشاذلى[2] ... إذ خنت نعمة (فندلى)

لما عجلت أضعته ... يا ليتنى لم أعجل

ما غشنى وأضلنى ... إلا نصائح (نجدلى)[3]

---

(١) قال الأستاذ أحمد لطفى السيد فى حديث له مع محرر المصور (عدد ١٢ ديسمبر سنة ١٩٥٨) ما يأتى :
« ... وبعد صدور (الجريدة) اتهمتنا الجرائد المتصلة بالخديو بأننا متصلون بالانجليز . أما جريدة (خيال الظل) التى كان يصدرها حافظ بك عوض فقد نشرت أبياتا ينسبها بعضهم إلى أمير الشعراء أحمد شوقى قال فيها :

ما فى الجريد من نرجيه سوى ... « لطفى » فردوه لنا وكلوها ...

وظلت تهمة التعاون مع الانجليز لاصقة بالجريدة ٦ شهور . حتى ألقى اللورد كرومر خطبته المشهورة فى دار الأوبرا .. وعلقت « الجريدة » على الخطبة تعليقات أعنف من التى علقت بها جرائد الخديو » ! !

(٢) سيدى أبو الحسن الشاذلى « رضى الله عنه » الجد الأعلى للأستاذ أبو شادى بك صاحب (الظاهر) .

(٣) نجدلى هو محمد بك النجدة لى المحامى الشهير وصديق البك الحميم وكان أحد الموجودين عند المستر فندلى وقت أن قابله أبو شادى بك ! ! .

مبدائى كان شرم برم[1] واليوم صار ترللى
إنى اشتريت (مراقبا)[2] لا أرتضيه بفرغلى[3]
يوما علىّ وتارة إن جدت بالدينار لى
قد كان طاهر[4] قال لى لكننى لم أحفل

إرجـم

إدورد[5] مالك كلما سال الملا لا تنبس
وتقول ما لم تعتقد حتى يضج المجلس
أفهل ذهاك كرومر حتى كأنك بطرس

(خيال الظل) العدد الرابع فى ٥ ابريل سنة ١٩٠٧

بنعمة فتحى قد ظفرتم بفندلى وأصبحت لا رحلى أحث ولا نعلى
فلا تنكروا أهل الجريدة ظاهرى[6] جريدتكم يوم الفخار على رجلى

(١) (شرم برم) استعمله شوقى إسما مستعارا ذيل به إحدى قصائده (فنودة) وترللى وردت فى بيته المشهور :

صار شوقى أبا علـى فى الزمان الترللى

(٢) هو إبراهيم افندى النجار أحد محررى الظاهر والذى كان يمضى دائما بإمضاء (مراقب) .

(٣) هو محمد افندى توفيق فرغلى كان محررا بالظاهر ويقال إنه كان يطالب إدارتها بشهرين و١٢ قرشا — ربما استلفها منه أبو شادى .

(٤) محمود طاهر حقى صاحب (الجريدة الأسبوعية) كان فى وقت ما صديقا حميا لأبى شادى بك وطالما نصحه . وقد نقل طاهر حقى القطعة السابقة عن (خيال الظل) فى الجريدة الأسبوعية فى ٥/٤/١٩٠٧ وعنه نقلنا الشرح .

(٥) السير إدوارد جراى ناظر خارجية انجلترا . وقد نشرت (المنبر) فى عدد ٨ يوليه سنة ١٩٠٦ تحت عنوان (ذيل حادث دنشواى) ما يأتى : « خطاب السير إدوارد غراى — تلقين اللورد كرومر . لوندرة فى ٦ يوليه — مجلس العموم : ألقى السير إدوارد غراى خطبة طالب فيها من المجلس عدم التسرع فى الحكم على طريقة التنفيذ فى حادثة دنشواى وعدم المناقشة فى موضوع هام فى مثل هذا الوقت . وقرر بأن وصف التنفيذ الذى نشرته الجرائد غير صحيح . وأن الأهم من ذلك هو أن التعصب فى هذه السنة كان فى زيادة مطردة فى مصر ... » . وقد اضطر وزير خارجية انجلترا فى أغسطس سنة ١٩٠٦ إلى التراجع ونفى تهمة التعصب تحت تأثير حملة مصطفى كامل فى لندرة فى صيف ذلك العام (أغسطس وسبتمبر) ، وتنديد مستر بلنت بفظائع العدالة الانكليزية فى مصر ، وتدخل المستر روبرتسن فى مجلس العموم . وقد كانت تهمة التعصب سلاح المستعمر منذ سنة ١٨٨٢ أشار إلى ذلك حافظ إبراهيم فى قصيدته الموجهة إلى اللورد كرومر بعد عودته إلى مصر فى أكتوبر سنة ١٩٠٦ .

أو كلما باح الحزين بأنة أمست إلى معنى التعصب تنسب

(٦) نشرت (الجريدة الأسبوعية) فى عدد ٢ ابريل سنة ١٩٠٧ تحت عنوان (الكلمات المأثورة) : (سعد باشا زغلول) — الوطنية الحقة فى مداراة المحتلين وحفظ مركزى حتى يجلوا . (محمود باشا سليمان) — (الجريدة) على رجلى ..

وأتانا من كاشف المعميات فى السياسات :

للنـاس فى أمثالهـم   حِكم لحافظها مفيده
الحـر يكفيه اللـوا   والعبد يقرع بالجريدة

* *

وبعث إلينا نابغة ظريف من الأزهريين بهذين البيتين :

مضى المفتى فصبحنا فتـاه   تنـازعه إمامتـه سـفاها[1]
إمام زمانـنـا دمه خفيف   إذا رفع العقيرة قال هاها

الفرق بسيط لأحدهم

الفرق بين أحمد بك لطفى السيد أمس واليـوم أنه كان يدافع عن المظلوم فأصبح يدافع عن الظالم . فرق بسيط . سمع فى الصعيد :

ماذا يرجّى من مثلى   إن قلت أو لم أتقول
أثر الجـريده على رجلى   من عهد عبـاس الأول

* * *

(خيال الظل) العدد الخامس فى ١٢ ابريل سنة ١٩٠٧

باب الشعر والسياسة الكاذبة

أقول (لفارس) والحزب يدعو   وجريى بينهم جرى الغـزالة[2]
أفى التوراة مكتوب بشـبر   طوال النـاس أسبق للوكالة

(وزير تحت التجربة)

اللـورد قال صراحـة   زغلولنـا سـنجربه
ونزقـه[3] ونسـوسه   ونحبـه ونقربـه
فإذا تكامـل ريشـه   وبدا هنـاك تقلبـه
ومشى كسائر قومه   فى بردتيـه تعصبـه
فهنـاك دنـلوب ومن   من شكله (سندنلبه)

(١) المفتى محمد عبده . وفتاه الشيخ رشيد رضا . (٢) توجد فى هـذا العدد صورة تمثل الوكالة البريطانية وتمثل أحمد لطفى السيد رئيس تحرير (الجريدة) لسان حال حزب الأمة وفارس نمر رئيس تحرير (المقطم) وهما يتسابقان الى الوكالة . وكلاهما فارع يطاول الآخر . والبيتان قيلا على لسان أحمد لطفى السيد . (٣) زق الطائر فرخه : أطعمه بمنقاره .

***

بلينا وكان الله أكرم مبتلٍ   بكل صقيع فى البلاد جليد
أتى مسلما عفوا فمن ذا يبيعنا   طوائف عيسى كلها (برشيد) [١]

(بيتان قديمان)

إن الزغاليل الكرام بمصرنا   كظباء مكة صيدهن حرام
يُحسبن من لين الكلام فواحشا   ويصدهن عن الخنا الإسلام [٢]

(جريدة للوكالة) [٣]

جريدة للوكالة   قد لقبوها (جريدة)
إن دام فيها (رشيد)   فلن تدوم رشيدة

الى السيد لطفى [٤]

أيها السيد لطفى   لست والله جليدا
أنت كالنار مزاجا   كيف مازجت (رشيدا)

---

(١) هو الشيخ رشيد رضا تلميذ الإمام عبده وكان يسعى جاهدا ليخلفه فى « الإمامة » . . ويلوذ من أجل ذلك بالعميد و (الجريدة) والأحزاب السياسية ولكن شخصيته لم تكن جذابة . .

(٢) جاء فى المقال (١٨) الذى ظهر فى (المؤيد) فى ١٨٩٩/١٠/٢٨ (والمنشور فى هذا الكتاب تحت عنوان : بضعة أيام فى عاصمة الإسلام) ما يأتى فى وصف النساء التركيات : « يجتنبن مخالطة الرجال التى ينعدم معها الحجاب ، والتى هى باب الندامة فى ذلك الكتاب . فقد عهدتهن لا يقتصرن فى معاملة الرجال ، على ترك الخضوع فى المقال ، لئلا يصيبهن ما أصاب من قبل الأمثال . فيحسبن فواجر من لين الكلام ، و يصدهن عن الخنا الاسلام ... » .

وأصل البيتين القديمين :

حور حرائر ما هممن بريبة   كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام زوانيا   ويصدهن عن الخنا الاسلام

وهما لعبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود . وهو أحد الفقهاء السبعة من أهل المدينة وكان ضريرا . روى عن جماعة من وجوه الصحابة . وكان ابن عباس يقدمه ويؤثره . وكان شاعرا رقيقا وأديبا متمكنا ، وهو صاحب الأبيات الشهيرة المذكورة فى (الحماسة) فى باب النسيب :

شققت القلب ثم ذررت فيه   هواك فليم والتأم الفطور
تغلغل حب عثمة فى فؤادي   فباديه مع الخافى يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب   ولا حزن ولم يبلغ سرور

والذى نعجب له أن يصدر مثل هذا الشعر عن فقيه .

(٣ و ٤) إشارة إلى الأستاذ أحمد لطفى السيد رئيس تحرير (الجريدة) لسان حال حزب الأمة الذى كان على اتصال بالوكالة البريطانية . كان أحمد لطفى السيد كاتبا كبيرا ومحاميا قديرا ، ولكن علاقته بحادثة دنشواى أفقدته أنصارا كثيرين . كان مسلكه عند استقالة كرومر فى ابريل سنة ١٩٠٧ سببا فى إثارة الشكوك عند بعض الوطنيين حول عقيدته وآرائه السياسية . فقد فرحت الأمة باستقالة كرومر وأرادت الحكومة معارضة روح الابتهاج بروح مضادة =

« عزاء المقطم »

اليـوم ينتـحر المقطم ويقوم فى مثـواه مأتم
ويشـق صفحة خـده ندما ولات زمان مندم
كم حارب الوطن العزيـ ـز وباع صالحه بدرهم
ولطالما قلب الحقـا ئق فى سياسته وأوهم
متعـثرا فى رأيـه متورّطا فى كل مأثم
ينساب فى وسط الحوا دث مثلما ينساب أرقم
فيحل من أقـوى المـرا فق والمراشد كل مبرم
ويثير من بين المشا كل عشيرا بالشر أقتم
وإذا ارتدى ثوب النصو ح فإن منه الشهد علقم

* * *

ما بـاله متـذبذبا و(معدّدا) فى كل مأتم
إن كان سـوريا فمـا أقسى معـاوله[1] وأظـلم
أو كان مصريا فـلِمْ فى الكيد أنجد ثم أتهم
أو كان عبـد الاحتـلا ل فكيف ينصحنا ويرحم

= فأوعزت بإقامة حفلة تكريم له فتألفت لهذا الغرض لجنة من وزراء الحكومة وبعض الأعيان البريطانيين والمصريين الموالين للاحتلال مثـل مصطفى باشا رياض رئيس الوزارة الأسبق ومحمـد شواربى باشا ومحمـود سليمان باشا رئيس حزب الأمة والشيخ عبد الرحيم الدمرداش ... وقد ندد محمد فريد والصحافة الوطنية بتكوين هذه اللجنة . ودافع عنهـا لطفى السيد دفاعا حارا فكتب فى (الجريدة) بتـاريخ ٣٠ ابريل سنة ١٩٠٧ تحت عنوان (المسالمة لا المعاندة : وداع اللورد كرومر) قال : « وجب أن تعـرف الأمة المصرية أن قاعدة سياستها مع المحتلين هى المحاسنة دون المعاداة . وأن معاداة القوى بوار . ونقص من العلم بالمصلحة وأن المظاهرة ضد لورد كرومر ظهور بالعداء ونكران للجميل فى وجه الأمة المحتلة فى غير جدوى » . .

وقد كتب (المؤيد) فى أول مايو كلمة اعتراض على اللجنة جاء فيها : « لا نرضى أن يقال مثلا أن الموجودين من أعضاء مجلس شورى القوانين نائبون عنه إذا كان أكثر الأعضاء قـد طلب منهم الاشتراك فعلا وأبوه ، ولا أن يقال أن الأستاذ الشيخ عبـد الكريم سلمان يمثل هيئة العلماء فى هـذا الاحتفال إذا كان قاضى مصر ومفتى الديار المصرية قد دعيا واعتذرا عن الاشتراك ، ولا أن يقال إن الأسـتاذ الشيخ عبد الرحيم الدمرداش يمثل مشايخ الطرق الصوفية فى هذا الاحتفال إذا كان شيخ مشايخ الطرق وجميع كبار مشايخ السجادات لم ينيبوه وهكذا وهكذا » . .

(١) فى الأصل عواله .

مهلا فقد برح الخفا ء وأسفر السر المكتم

واستنزل المقدور صر عته وأرهقه الحتم

يا للتصبر والعزاء اليوم قد سقط المقطم

«ح ٠ ج»

أيها البحر

أيها البحر ألق فى مصر أملا حك حتى ترابها يتسبخ

كل من ضاقت الحياة عليه جاء مصرا و باض فيها وفرخ

« ب »

ضعف المعدة

قالوا العميد شفاه الله قد فسدت فى مصر معدته فى شهر ابريل

فقلت لا تعجبوا منها فقد أنفت هضم (الجريدة) أو هضم الزغاليل

* * *

(خيال الظل) العدد الثامن فى ٤ مايو سنة ١٩٠٧

باب السياسة فى الشعر

إلى اللورد كرومر

يا لورد قومك نالوا منك ما طلبوا وأخطأت مصرَ آمال وأوطار

فاليوم فى مصر «طار» الكل من فرح حتى «الزغاليل» من أعتابكم طاروا

إلى صاحب الدولة رياض باشا

أنت الكبير على المدى فاربأ بنفسك يا رياض

الذل عشش فى الوزا رة بعد دولتكم و باض

ذهب الرجال فلا حيا ء ولا احتشام ولا انقباض

ومضى الحماة الناصرو ن الذائدون عن الحياض

فإذا أردت تشبها بالأصغرين فلا اعتراض

ما ذا تؤمل بعد ما قد كلَّل الرأس البياض

أنسيت دمعك فى الحدو د من المذلة كيف فاض (1)

(١) اشارة إلى حادثة الحدود الشهيرة .

فاليوم ودّع من أذل　　لك راضيا أو غير راض

هكذا يقال

قالوا على شيخ الأحزاب　　فى العباسية الجديدة
داير على كل الأبواب　　ساعى يحسس (بجريدة)

أخت المقطم

قالت الحرباء قولا　　خطّه شيخ معمم
لا تلومونى فإنى　　فى الهوى «أخت المقطم»

سبحانك

قالوا كرومر قد ولى　　من مصر بل قالوا أدبر
حالٌ وغيّرها ربى　　سبحان من لا يتغير

(الجوائب المصرية) فى ٣ مايو سنة ١٩٠٧

المنـــاجاة

(لشاعر عظيم وأديب من أكابر الأدباء)

(الوكالة تنادى اللورد كرومر)

أودعكم وأبكى من نواكم   نهارى بعدكم ظلم وليلى
وأعلم أن ذاك الخلف باق   إذا اعتمد الجديد على (بويلى)

(عابدين إلى جناب اللورد)

يا لورد لم يبق حى   فى عزه واقتداره
وهل يدوم بعز   من سار فى غير داره

(المعارف تناجى جنابه)

أيا لورد لك الإحسا   ن من قبل ومن بعد
فما بعدك دنلوب   ولا بعدك لى «سعد» [1]

(الحربية إلى جنابه)

يا لورد قد أعوزنى ضابط   يقوم فى التوديع ذاك المقام
فإن ينب "شاويش" عنى اعذروا   لأنه لم يبق قائمقام

(عطوفه رئيس النظار إلى صديقه الراحل)

أيا لورد لك الجنـ   ـة إن أدركت ما نارى
لئن شرفت أو غبت   سأفديك بأصهارى

---

(١) من الأبيات التى اشتهرت فى تلك الآونة عن سعد ودنلوب أربعة أبيات نشرها (م. المنفلوطى) تحت عنوان (خداع الأمانى) فى جريدة (المنبر) فى عدد ٤ نوفمبر سنة ١٩٠٦ (أى بعد تعيين سعد فى المعارف بأسبوع):

همو زعموا أن الأمانى قريبة   ونادوا بأن السعد للنحس طارد
وقالوا ذكاء وارتقاء وهمة   ألا عظمت تلك الجدود الصواعد
وما علموا أن السيوف مخارق   إذا لم يحفزها إلى الضرب ساعد
وما دام فى قصر الدبارة ربه   فسعد ودنلوب لعمرك واحد

وقد سار البيت الأخير مسير المثل. ولا يعيب الأبيات إلا استعمال كلمة مخارق بدلا من مخاريق. المخاريق ما يلعب به الصبيان من الخرق المفتولة. قال عمرو بن كلثوم:

كأن سيوفنا منا ومنهم   مخاريق بأيدى لاعبينا

(دنشواى إلى جنابه الرحيم)

يا لورد إن تك آثار مخلدة   فانى أثر للعدل ملحوظ
لنشكرنك ما دام الخراب بنا   والصنع عند كرام الناس محفوظ [١]

(الأزهر الشريف إلى جنابه المنيف)

أعُدّ لك المحاسن وهى شتى   وأنسى اليوم هاتيك المساوى
فإن تك نيتى خفيت عليكم   فإن الله أعلم « بالنواوى » [٢]

(المحاكم الشرعية)

يا لورد تتركنى وتعلم أننى   كلى نقائص جمة ومعائب
إن رمت فى التوديع عنى نائبا   (عبد الكريم) هناك نعم النائب

(الأستاذ الشيخ عبد الكريم [٣])

يا لورد قالوا لى احتفا   ل ثم قالوا مأدبة
ما أكذب الداعى الذى   قد غشنى ما أكذبه

السيد عبد الرحيم الدمرداش (من أعضاء الجمعية العمومية) إلى جنابه

يا سيدى وأميرى   لبّيت أكرم دعوة
سنلتقى فى احتفال   كما التقينا بخلوة

(مجلس الشورى إلى جنابه)

أيها اللورد ليس لى   نائب فى النوائب
لا تسلنى عن اللحى   واعتبر « بالشواربى » [٤]

---

(١) محفوظ أول من شنق من الأربعة الذين حكم عليهم بالاعدام . (٢) اشارة إلى الشيخ حسونة النواوى .

(٣) فى سنة ١٨٩٧ طبع شوقى قصيدته البائية (صدى الحرب) فى كراسة صغيرة مشروحا غريب ألفاظها بقلم الشيخ عبد الكريم سلمان محرر الوقائع المصرية . وفى غرة مارس سنة ١٩٠١ بدأت (المجلة المصرية) تنشر رسالة شوقى (شيطان بنتاؤور) وقدمت لها بكلمة قالت فى ختامها إن شوقى أهدى رسالته الى الأستاذ الكبير الشيخ عبد الكريم سلمان أحد أعضاء المحكمة الشرعية العليا :

حتى إذا أتممتها   أهديتها (عبد الكريم)
وأنا المقر بفضله   الذاكر الحق القديم

ولكن الشيخ عبد الكريم صار بعد ذلك من أصدقاء اللورد كرومر، وكان ، كما هو معلوم ، من كبار المصفقين له فى حفلة الوداع بالأوبرا رغم جهله بلغة الخطيب .

(٤) إشارة إلى شواربى باشا الذى اشترك فى حفلة وداع اللورد كرومر .

(الأشغال العمومية إلى جنابه)

يا لورد مهلا رويدك النيل يبكى ويضحك
أأنت تؤخذ منا «ومور» [1] فى مصر يُترك

(شفيق بك المرميل [2] وخيال الظل إلى جنابه)

قد غلبناك بعد طول عراك وضعيفان يغلبان قويا

(الوزارة المصرية إلى جنابه)

يا مطلق الحكم فينا ما إن لحكمك كنه
إن جاءك ابن سهيل قل كن وزيرا يكنه

(الدين الإسلامى إلى جنابه)

سافر على بركات الله مغتفرا لك السباب ومرّ القول والكلم
يا أجهل الناس بى علما ومعرفة إن التجاوز والإغضاء من شيمى

(اللغة العربية تناجى جنابه)

نفضت يا مولاى عنى الثرى وقمت من قبرى أحييكا
يا ليت شعرى كيف فارقتنا والعيش والموت بأيديكا

(الصحة العمومية)

يا لورد لو كان عندى من الأطباء مصرى
قدمته [3] لك حالا فاسمح بتقديم عذرى

(البقية غدا)

(الجوائب المصرية) فى ٤ مايو سنة ١٩٠٧

المناجاة

«لخيال جمع الخيالات من أكابر شعراء مصر فى هذا العصر ممن لا تثنيهم المطالب ولا الوظائف ولا المعاش عن قولة الحق» [4] .

(١) مستر مور Moor مفتش رى انجليزى . (٢) أخبرنى الأستاذ طاهر حقى أن شفيق بك المرميل كان صديقا حميما لشوقى بك وانه كان نحيف الجسم ضئيلا . (٣) كان أكثر عمال الصحة العمومية من الانجليز .
(٤) يظهر أن الشعر الأول من (المناجاة) قد نسب لشوقى لأن فيه ملامحه فأراد مطران بهذه الكلمة التنبيه إلى وجوب نسبتها لصبرى الذى أحيل حديثا إلى المعاش . وعلى أية حال لا إشارة إلى هذا الشعر فى ديوان إسماعيل صبرى .

(تابع ما قبله)

(السودان إلى نخامته)

يا اورد سودت وجهى ولم تقم بجزائى
إمارتى لك تمت فاعطف على أمرائى

(الميزانية إلى نخامته)

يالورد عهدى على أيام دولتكم عهد (المفتش) لا ذام ولا عار
كلا كما كان ماليا ولا عجب عندى لذلك أرقام وأسرار

(الحزب الوطنى إلى جنابه)

يا لورد لا منبر لا لواء ولا مؤيد به اقتداء
ولا بإخوان لنا اهتداء نحن جميعا كلنا سواء
رجالنا تُكره والنساء إنا على عهدكم نُساء

(الشركات إلى جنابه)

يالورد عند الناس يوم فراقكم سهم من البلوى وعندى أسهم (١)

(الأوبرا الخديوية إلى نخامته)

يا لورد مثلت دورا فى مصر يبكى ويضحك
فقبلكم ما رأينا من ساس ما ليس يملك

(الجريدة الى نخامته)

يا لورد أنت عريف له الأيادى العديدة
إذا الكتائب ولت فما بقاء « الجريدة »

(القاهرة إلى نخامته)

يالورد قبلك إسماعيل من رهب خرجت ما بين «حكامى» أشيعه
ودعته و بودى لو يودعنى صفو الليالى وأنى لا أودعه

(دمياط إلى نخامته)

يالوردقدزعموا استعفاك يضحكنى بأى ثغر رعاك الله أبتسم

---

(١) تكاثرات الشركات الأجنبية فى عهد كرومر .

(مصر والمجلس النيابى « مشروع اللورد » إلى فخامته)

يا لورد قد ألفت لى مجلسا ... من كل من هبّ ومن دبا
ما زلت فيا تـدّعى قادرا ... حتى جمعت الشرق والغربا

(المحافظون إلى فخامته)

كنا نؤمل أن تدوم بنعمـة ... ويكون منا فى غد نظار
ما بالنا قد خيبت آمالنا ... وتحكمت من بعدنا الأحرار

(المديرون إلى فخامته)

سنعطى حقنا اليـوم ... وننسى كل ما كانا
يسـوّى بيننا العـدل ... وبين ابن سـليانا

(المساحة إلى فخامته)

يا لـورد كل مفتش ... منا عليه مفتشان
وبأى آلاء العميـد ... المستقيل تكذبان

(المقطم إلى فخامته)

ودّع الصبر محب ودّعك ... ذائعا من سره ما آستودعك
لم تكن يا لورد والله معى ... فتأمل هل ترى غيرى معك

(لجنة الاحتفال إلى فخامته)

يا لـورد عـدلك فينا ... سـارت بـه الأمثال
فإن نصـبنا مثالا ... فـدنشـواى المثال

(السوريون إلى فخامته)

يا لـورد كنا بمصر ... وأهـل مصـر رفاقا
نحـبهم ويحبـو ... نـا جـزاء وفاقا
ما زلت فينا وفيهم ... حـتى خلقت الشقاقا
فالـودّ بعـدك باق ... إذا اضطرحنا النفـاقا

(المؤيد) فى ٤ مايو سنة ١٩٠٧ :

المقطم والمقطم (١)

« لشاعر مجيد »

بين المقطم والمقطم نسبة ... فى الثقل لا تخفى على العقلاء
فصخور ذا وسطور ذا وكلاهما ... متألف من صخرة صماء
لكن بينهما اختلافا بيّناً ... كتباين الأفعال والأسماء

(١) كتبت المقطم بتاريخ ٢٦ فبراير سنة ١٨٨٩ تحت عنوان (جبل المقطم وجريدة المقطم) مقالا شرحت فيه تاريخ تسميتهما. قالت «اقترح علينا هذه التسمية صديق فاضل . فاخترنا اسم جبل المقطم لأنه لم يسبق إلى التسمية به جبال كونه أعظم ما فى بلاد مصر شأنا وأقدمها زمانا . وجد قبل أن وجدت ذرة من وادى النيل وقطعت من الصخور المعاصرة لصخوره أحجار الأهرام و بنيت من مقاطعه بيوت القاهرة ولولاه . ولولا ما امتد منه شمالا وجنوبا مستعرضا شرقي القاهرة بين عدوة النيل والصحراء لكانت بلاد مصر بلقعا صفصفا ... فقد ثبت عند العلماء أن جبل المقطم تكون فى أوائل الدور الثلاثى قبلما تكونت أراضى وادى النيل و بعد ما تكون كثير من الجبال المشهورة مثل جبال لبنان فى بلاد الشام وجبال الألب فى سويسرا . وأنه قبلما تكون كانت بلاد مصر كلها وأكثر الأراضى الواقعة فى شمالى أفريقية وجانب متسع من البلاد الواقعة فى غرب آسيا وجنوبى أوروبا بحرا خضما ماؤه ملح أجاج وسكانه أصداف مسطحة مستديرة كالدنانير وأصداف صغيرة لا تحدها الأبصار، والحيوان الذى يكون المرجان، وحيوانات ذات قشور صلبة ونحوها . ولم يكن حينئذ وجود للانسان على وجه الأرض ولم يكن شيء مما نراه فى بلاد مصر الآن من الجبال والسهول والمنازل والحقول . ثم إن الأصداف المسطحة المستديرة تعاقبت فى ذلك البحر على توالى الأيام فتراكمت فى قعره طبقات بعضها فوق بعض حتى تعالت كالجبال وتحجرت فى ما رسب عليها من الأتربة وتحولت إلى طبقات صخور كلسية نراها اليوم فى المقطم . و بجوانب الأهرام . ومنها حجارة الأهرام نفسها . ولا تزال تلك الأصداف باقية فيها كاملة الشكل ظاهرة الهيئة إلى يومنا هذا . والأصداف الصغيرة التى لا ترى إلا بالمنظار المكبر توالت بتوالى الزمان فتراكمت أجسادها الصغيرة حتى تعالت و بدت للعيان كالتلال والهضاب وتماسكت وتحجرت فتكونت منها الصخور الغبراء التى منها أكثر منحوتات المصريين القدماء .

« وحيوان المرجان والحيوانات الصلبة القشور انطمرت بما رسب فى قعر البحر من الأتربة الكلسية والرملية ولا تزال جثثها المتحجرة تشاهد فى صخور المقطم إلى يومنا هذا وهى أجافير المقطم .

« ثم جاء زمان قيض البارى فيه لهذه الصخور المتكونة من جثث الحيوانات أن ترتفع من قرار البحر فارتفعت وصارت أرضا يابسة وكان ذلك يوم ميلاد المقطم وانحسر ماء البحر عن وجهه ولكنه بقى غامرا لوادى النيل بجانبه . ثم وقعت بذور النبات عليه وعلى ما فى جوانبه فتأصلت ونمت وصارت أشجارا ملتفة وغياضا متسعة و بقيت كذلك إلى أن شاء باريها فخسفت وعاد الماء فغمرها وطمرت رماله الأشجار فتحولت فيها إلى حجار كما تحولت قبلها الأصداف إلى أحجار ولكن بقيت صورتها الأصلية على ما كانت حتى تراها فتحسبها أشجارا وخشبا وحطبا ثم تمسها بيدك فتجدها صخورا صماء . وهذه الأشجار باقية منتشرة فى الصحراء ولا تزال غابات منها موجودة فى ناحية يقال لها جبل الخشب يقصدها السياح لغرابة أمرها .

=

هـذا حجارته إذا ما قُطِّعت   صلحت بجملتها لكل بناء
لكن ذاك سطوره ما سُطرت   إلا لهـدم فضائل العقلاء

= « قلنا إن هـذه الأشجار تحجرت مطمورة فى رمال البحر، والرمال تحجرت أيضا ولكنها لم تتصلب تصلبا شديدا فتحاتت وتآكلت من تقلب أمواج البحر عليها وجرفها الماء عن الأشجار التى كانت أصلب منها فقاومت الماء وقويت عليه . وبقيت إلى يومنا هذا كما تقدم ولكن بعض الأماكن انفجرت الأرض تحتها عن ينابيع حارة سليكية جرت فيها فشددت تماسك الرمال بعضها ببعض حتى صارت صخورا رملية صلدة صبرت على المياه وأنياب الزمان لصلابتها ولا تزال بقاياها ظاهرة إلى الآن وهى المعروفة بالجبل الأحمر .

« كل ذلك والبحر غامر للقطم والجبل الأحمر وجبل الخشب الواقعة الآن شرقى مدينة القاهرة مائلة يسيرا نحو الجنوب وبقى البحر غامرا لها زمانا لا يعلم تمام طوله إلا الله . ثم جعلت ترتفع حتى علت عن وجه الماء وبلغ علو المقطم حينئذ أكثر مما يبلغه الآن وتوالت عليه الحوادث فارتفع وانخفض حتى رسا على علو ستماية قدم . وبقى البحر غامرا كل أراضى الوجه البحرى من وادى النيل فكان مكان هذه الأراضى التى يضرب المثل فى خصبها وجودة تربتها خليجا من البحر المالح قليل العمق بالنسبة إلى البحر قعره مفروش بالرمال والنيل يصب فيه ماءه وما يحمله من التراب والابليز من قلب قارة أفريقية .

« وما زال النيل يصب طينه فى جوف هـذا الخليج ويفرشه فى قعره حتى ملأه فانحسر الماء المالح عنه راجعا إلى البحر وصار وادى النيل أرضا يابسة من أخصب أراضى الدنيا والمقطم يشاهد ذلك ويفتر ثغره القاحل لجمال خضرتها ويمنع رمال الصحراء من أن تنوى غضاضتها وتذهب ببهجتها .

« فهذا تاريخ المقطم على ما سطره لنا العلم ... وورد فى كتب العرب ما يوافق ذلك فى بعض الأمور مثل اكتساء المقطم قديما بالأشجار وتجرده منها الآن . أما اسم المقطم فزعموا أنه نزله المقطم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح فسمى باسمه » .

« هذا والغريب أن الداخل إلى مصر لا يرى إلا سهولا فسيحة تضيع فيها الأبصار حتى يعترض نظاره المقطم قائما بين المروج الخضراء ورمال الصحراء . فاصلا بين الخصب والجدب . فارقا بين الموت والحياة . فيرتاح بقربه ويقر عينا بالاستظلال به ويشعر كما شعر أبو الطيب المتنبى يوم قصد كافورا إلى مصر جائبا الصحراء على ظهور النياق حيث قال :

ولا اتّبعت آثارنا عين قائف   فلم تر إلا حافرا فوق منسم
وسمنا بها البيداء حتى تغمرت   من النيل واستذرت بظل المقطم

« فباسم هـذا الجبل المبارك سمينا جريدتنا تفاؤلا بأن تكون مثله ثابتة الأركان سامية المبادئ فاصلة بين الحق والباطل فصله بين الخصب والجدب ... » .

وداع الشبيبة المصرية

للورد كرومر (١)

يا راحلا عنا وذكرك خالد ... أبدا ليحيي بيننا الآلاما
سر بالسلامة حاملا زفراتنا ... واذكر مقامك بيننا الأعواما
واذكر حكاية دنشواى فإنها ... كم خلفت بين الربوع يتامى
واعلم بأنك قد أهنت ديانة ... كم أخضعت لنبيها الأفهاما
هل ينكر الأقوام أن محمدا ... ملأ الوجود حضارة وسلاما
إن كنت تجهل أمره فسل الورى ... وسل الوجود بل آسال الأياما
كم كان قبلك من دعي يرتجي ... طمس الضياء فما أصاب مراما
مدنية الدنيا أجيي جاهلا ... أوليس واضع أسك الإسلاما
لكنما الأغراض تعمى أهلها ... حتى يروا ضوء النهار ظلاما
هذا ختامك بين قوم أحسنوا ... لك صنعهم أحسن بذاك ختاما

« شاب »

---

(١) فى مساء ٤ مايو سنة ١٩٠٧ أقيمت حفلة الوداع للورد كرومر فى (الأوبرا الخديوية) . خطب الكونت دوسر يون نائبا عن الجالية الأجنبية فقال : « ولا أخشى أن أخرج عن الدائرة التى رسمت لى بتجديد ذكر الأعمال العظيمة التى امتازت بها مهمة اللورد كرومر فى مصر والتى جعلت هذه البلاد من أسعد بلدان العالم » . ألقى اللورد كرومر خطبة بالفرنسية شكر فيها الكونت دوسر يون . ثم ألقى مصطفى باشا فهمى رئيس النظار كلمة أعرب فيها عن أسفه لفراقه : « إن هذا العمل المجيد سيخلد إسمكم الكريم و يدعو مصر اليوم كما أنه يدعوها فى مستقبل الأيام إلى الاعتراف لكم بهذا الجميل » . ثم ألقى اللورد كرومر خطبة الوداع الشهيرة بالانكليزية فقال « إنه لا يفارق هذه البلاد لأسباب سياسية (تصفيق طويل جدا) » ثم أثنى على المستر فندلى . ثم على الخديوى توفيق باشا . ثم على نوبار باشا . ثم على دولة رياض باشا . فعطوفة مصطفى فهمى باشا . فسعادة بطرس باشا غالى . فسعادة سعد زغلول باشا فكبار أعوانه من الانكليز . اعتذر كرومر بعد ذلك عن المصريين ونكرانهم الجميل وجحودهم وتكلم عن « يد التمدن الغربى التى كانت تبسطها انكلترا لعملها فى الخمس والعشرين سنة الماضية والتى انتشلت المصريين من بالوعة اليأس » ثم قال : « وهب أنى اقتنعت — وما أنا مقتنع مطلقا — أن أبناء الجيل الحاضر لا يعترفون بهذه الحقيقة الجليلة فإنى لا أزال أؤمل مع ذلك أن يعترف نسلهم بها إذ المعتاد أن أولاد العميان يكونون من المبصرين » (ضحك) وختم كلامه مبشرا المصريين باسم حكومة جلالة الملك رسميا بدوام الاحتلال البريطانى إلى ما شاء الله فى مصر . وسخر من الحركة الكاذبة المفتعلة لإنشاء مجالس نيابية سريعا » .

وقد رد على يوسف صاحب المؤيد فى عدد ٧ مايو على اللورد كرومر ردا بليغا ونشر شوقى بامضاء مستعار قصيدته الشهيرة (أيامكم أم عهد إسماعيلا) فى ٩ مايو . ولكن شاعرنا منذ حادثة دنشواى (يونيه سنة ١٩٠٦) لغاية أوائل سنة ١٩٠٨ ، كان لا يفتأ يغذى متنكرا مختلف الصحف الوطنية بمختلف الشعر من فصيح جدى أو عامى ساخر .

(المؤيد) فى ١١ مايو سنة ١٩٠٧

المــؤيد والمقطــم

« عجالة من أحد كبار شعراء مصر إلى المؤيد »

حبرت مقــالة جمعت فأوعت وجاءت فى سـبيل الحق غاية

شفيت غليلنــا ودفعت عنــا وقمت بمنتهى فـرض الـكفاية

فـلا زالت سهامك صائبـات على رغم الوشـاية والسـعاية

ففى صــدر المقطم قد قـرأنا سـطورا خطها قـلم الغواية

وفى صــدر المؤيد قـد تلونا بحمــد الله آيات الهــداية

يصدّعنــا المقطــم كل يوم ويزعجنــا بإعلان الحماية

وينــذرنا بويل بعــد ويـل على ويل كما نعــق ابن دايه (١)

فمهــلا فيلسوف الشر مهــلا فإن لكل نازلــة نهـاية

لقــد كشف المؤيد عنك سترا وأظهــر للــملا بطــل الرواية

فمثّــل غير هــذا الدور واعـلم بأن اللورد قــد قطع الجراية (٢)

(خيال الظل) — العدد العاشر — ١٧ مايو سنة ١٩٠٧

طلب منا نشر ما يأتى : « هل يتبرأ شاعر إسماعيل أيضا من هــذين البيتين اللذين أنشدهما غير صديق له فى المشهد والراوى حاضر يشهد » :

قــل للهمام على فى مـؤيده يبـقى مؤيده البـارى ويبقيــه

دع المقطم لا تذكر مسـاوئه من حرمة الميت أن تطوى مساويه

---

(١) ابن داية الغراب . (٢) الجراية بالفتح الجارى من الوظائف ، والجراية بالكسر و بالفتح : الوكالة .

خطبة العميد الراحل

اسمعنا (بارنج)(١) فی صدّه   قولا غريب الشكل فی حدّه
قد سب إسماعيل(٢) عند ابنه   وسب رب القطر فی جدّه
من بعد أن أوسع تقريره   مغامزا للدّين من حقده
وأنكر الشمس وأثنى على   من بات طول الدهر فی كيده
وقال إن النيل من فيضه   وذا الرقیّ اليوم من وجده(٣)
وإنه والعدل نبراسه   قد أُصلح القطر على عهده
قلنا صدقناك فهل هكذا   يصول سيف الحق من غمده
لكن من كان أخا حكمة   وباقیَ العهد على وعده
لا يظهر التأثير فی أمة   ترى نوال السعد فی بعده
قال فريق لم يكن قصده   إلا المزاح المحض فی ردّه
فقلت إن كان بنا هازلا   فليس هذا الهزل من وجده(٤)

(١) بارنج اسم الأسرة للعميد قبل أن يسمى اللورد كرومر. (٢) طعن كرومر فی خطبة الوداع فی الخديوی اسماعيل. (٣) الوجد القدرة. (٤) الوجد هنا المحبة.

(خيال الظل) فى ٣١ مايو سنة ١٩٠٧

(١)

مارش وحيـــد [١]

احفظ لنا يا ربنا «وحيدنا» خصم الوطن
وأدم عليه شوامه متمتلقين مدى الزمن
وأطل له « طربوشه » وامطط له « أنفوشه »
واحفظ له جاويشه « سامى » العزيز المؤتمن

❖

أنزل عليه الشيخ «رشيد» بالوحى من عند العميد
يرد بإذنك كالجليد (الصيف ضيعت اللبن)

---

(١) فى سنة ١٩٠٧ تألف حزب الأحرار برياسة محمد وحيد وكان هـذا الحزب يلقى العون والتأييد عند أصحاب المقطم وعملاء الاحتلال . ومما لا ريب فيه أن عزل كرومر فى أوائل الصيف حرم هذا الحزب وجماعته وأنصاره من عمدتهم وسيدهم و إلى هذا يشير الشاعر بقوله (الصيف ضيعت اللبن) ، وهو مثل معروف .

وقـد كتب (محمد غانم) فى (خيال الظل) بتاريخ ١٤ يونيه سنة ١٩٠٧ مقالا يلقى بعض الضوء على ما ذكرناه قال : « انتهى الحال بالمقطم الى البوار والكساد . . فأخذ يدعو الجرائد المحلية الى نشر ما ورد عليه من الرسائل التى كلها من وضع « سامى » . وما وحيد افندى (المظلوم) إلا آلة بيد ذلك المحرر يحركها كيف شاء .

« أى احتقار للصحافة الكبرى فى مصر أعظم وأشـد من أن يشتغل بها أمثال هزاع ووحيـد أفندى ونشأت بك وخيرى الصائغ وكوكورولو والبصيلى وأشباه هؤلاء من الحزب الجديد حزب وحيد الذى أمكن للقطم بعـد ٢٥ سنة فى خدمة الاحتلال أن يقدمه للانجليز دليلا على نفوذه . ولو عاش اللورد كرومر سنة أو سنتين فى مصر لرأينا اسم هذا الحزب مذكورا فى التقرير (السنوى) بعبارات التعظيم والتكبير ورأينا وحيـدا فى الوزارة وخيرى فى الوكالة والبصيلى فى مشيخة الأزهر . . ولكن الله سلم وذهب الصيف وجاء الخريف » .

والغريب أن « محمـد غانم » الموقع على المقال السابق نشر فى جريدة (الأخبار) فى ٢٢ ديسمبر سـنة ١٩٠٧ مقالا بعنوان (الحزب الجمهورى . سيادة الأمة مصدر كل سيادة) وبتوقيع (الداعى إلى الحزب الجمهورى . محمد غانم) ومعلوم أن جرائد الاحتلال فى نظر الوطنيين فى ذلك العهد هى المقطم والظاهر والوطن والأخبار ومجـلة المنار . كما أن تكاثر الأحزاب (الحزب الوطنى وحزب الأمة وحزب الاصلاح وحزب الأحرار والحزب الجمهورى الجديد) كان الغرض منه تفتيت القوى الوطنية وإضعافها .

ويظهر أن بعض الأحزاب الموالية للانجليز كان يحاول إنشاء فروع له فقـد كتبت (الممتاز) فى ١٦ أغسطس سـنة ١٩٠٨ تحت عنوان (الحـزب الفرعى للأحرار) تقول : « كان هـذا الحزب فى أول أمره سورياً يحركه المقطميون بوساطة سامى افنـدى قصيرى الصديق الخاص لمحمد افندى وحيـد الرئيس . ثم رأينا الرئيس حول دفته إلى الأقباط إذ لم يجد من السوريين من يعاونه على تأسيس حزب فرعى له . فاتجه إلى أخنوخ افندى فانوس » .

(٢)

مع السلامة أيها المسافر

(دلنا على هذه القصيدة الأستاذ طاهر حقى)

يا سعد إن أنت دخلت لوندرة ... منتصرا مظفرا كعنترة
وجاءك اللورد على المحطة ... وحمل الأتباع عنك الشنطة
وسرت محمولا على الأكتاف ... بين قيام الناس والهتاف
وقيل تلميذ الإمام مرا ... يا مرحبا به وألف «هورا»[١]
اختاره اللورد من الأنام ... معتدل المبدأ والقوام
كأنه (بوتا)[٢] الفتى المظفر ... بين صفوف المعجبين يخطر
كلاهما بوده حبانا ... من بعد شر غارة أصلانا
هذا غزانا بالسيوف اللامعة ... وذا غزانا مرة بالجامعة[٣]
فقم خطيبا فى بنى التاميز ... وامدح مذل الوطن العزيز
وقل لهم أخذتم فرعونا ... وكان للعبد الفقير عونا[٤]
عندى وإن زالت به الأيام ... حب له فى القلب واحترام

«شاعر المعارف»

---

(١) هورا بالانجليزية تعادل كلمة "برافو" الفرنسية ومرحى العربية .

(٢) بوتا أحد كبار قواد البوير .

(٣) فى أكتوبر سنة ١٩٠٦ تألفت اللجنة التحضيرية لمشروع الجامعة المصرية من سعد بك زغلول وكيلا للرئيس العام ومن قاسم بك أمين سكرتير اللجنة وأعضاء آخرين على أن تجتمع مرة أخرى لانتخاب الرئيس وأعضاء اللجنة النهائية . وقد بلغ أول اكتتاب ٤٨٥ جنيها . . وكانت حركة الاكتتابات بطيئة ولم يشجعها الخديو . وفى آخر نوفمبر سنة ١٩٠٦ استعفى رئيسها سعد باشا زغلول لاشتغاله بنظارة المعارف العمومية وانتخب قاسم بك أمين مكانه . . وقد صرح الرئيس الجديد آنئذ برأى الحكومة (كرومر وسعد) : "انها تستحسن فكرة الجامعة ولكنها ترى المشروع سابقا لأوانه"!!

(٤) فرعون يريد اللورد كرومر والعبد الفقير سعد زغلول . كان شوقى يندد بسعد لأنه صديق لكرومر وعدو لعباس وكانت جريدة الحزب الوطنى لا تفتأ تشن الغارة على سعد إذ كتبت (اللواء) فى ١٥ أكتوبر سنة ١٩٠٧ تحت عنوان (سعد باشا ودنلوب . أصحيح ما يقال ؟) ما يأتى : "أكد لنا بعض الفضلاء أنهم سمعوا سعد باشا زغلول يقول بأعلى صوته أنه يحب المستر دنلوب ويميل إليه بكل جوارحه وإنه لا يعبأ بما قاله الأستاذ لمير ضده وأنه يرجو بقاء دنلوب فى المعارف طويلا ... فهل هذه وظيفتك التى تدعيها ؟ وهل قضى عليك أن تحارب آمال الأمة فى الجمعية العمومية وتعضد دنلوب ضدها ؟ وهل تطربك مطاردة دنلوب لك وتجريده جيشا من الموظفين ضدك ؟ =

(٣)

زحماك بالزغاليل

أيا الورد فى طول البلاد وعرضها . زغاليل من حر الفراق تطير
فكلها إذا حطت لديك بلندن . فأمثالها فى دنشواى كثير

= "إن سعد باشا لم يخجل من اطراء الورد كرومر علنا بعد أن طعن اللورد فى الإسلام ذلك الطعن الموجع وسب المصريين سبا صريحا ولقبهم (بالعميان) ورماهم بكران الجبل . نعم اطرى سعد باشا اللورد ولم يخجل من أن يقول لمكاتب (المؤيد) الاسكندرى إن اللورد كرومر فى نفسه مكانة عالية من الاحترام ولم يراع احساسات أمته ولا عواطفها إطلاقا" .

على أن واجب الإنصاف يحتم علينا أن نقول إن سعد زغلول فى مدى نظارته للمعارف عرف كيف ينافح عن كرامته كمصرى وكوزير وأن كرومر وعثله دنلوب مستشار المعارف يحسبان له حسابا . وليس أدل على ذلك من حادثتين : الأولى حادثة المسيو لامبير ناظر الحقوق الفرنسى الذى أقصاه دنلوب وعين مكانه إنجليزيا جاهلا هو المستر هيل فى يولية سنة ١٩٠٧ . فقامت ضجة عامة . وقد نشر المسيو لامبير فى جريدة (الطان) وقتئذ مقالة «كانت بمثابة صحيفة اتهام لسياسة الاحتلال فى التعليم وتصرفات المستر دنلوب» . جاء فى هذه المقالة : «إن الموظف الانجليزى القابض على الادارة الحقيقية لوزارة المعارف وهو المستر دوجلاس دنلوب كان قبل قدومى الى مصر بعام قد حارب ناظر مدرسة الحقوق السابق الأستاذ جرانمولان . انتهى مستر دنلوب أخيرا بالتعرض لكرامتى تعرضا مؤلما . وذلك أنه أراد أن يجعلنى بالرغم منى شريكا له فى الدسائس التى يدبرها ضد وزير وطنى هو سعادة سعد زغلول باشا ، ذلك الذى اختارته الوكالة الإنجليزية بفعل تأثير الرأى العام عليها والذى لم يشأ أن يكون آلة لا إرادة لها . فلكى ينزع من هذا الوزير كل سلطة ويغلبه على أمره أكره رؤساء الموظفين فى الوزارة على أن يتألبوا حزبا واحدا لعرقلة كل عمل لرئيسهم الرسمى . وكنت أتلقى أوامره قبل تحرير تقاريرى الرسمية ثم كان يجبرنى على تقديمها له قبل ارسالها للوزير لينقح فيها مايشاء ... الخ» . (انظر مصطفى كامل لعبد الرحمن الرافعى ص ٢٥١ — ٢٥٦) . والحادثة الثانية هى حادثة مسز جونستون ناظرة المدرسة السنية للبنات (فبراير — مارس ١٩٠٩) . فقد قررت هذه الناظرة الانكليزية طرد فتاة كانت تشك فى حسن سلوكها فكتب ناظر المعارف اليها مرتين لإبقاء الفتاة فلم تكترث له فأحال سعد باشا الناظرة الى مجلس تأديب ولكن المجلس اكتفى بانذارها ... فما كان من سعد إلا أن نقلها إلى مدرسة بولاق واضطرها بذلك إلى الاستقالة .

وقد علقت على هذه الحادثة جريدة (المنبر) فى عدد ٢٥ فبراير سنة ١٩٠٩ بقولها : "نحن مع اعجابنا بشجاعة وحرية سعادة سعد زغلول باشا لا ننكر عليه التسرع فى هذا الحادث . وقد أوجد المسز جونستون فى مركز حرج ... وإن كنا لا ننكر أن الناظرة قد أخطأت لأنها لم توقف سعادة ناظر المعارف على الأسباب الحقيقية التى حملتها على فعل ما فعلت» . ثم ذكرت الجريدة ما قالته (الغازيت) بهذه المناسبة بعد الاشارة إلى سياسة عدم التدخل فى الشئون الادارية منذ رحيل كرومر : «كان يجب على دنلوب إزاء هذه المسألة — مسألة المعاملة التى لاقتها أجل سيدة فى النظارة — أن يتبع الطريق الوحيد الممكن وهو تقديم استعفائه فى الحال» .

وفيما يتعلق بتعليم اللغة الانجليزية على حساب اللغة العربية — وهو ما كان يتهم به سعد — مما لا ريب فيه أن إتقان اللغة الانجليزية وآدابها من شأنه رفع مستوى الثقافة العامة فى مصر بما فيها — بطريق غير مباشر — دراسة اللغة العربية وآدابها . فالى ذلك العهد — عهد سعد — يرجع تدريس شكسبير فى المدارس الثانوية واهتمام الكتاب والأدباء المصريين بترجمة مسرحياته . كتبت جريدة (المؤيد) فى عدد ٧ ديسمبر سنة ١٩١٠ تحت =

ولكن هـذى هضمها فيـه راحة وتلك لعمـرى هضمهن عسـير [1]

= عنوان (أدبيات اللغة الانجليزية فى السنة الرابعة التجهيزية) فصلا جاء فيه : "منذ عين سعد باشا زغلول ناظرا للمعارف تغيرت دراسة اللغة الانكليزية تغيرا تاما فبعد أن كانت تدرس تقريبا دراسة سطحية أدخلت عليها أدبياتها . وقد كانت أول سنة قررت فيها تلك الأدبيات هى سنة ٩٠٧ المتدخلة فى سنة ٩٠٨ وكانت الكتب المقررة هـذه السنة روايتين إحداهما (مكبث) لشكسبير والأخرى (قصة المدينتين) لدكنز . وفى سنة ١٩٠٨ — ١٩٠٩ قـررت النظارة روايتين إحداهما لشكسبير وهى (هملت) والثانية لثكرى وهى (هنرى أزمند) وفى سنة ١٩٠٩ — ١٩١٠ أى السنة الماضية قررت رواية (العاصفة) لشكسبير و (سيد بلترى) للكاتب ستيفنسن . بعد ذلك عين أحمد حشمت باشا ناظرا للمعارف وفى مدته أى فى هذه السنة ١٩١٠ — ١٩١١ أصبحت ثلاثة كتب مقررة هى رواية (كوريو لانس) لشكسبير و (المتفرج) و (مقالات مكولى) .

صحيح أن عناية أدبائنا وشعرائنا بشكسبير تقدمت عهد سـعد ولكن تقرير أدب الشاعر فى المدارس المصرية ساعد على تعميم دارسة اللغة الانكليزية وآدابها وتذوق شكسبير .

(١) فى هذه الأبيات روح شوقى . قال فى حكاية « الحمار فى السفينة » :

سقط الحمار من السفينة فى الدجى فبكى الرفاق لفقده وترحموا

حتى إذا طلع النهار أتت به نحـو السفينة موجة تتقـدم

قالت خذوه كما أتانى سالما لم أبتلعـه لأنه لا يهضـم

إلى الشيخ الخلوتى[1]

لا والزبيب وحزة من حمص ... والورد والتسبيح من متبلبص

وريالة تجرى على شفة الشيق ... إن قيل قم فى حلقة الذكر ارقص

والضرب فى طول الجيوب وعرضها ... بتلطف وتحيل وتلصص

والطعن فى الوطن العزيز وأهله ... والمدح فى قرع الوكيل الأهجص

ما الشاذلى وإن (تفندل) فرمه ... إلا محل كرامة كالقمص

نزل البنون إلى الحضيض بجدهم ... من بعد ما وطئ السها بالأخمص

---

(١) كان صانع كرومر عبد الرحيم الدمرداش (الشيخ خلوتى) شيخ طريقة، والشيخ عبد الكريم سلمان المحامى الشرعى، والشيخ محمد العروسى شيخ طريقة، جاء فى (مختلف) توليه سنة ١٩٣٠ أن عبد الرحيم الدمرداش باشا ولد فى سنة ١٢٧٠ = (١٨٥٣) ومات فى رمضان سنة ١٣٤٨ = (فبراير سنة ١٩٣٠). وكان مولده فى زاوية جده بقرية الدمرداش بالعباسية، وهو ابن الشيخ مصطفى بن صالح أغا أحد المماليك الشراكسة المعاصرين لمحمد على باشا وقد تزوج صالح أغا من إحدى كريمتى السيد محمد محمد الدمرداش شيخ السادة الدمرداشية إذ ذاك ورزق منها بالشيخ مصطفى والد المترجم له.

وجاء فى مقال ظهر بجريدة (المنبر) فى ٨ مايو سنة ١٩٠٧ تحت عنوان " ملاحظات واعتبارات فى الأوبرا الخديوية، على خطبة اللورد كرومر " ما يأتى: — من تلك المضحكات أن الشيخ عبد الكريم سلمان، وكان فى المربع يجاوره السيد عبد الرحيم الدمرداش، يصفق أو يصفقان مع المصفقين الانكليز وهما لا يعرفان من اللغة الانكليزية ولا شبه حرف.. حينما كان يقول اللورد كرومر مثلا " إن الاحتلال البريطانى يدوم إلى ما شاء الله ". ولما قال اللورد كرومر: " إن أولاد الصبيان يكونون من المصريين " صفق الانكليز وصفق معهم الأستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان.. ومن هذه المضحكات المبكيات أن سعادة شواربى باشا فى سنه وبياض لحيته وسمن جثته هرول للسلام على اللورد كرومر بعد أن ألقى خطبته.."

وقد أشرنا من قبل الى حفلة وداع اللورد كرومر فى ملعب الأوبرا (٤ مايو) وكان من حضارها الشيخ عبد الكريم سلمان والشيخ الدمرداش والشواربى باشا الذين كانوا يصفقون للورد كرومر وهو يسب فى خطبته المصريين. وقد ظهرت فى ٩ مايو قصيدة شوقى الشهيرة فى وداع اللورد كرومر التى يقول فيها:

فى ملعب المضحكات مشيد ... مثلت فيه المبكيات فصولا

شهد (الحسين) عليه لمن أصوله ... وتصدر الأعمى به تطفيلا

قال شارح الديوان (ص ٢٠٩ جـ أول طبعة سنة ١٩٢٦) أن الحسين هو الأمير حسين كامل الذى أهانه كرومر فى خطبته بطعنه فى إسماعيل وأن (الأعمى) هو الشيخ عبد الكريم سلمان وكان قد ضعف بصره وكاد يكف.

وقد أشار شوقى فى هذه القصيدة الى فتحى زغلول:

هل من نداك على المدارس أنها ... تذر العلوم وتأخذ (الفوتبولا)

أم من صيانتك القضاء بمصر أن ... تأتى بقاضى دنشواى وكيلا

فتحى زغلول ودنشــواى

جاء فى العــدد السابع من المجلد الأول من مجـلة « أبولو » عدد مارس ســنة ١٩٣٣ ما يأتى : « لمـا فكر البعض فى إقامة حفلة تكريم لفتحى زغلول بمناسبة تعيينه وكيلا لوزارة الحقانية فى فندق شبرد ، طلبوا إلى شوقى أن يسهم فى الحفل بقصيدة . وقبيل الحفل أرسل شوقى مظروفا ، فلما فتح وجدت فيه الأبيات التالية التى بقيت مكتومة إلى يومنا هــذا . وقد ظفرنا بها من صديقنا الشاعر على محمود طه عضو مجلس جمعية أبولو » :

إذا ما جمعتم أمركم وهممتمو ... بتقــديم شىء للوكيل ثميـن
خذوا حبل مشنوق بغير جريرة ... وسروال مجـلود وقيد سجـين
ولا تعرضوا شعرى عليه فحسبه ... من الشــعر حكم خطه بيمـين
ولا تقرأوه فى شبرد بل اقرأوا ... على ملأ من دنشــواى حزين

* * *

وحقيقة الموضوع أنه لم تقم حفـلة تكريم لفتحى زغلول إلا فى ٢٧ يونية سنة ١٩١٣ على أثر نشر كتابه (شرح القانون المدنى) أما فى النصف الثـانى من سنة ١٩٠٧ فكان التفكير منحصرا فى تقــديم هدية إلى فتحى زغلول تكريـما له بمناسبة تعيينـه وكيلا لوزارة الحقانية فى سنة ١٩٠٧ ، وإلى هــذه الهدية يشير شوقى فى البيت الأول .. وقد كتبت (اللواء) بهذه المناسبة فى عدد ٩ يونيــه سنة ١٩٠٧ ما يأتى : « ماجورو قاضى دنشواى يريدون أن يقدموا هديتهم إليه فى هــذا الشهر» إشارة إلى حادثة دنشواى التى حدثت فى مثـل هذا الشهر (يونيه) من سنة ١٩٠٦ .

أما قول المجلة « وقبيل الحفل أرسل شوقى مظروفا فلما فتح وجدت فيه الأبيات التالية التى بقيت مكتومة إلى يومنـا هذا . . » فقول مبـالغ فيه فلا حفل هنـاك ولا كتمان لأن « خيال الظل » نشرت الأبيـات فى إطار فى صفحتها الأخيرة المصوّرة بدون إمضاء أو أية إشارة إلى قائلها ، وذلك فى عدد ٢٠ يونيه سنة ١٩٠٧ ، تحت صورة تمثل فتحى زغلول وهو ينظر منزعجا إلى قتـلى دنشواى ماثلين أمامه جماجم وهيا كل . . وكان عنوان الأبيات (إلى النفر الحامين) ونصها واحد إلا فى البيت الثالث فقد ورد هكذا :

ولا تكتبوا حرفا إليـه فحسبه ... من الكتب حكم خطه بيمـين

وقد نشرت (السياسة) فى عدد ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٣ القسم الأول من خطبة الهلباوى الانتخابية لعضوية مجلس النواب فى أبى تيج تحت عنوان (دنشواى وما بعد دنشواى) جاء فيها : « يعيدون مرافعتى ولا يذكرون أن المرحوم فتحى باشا زغلول شقيق سعد باشا هو الذى قبلت ذمته أن يحكم مع الآخرين بتلك العقوبات لأن الحكم كان بالإجماع . وقبل قلمه أن يسطر تلك الحيثيات لأنه هو وحده الذى سطر حيثيات الحكم التى تنفث لهبا ونارا . . » ثم قال « إن فتحى زغلول بعد الحكم فى قضية دنشواى استحق المكافأة من الإنجليز فأخرجوا المرحوم إسماعيل باشا صبرى من مسند وكالة الحقانية بطريقة استبدادية وأجلسوا محله بطريق الترقى العظيم صاحب العزة أحمد فتحى بك زغلول بمرتب ١٢٥ جنيها شهريا ومنحه رتبة باشا . ولكى يتموا جميلهم على هذا البيت الكريم رقوا شقيقه الكبير معالى سعد باشا فى السنة نفسها من مستشار فى الاستئناف إلى وزير المعارف » . .

(خيال الظل) فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٠٧

معرض السياسة . إلى أحد المتهمين

يا (فارسا) ترجلا … وانحط بعد ما علا

هل القضاء لعبة … نلهو بها والله لا

كنت صديق اللورد وال … ـميدى وأحرزت الولا

وكنت للستر والسـ … ـير المحب الأولا

لكن مضى ذاك الزما … ن قاطعا ما اتصلا

فلا تظن ذكرهم … يدنى إليك أملا

ولا تهدد قاضيا … من شأنه أن يعدلا[1]

---

(١) جاء فى (المؤيد) بتاريخ ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٠٧ تحت عنوان « حكم محكمة الأزبكية الجزئية » . بجلسة الجنح المنعقدة علنا بسراى المحكمة فى يوم الأحد ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٠٧ تحت رئاسة حفنى بك ناصف القاضى صدر الحكم الآتى : فى المعارضة المرفوعة من يعقوب افندى صروف بتاريخ ٩ أكتوبر سنة ١٩٠٧ عن الحكم الغيابى الصادر فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٠٧ من هذه المحكمة القاضى بتغريمه خمسين جنيها وبإلزامه بدفع خمسين جنيها أخرى تعويضا بالتضامن مع من كانوا معه من رجال جريدة (المقطم) وبأن يدفع معهم ثلث المصاريف لقذفهم فى حسين افندى لطفى مأمور كرموز فى عدد (المقطم) الصادر فى ١٧ مايو سنة ١٩٠٧ بأن أسندوا إليه أنه أخذ جنيهين رشوة من كل واحد من أصحاب القهاوى الكائنة فى دائرة قسمه الخ ... » .

يشير الشاعر إلى الحكم الغيابى الصادر فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٠٧ والذى تأيد فيما بعد بجلسة ٢٠ أكتوبر .

اللواء فى ٨ يناير سنة ١٩٠٨

أخبار وحوادث دنشواى

العيدان السعيدان

« أرسل إلينا شاعر تم قصيدته عن مكانته بين الشعراء ، وهذه القصيدة الغراء بمناسبة عيدى الجلوس السعيد والإفراج عن مسجونى دنشواى ، ولم يشأ أن يعلن اسمه للناس حبا منه فى أن يكون متفرجا مع المتفرجين ، وفرحاً مع الفرحين ، ولاهيا مع اللاهين . يختلط بالشعب فلا تغيره عظمة الأغنياء والكبراء إذا ذكر ما كان عليه مسجونو دنشواى[1] بالأمس وما نحن فيه اليوم من السرور العام بفضل سمو الأمير والناظرين من الانكليز إلى مصلحتهم نظرة رشيدة . وإلى القراء هذه القصيدة الفريدة بنصها :

شكرتك فى أجداثها الشهداء ... وترنمت بثنائك الأحياء

إن كان فى تلك الجماجم أعين ... لم تبل فهى تحية ودعاء

أو كان ينبت فى التراب لسانه ... نبت الثناء لك منه والإطراء

حبست يتامى دمعها وأرامل ... لما تنقل فى القرى البشراء

وتقول كل حزينة فى خدرها ... ذهب القساة وجاءنا الرحماء

فمن البشير إلى عظام فى الثرى ... دُفنت وطاف بها بلىً وعفاء

بكر القضاء مقربا آجالها ... إن الحياة أو الممات قضاء

---

(١) كانت (اللواء) نشرت فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٠٧ تحت عنوان (العفو عن مسجونى دنشواى . تلغراف خصوصى من لندرة) كلمة جاء فيها : « فى يوم ٢٨ يونية الماضى تم عام كامل على تنفيذ حكم الإعدام شنقا على أربعة من أهالى دنشواى أمام بيوتهم وبالصلب والجلد خمسين جلدة على سبعة آخرين ، وبالأشغال الشاقة المؤبدة على اثنين ، وخمسة عشر عاما على واحد ، وبالسجن من سنة إلى سبع سنين على باقى الواحد وعشرين شخصا لأنهم دافعوا عن أقواتهم ... ففى ذلك اليوم رفعت إلى الجناب العالى ١٤٨ عريضة وقع عليها ١٢٦٧٠ مصريا وأجنبيا متضرعين إلى سموه بطلب العفو عن مسجونى ذلك الحادث المظلم الأفظع ... وقد أبلغنا مراسلنا فى لندرة أنه علم أن مسجونى دنشواى سيفرج عنهم بعد أسابيع قليلة » .

وقد أفرج عن مسجونى دنشواى بمناسبة عيد الجلوس الخديوى . والشاعر هنا (شوقى) يوجه الثناء إلى الخديوى وإن كان صاحب الفضل الحقيق فى الإفراج عن المسجونين هو مصطفى كامل .

ما فات من بؤس البسوس وشؤمها ... أحيت مساوئ عهده الورقاء [1]

طاحت نفوس فى سبيل حمامة ... دخلت عليها أيكها الغرباء

* * *

كان الدفاع [2] مذلة وجبانة ... ليت المداره [3] يوم ذاك نساء

سُرعان ما ختم الدفاع القول ، بل ... سرعان ما قتلت به البرآء

خلت العشيةَ فى السجون أسرّة ... ياليتها للظالمين وِطاء

هانت عليهم فى سبيل رقيهم ... مهج مضت مظلومة ودماء

قد أسرفوا فى حكمهم وتعسفوا ... ما شاء ذلكمو العميد وشاءوا

زرق الجلاليب الذين يحبهم ... هم منه فى حفر القبور براء

فعلت رعايته بهم ووداده ... ما ليس تفعل بعضه البغضاء

أمع المشانق رحمة ومودّة ... ومع السياط صداقة ووفاء

* * *

أسفرتَ عن فرح البلاد وأهلها ... صبح الجلوس لك النفوس فداء

العفو غُرّتك السنية فى الورى ... والحلم شيمة ربك الغراء

لما بدت منك السعود تمزقت ... تلك القيود وأطلق السجناء

مولاى مصر تجملت وتزينت ... بجلوسكم فكأنها الجوزاء

الكهرباء من القلوب سرت إلى ... أرجائها فأضاءت الأرجاء

وإذا القلوب صفت لمالك رقها ... شفّت ونورها هوى وولاء

فى كل مغدى موكب ومراحه ... للنصر والفتح المبين لواء

حيت محياك الكريم (شبيبة) ... مما غرست كريمة زهراء

هى موئل الآمال ما إن جازها ... للملك والوطن العزيز رجاء

---

(١) أخذ شوق هذا المعنى من (مجلة المجلات العربية) عدد يوليه سنة ١٩٠٦ إذ قالت مانصه تحت عنوان (الحمام) : « ليست ناقة البسوس التى ضربت بها الأعارب المثل بالشؤم أشأم من حمامة دنشواى التى صادها الضابط الانكليزى فى يوم الأربعاء ١٣ يونيه سنة ١٩٠٦ ... الخ » :

(٢) الدفاع عن مسجونى دنشواى .

(٣) المداره جمع مداره المحامى . قالت (مجلة المجلات العربية) فى نفس العدد (يوليه سنة ١٩٠٦) عن دفاع المحامين : « أجمع سواد الأمة على أن دفاع المحاماة كان على غير ما يجب أن يكون » ثم قالت إن فريقا من المتدلين « عذروا المحامين الثلاثة لأن رهبة المحكمة المخصوصة قد ألجمت ألسنتهم ... حتى أن أحدهم ظن لكثرة ترديد اسم الكابتن بول الذى مات قتيل ضربة الشمس أنه فى مناحة يؤبن فيها هذا الكابتن فأخذ يبكيه وينوح عليه إلى حد نسى معه موقفه وذهب عنه أنه تبرع للدفاع عن قوم متهمين لا لأن يكون مؤبنا للموتى » .

علمت بأن حقوق عرشك فى الورى ... حصن لمصر وعصمة ووقاء
وبأن سعيك كان سعى مجاهد ... قد خانه الأعوان والنصراء

* * *

ودّوا مكانك للغريب إمارة ... يأبى الغريب ونفسه السمحاء (١)
ورعية لك فى الممالك برّة ... غمرتهمو من يدك الآلاء
فصلُ العرابين فرق بيننا ... بئس الفعال وقبِّح الزعماء
من كل مفقود الشعور مذبذب ... فى بردتيه نميمة ورياء
إن كان منهم فى البلاد بقية ... فعلى البقية لعنة وبلاء

* * *

يا دولة الأحرار ما عاملتنا ... إلا وفيك مروءة وسخاء
الخير عندك للسلام مؤمّل ... والعون منك يرومه الضعفاء
إن النفوس كما علمت حرائر ... كذب الأولى قالوا النفوس إماء
والشعب إن مل الحياة ذليلة ... هان الرجال عليه والأشياء

* * *

لو تقدرين على الحياة وردّها ... قلنا عليك الرد والإحياء
فاستغفرى الله العظيم فإنما ... لذنوبهم يستغفر العظماء
عارٌ فظائع دنشواى وسُبّة ... غسلتهما هذى اليد البيضاء

تعليق

هذه القصيدة من غرر قصائد شوقى، ولا شك أن السبب فى أنه لم يصرح باسمه مهاجمته العنيفة للدفاع والمحامين فى دنشواى وللظالمين (القضاة) والعميد (كرومر) صديق زرق الجلاليب (الفلاحين أصحاب الجلاليب الزرق) ، وكذلك مهاجمته للعرابيين . على أن انجلترا نفسها ، على الرغم من مداهنتها ، لم تسلم من طعنه . فإنه بعد أن أثنى فى المقدمة النثرية للقصيدة على « الناظرين من الانكليز إلى مصالحهم نظرة رشد » ، وبعد أن امتدح فى آخر القصيدة (دولة الأحرار) ومروءتها وسخاءها قال يخاطب هذه الدولة :

---

(١) شوقى هو الشاعر الوحيد الذى يقول "السمحاء" بدلا من "السمحة" وقد وقع فى هذا الخطأ مرارا .

لـو تقدرين عـلى الحياة وردها   قلنـا عليـك الرد والإحيـاء
فاسـتغفرى الله العـظيم فإنمـا   لذنوبهـم يسـتغفر العظمـاء
عار فظـائع دنشواى وسـبة   غسلتهما هـذى اليـد البيضاء

ليس أقدر من شوقى على صياغة أدق المعانى السياسية أو الاجتماعية بلباقة، فإن البيت الأخير فى ظاهره يدل على أن اليـد البيضاء (العفو عن مسجونى دنشواى) قد غسلت عار فظائع دنشواى التى كانت سبة على انجلترا ، وهـذا من أدب الخطاب فى ختام القول . ولكنك إذا نظرت إلى البيت فى ضوء البيتين السابقين تكشف لك باطنه عن معنى مضادّ ، يقول : « إنك لا تقدرين على ردّ حياة من شنقوا ظلما ، فاطلبى المغفرة من الله العظيم لما اقترفت من ذنوب وارتكبت من فظائع لا يمكن محوها أو غسلها » .

هـول كين فى مصر

وأمـير الشـعراء

فى عدد أول يولية سنة ١٩٠٧ نشرت (اللواء) تحت عنوان (رواية دنشواى) ما يأتى :
« بين كتاب الانكليز كاتب فاضل اسمه « برنارد شو » له كعب عالٍ فى الأدب لا سيما كتابة الروايات الاجتماعية والسياسية. وقد أصدر هذا المؤلف أخيرا كتابا اسمه «جزيرة جون بول» و « جون بول » هـذا علم يطلق مجازا على انكلترا ، وقد أفرد هذا الكاتب فى ذلك الكتاب فصلا طويلا بلغت صفحاته سبعين صفحة وجعله « فظائع دنشواى ... » .

بدأت إذن القضية المصرية تكسب تأييد الكتاب الانجليز وعطفهم . ولعل أكبر كاتب دافع عن مصر بعد برنارد شو هو (هولكين) الروائى الشهير . جاء فى الجزء الثانى من الشوقيات صفحة ٩٥ تحت عنوان (مصر) : « قال (شوقى) وقد كان أعدّ وليمة للكاتب الانجليزى المستر هولكين » . يلى ذلك الأبيات وهى أحد عشر بيتا أولها :

أيها الكاتب المصوِّر صَوِّر ... مصر بالمنظر الأنيق الحليق

إن مصر رواية الدهر فاقرأ ... عبرة الدهر فى الكتاب العتيق

وقد نشرت (المنبر) هذه الأبيات لأول مرة فى ٩ أبريل سنة ١٩٠٨ ، ومهدت لها بقولها : « وفد هول كين ضيفا إلى مصر منـذ شهر ليجمع المعلومات والموادّ اللازمة لتأليف رواية عن مصر .. دعاه شوقى إلى مأدبة شائقة فى منزله بالمطرية ، كما دعا اسماعيل صبرى وخليل مطران .. وارتجل الأبيات الآتية الخ ... » .

وفى ٢٨ أغسطس سنة ١٩٠٩ كشف (المؤيد) الستار عن بعض ما جرى فى هـذه المأدبة ، إذ نشر على ستة أعمدة من الصفحة الأولى فصلا تحت عنوان : « مقالات المستر هول كاين . فى منزل شوقى بك » . وهـذا الفصل تلخيص وترجمـة لمقالات هول كاين بالانكليزية وقد جاء فيه : « وصف الكاتب فى أول مقالته زيارته منذ عامين لسعادة شوقى بك شاعر الأمير أنه لقى عنده جماعة من المصريين فبحثوا فى المسائل السياسية وأخصها مركز انجلترا فى مصر ولم يراعوا وجود رجل انجليزى معهم . وأن أحد الباشوات كان ملتهبا غيظا من اللورد كرومر فأفهمه معنى جديدا لكتاب التهديد الذى أرسله عرابى إلى المستر غلادستون قال : « إذا ظلت انكلترا تدوس الأمة المصرية فإن سلوكها هذا يجعلهم فى حل

من جميع المعاهدات والاتفاقيات ، وينتهى الأمر بتعطيل قناة السويس وطرق المواصلات مع الهند » فاحتملت كل هذا حتى عيل صبرى ولم أعد أبالى أنى ضيفهم فقلت للباشا « إن كلامه هذر وهذيان ووقاحة يحيق بها خطر عظيم وعلى كل حال فإن المصريين إنما هم أطفال لا حول لهم تحت سلطة الحكومة الانكليزية وإن من الحماقة القول إن مصر تستطيع أن تحرك إصبعا واحدا فى مقاومة أساطيل انكلترا وجيوشها » . وعند ذلك قال لى ضابط مصرى حارب مع الانكليز فى أم درمان : « لنفرض صحة جميع ما تقوله عن قوة انكلترا وضعف مصر . أوليس الأفضل أن تملكوا بلادنا بروابط المحبة من أن تفعلوا بقوة السلاح » . فأسكتنى هذا السؤال . ولما خرجنا إلى الحديقة وفيها جماعة من الموسيقيين الدراويش ذكرت قول جون ستيوارت : « لا يُبرِّر التسلط على قوم إلا متى كانت الحكومة موافقة لمدنية الشعب المحكوم » فهل فعلت حكومتنا فى مصر ذلك ؟ لعمرى إنها لم تفعل ... الخ » .

الواقع أن المصريين — وقد كانت الحركة الوطنية فى أوج قوتها — كسبوا إلى صفهم كاتبا من أكبر الكتاب الانكليز . فقد ظهرت حوالى أكتوبر سنة ١٩٠٨ رواية النبى الأبيض أو المهدى المنتظر لمؤلفها هول كين وأحدث ظهورها ضجة كبيرة فى انكلترا . أرادت (المنبر) بمناسبة ظهور هذه الرواية أن تلفت بلباقة إلى الدور الذى لعبه شوقى للوصول إلى هذه النتيجة فكتبت فى ٢٥ نوفبر سنة ١٩٠٨ تحت عنوان (المستر هول كين مؤلف رواية النبى الأبيض أو المهدى المنتظر وشاعر سمو الأمير أحمد شوقى بك) تقول : « كان المستر هول كين بمصر فى شتاء العام الماضى [1] دعاه شوقى إلى منزله العامر ... » ثم أعادت نشر القصيدة (أيها الكاتب المصور صوّر ...) كما بدأت فى الوقت نفسه فى ترجمة بعض فصول الرواية ونشرها فى ذيل الجريدة .

وفى ١٥ يونيه سنة ١٩٠٩ نشر (المؤيد) تحت عنوان (رواية النبى الأبيض . احتجاج اللورد كرومر على تمثيلها) ما يأتى : « علم قراء المؤيد مما نشرناه قبل الآن أنهم عدلوا فى انجلترا عن تمثيل رواية النبى الأبيض التى وضعها المستر هول كاين عن مصر والاحتلال وأنحى فيها باللائمة على اللورد كرومر وأعماله . ولا يخفى أن كبير ممثلى الانكليز وأعظم أصحاب المسارح فى انكلترا المستر فرى كان قد أعجب بالرواية وقرر تمثيلها بل إنه جاء مصر بوجه

---

(١) فى ربيع سنة ١٩٠٨ (مارس وأبريل) .

خاص لهذا الغرض فى الشتاء الماضى ودرس البلاد ومناظرها حتى يجعل الرواية حقيقية فى فصولها وتمثيلها بل أن المستر ثرى هو الذى اقترح تمثيلها على مؤلفها ثم عدل ... » .

وفى ٣٠ يونيه سنة ١٩٠٩ كتب المؤيد إن رواية النبى الأبيض ترجم بعضها فى (المنبر) ثم حدث فيها تنقيح شامل له . وفى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٠٩ نشر (المؤيد) تصريحات هول كاين بشأن روايته المصرية بمناسبة منع تمثيل رواية النبى الأبيض : « هول كاين فى ذلك الوقت أعظم روائى فى انجلترا . وقد مثل فى بطل روايته صورة اللورد كرومر . وقد سأله ويكهام استيد[1] الروائى عن ذلك فأجاب : « بدون شك إننى قصدت اللورد كرومر فى شخص اللورد نونهام بطل الرواية .. وجميع الموظفين الإنكليز الآخرين[2] » .

وفى ديسمبر سنة ١٩٠٩ ترجم سليم سركيس المؤيد الرواية كلها ونشرت فيه تباعا .

* * *

فى أثناء ذلك نشرت (المجلة المصرية) فى عدد ٢٥ أبريل سنة ١٩٠٩ قصيدة أخرى لشوقى عنوانها ، ولهذا العنوان مغزاه (الربيع ووادى النيل[3]) مهداة إلى (هول كين كاتب قصة النبى الأبيض عن مصر) . وقد نشرت القصيدة فى الجزء الثانى من (الشوقيات) دون بيان أو تفسير . ونحن معيدون هنا نشرها لأنها فى الديوان مجردة من جوها والروعة الكامنة فى تلميحاتها ومغزاها العميق :

آذار أقبل قم بنا يا صاح   حى الربيع حديقة الأرواح

واجمع ندامى الظرف تحت لوائه   وانشر بساحته بساط الراح

صفو أتيح فخذ لنفسك قسطها   فالصفو ليس على المدى بمتاح

واجلس بضاحكة الرياض مصفقا   لتجاوب الأوتار والأقداح

واستأنس من السقاة برفقة   غر كأمثال النجوم صباح

رقت كندمان الملوك خلالهم   وتجملوا بمروءة وسماح

واجعل صبوحك فى البكور سليلة   للمنجبين : الكرم والتفاح

مهما فضضت دنانها فاستضحكت   ملء المكان سنا وطيب نُفاح

تطغى فإن ذكرت كريم أصولها   خلعت على النشوان حلية صاحى

---

(١) صحفى انكليزى من الطراز الأول له مقالات وكتب وإذاعات سياسية جليلة .

(٢) Lord Nuneham . ويتلخص الرواية فى أن استبداد اللورد كرومر وتمتعه بسلطة أعظم من سلطة فرعون وقيصر من ناحية ويقظة الرأى العام والصحافة فى مصر من ناحية أخرى جعلت انجلترا فى مصر « تجلس على فوهة (بضم الفاء) بركان » .

(٣) نشرت (المؤيد) القصيدة فى ٣ مايو سنة ١٩٠٩ .

(فرعون) خبأها ليوم فتوحه　　وأعد منها قربة (لفتاح)
ما بين شاد فى المجالس أيكه　　ومحجبات الأيك فى الأدواح
غرد على أوتاره يوحى إلى　　غرد على أغصانه صداح
بيض القلانس فى سواد جلابب　　حُلين بالأطواق والأوضاح
رتّلن فى أوراقهن ملاحنا　　كالراهبات صبيحة الإفصاح
يخطرن بين أرائك ومنابر　　فى هيكل من سندس فياح

* * *

ملك النبات، فكل أرض داره　　تلقاه بالأعراس والأفراح
منشورة أعلامه من أحمر　　قان وأبيضَ فى الربى لماح
لبست لمقدمه الخمائل وشيها　　ومرحن فى كنف له وجناح
يغشى المنازل من لواحظ نرجس　　آنا وآنا من ثغور أقاح (١)
ورءوس « منثور » خفضن لعزه　　تيجانهن عواطر الأرواح
الورد فى سُررُ الغصون مفتح　　متقابل يثنى على الفتاح
ضاحى المواكب فى الرياض مميز　　دون الزهور بشوكة وسلاح
مر النسيم بصفحتيه مقبلا　　مر الشفاه على خدود ملاح
هتك الردى من حسنه وبهائه　　بالليل ما نسجت يد الإصباح
ينبيك مصرعه وكل زائل　　أن الحياة كغدوة ورواح
ويقائق (٢) النَّسرين (٣) فى أغصانها　　كالدر ركب فى صدور رماح
و « الياسمين » لطيفه ونقيه　　كسريرة المتنزه المسماح
متألق خلل الغصون كأنه　　فى بُلجة (٤) الأفنان ضوء صباح
و « الجُلَّنار » دم على أوراقه　　قانى الحروف كخاتم السفاح
وكأن محزون « البنفسج » ثاكل　　يلبق القضاء بخشية وصلاح
وعلى « الخواطر (٥) » رقة وكآبة　　كخواطر الشعراء فى الأتراح
والسَرو فى الحِبَر (٦) السوابغ كاشف　　عن ساقه كمليحة مِفراح

(١) أقاح : واحدها أقحوانة وهو نبات له زهر أبيض فى وسطه كتلة صغيرة صفراء .　(٢) يقائق : جمع يقق، وأبيض يقق أى شديد البياض ناصعه .　(٣) ورد أبيض عطرى قوى الرائحة .
(٤) البلجة : آخر الليل عند انصداع الفجر .　(٥) الخطر : نبات يجعل ورقة فى الخضاب الأسود يختضب به .　(٦) الحبر : جمع حبرة بالتحريك ضرب من برود اليمن وملاءة سوداء تلبسها نساء مصر .

والنخل ، ممشوق القدود معصّب ... متزين بمناطقٍ ووشاح
كبنات فرعون شهدن مواكبا ... تحت (المراوح) فى نهارٍ ضاح
وترى الفضاء كأنما من سندسٍ ... نُجِّدت عليه بدائع الألواح
الغيم فيه كالنعام ، بنيّة ... بركت ، وأخرى حلقت بجناح
والشمس أبهى من عروسٍ رقعت ... يوم الزفاف بعسجدٍ وضاح
والماء بالوادى يخال مساربا ... من زئبقٍ أو ملقياتِ صفاحِ(1)
بعثت له شمس النهار أشعة ... كانت حُلَى (النيلوفر) السباح
يزهو على ورق الغصون نثيرها ... زهو الجواهر فى بطون الراح
وبه سواقٍ كالنوادب بالقرى ... زمن الشجى بأنّةٍ ونواح
الشاكيات وما عرفن صبابة ... الباكيات بمدمعٍ سحاح
من كل بادية الضلوع غليلة ... والماء فى أحشائها ، ملواح(2)
تبكى إذا ونيت وتضحك إن مضت ... كالعيس بين تنشطٍ(3) ورزاح
هى فى السلاسل والغلول وجارها ... أعمى ينوء بنيره الفداح(4)

* * *

أبداً أذكر بالربيع وحسنه ... عهد الشباب وطرفه(5) الممراح
هل كانت الأزهار كعمره ... عجل الفناء لها بغير جُناح(6)

---

(١) صفاح : واحده صفح وهو عرض السيف . (٢) الملواح السريع العطش . (٣) رزحت الناقة رزوحا ورزاحا ، ألقت نفسها إعياء وهزالا . (٤) خص شوقى السواقى بأربعة أبيات ولم يخص الثور إلا ببيت أو نصف بيت وقد ذكر شوقى السواقى فى نثره ولكنه بدلا من أن ينظر إلى ذلك الأعمى ذى البؤس والجلالة الذى حرمه الانسان من نور الحرية وفضائها ، ليشقى ويألف النير وهو كاره ، نظر إلى الثور الخرافى الذى يحمل الأرض على قرنين .

قال : « أصوت السواقى فى سماء الليل وعلى فضاء الريف ، أم تنغيم الملائكة فى الأراغيل ؟ أم خوار الثور خرج من الأرض وقد أخذه الضجر ، وناء قرناه بذنوب البشر ؟

« نغم كالنفخ فى الناب ، طبيعة قادوية ساحرة لها فى كل شىء موسيقى حتى فى الليف والخشب ، فيا قينة الأجيال ما هذه الدموع الغوابر التى لم تترف من قرون ولم ترسلها محاجر ؟ وما هذه الضلوع الهاتفه بالشكوى ، الصارخة من البلوى ، وما عرفت الهوى ، ولا باتت ليلة على الجوى ؟ حدثينا عن القرون الأولى ، قرون خوفو . . ومنا » (أسواق الذهب ، طبعة الهلال صفحة ١١٨) .

والواقع أن السواقى والقنوات المتشعبة التى يجرى فيها ماؤها كالفضة خلال جنات مصر ومزارعها من أجمل مناظر الريف . ولا يزال عزيفها يختلط بالغناء الذى كان زاد طفولتنا الباكية أو اللاهية ومتاعها وسلواها . وستنقرض وشيكا سواقينا مع تقدم العمران والعلوم الآلية . وبذلك يختفى مصدر من أهم مصادر الإيحاء الشعرى .

(٥) الطرف الكريم من الخيل . (٦) الجناح الإثم .

(هول كين) مصر رواية لا تنتهى　　منها يد الكتاب والشراح
فيها من البردى والمزمور[1] وال　　تـوارة والفرقان والإصحاح
و (منا) و (قمبيز) إلى (إسكندر)　　فالقيصرين فذى الجلال (صلاح)
تلك الخلائق والدهور خزانة　　فابعث خيالك يأت بالمفتاح
أفق البلاد وأنت بين ربوعها　　بالنجم مزدان وبالمصباح

* * *

قلنا إن عنوان هذه القصيدة (الربيع ووادى النيل) والربيع فصل الحب والنشوة تمثل أعياد الطبيعة وأفراحها فى بهجة ألوانه وفى رفيف نضارته وغضارته . إذ ينسى الإنسان همومه وأحزانه ويتغنى بجمال الحياة . ولكن منظر الربيع فى الوادى يبعث الشجا فى نفس أحمد لا لأنه يذكره بشبابه فإن شاعرنا لم يتجاوز الأربعين ولا تزال بينه وبين الشيخوخة مراحل ومهلة فى الحياة واسعة ولكن شوقى مرآة صافية تنعكس فيها أدق الأحاسيس ويتحرك فى ضوئها كل شجن ولاعج يختفى وراء الزخارف والبهارج فيضرب على أوتار فؤاده ويستثير منها كل حنة ولوعة كامنة .

فى قصيدة (الربيع ووادى النيل) كان الحزن متغلغلا فى قلب شوقى لأن المحتل كان لا يزال ضاربا بجرانه فى الوادى كما أن كرومر وأعوانه فى لندرة ومصر كانوا لا يزالون أصحاب النفوذ على الرغم من زوال عهدهم فلا ندهش إذا نفض قلب شوقى شجاه على الربيع فظهرت تلك الألوان القاتمة فى جو قصيدته . القصيدة مؤلفة من اثنين وخمسين بيتا نصفها فرح ظاهر والنصف الآخر جوى باطن :

يصف الطير فيقول :

بيض القلانس فى سواد جلابب　　حلين بالأطواق والأوضاح
رتلن فى أوراقهن ملاحنا　　كالراهبات صبيحة الإفصاح

ويصف الورد فيقول :

الورد فى سرر الغصون مفتح　　متقابل يثنى على الفتاح
مر النسيم بصفحتيه مقبلا　　مر الشفاه على خدود ملاح
هتك الردى من حسنه وبهائه　　بالليل ما نسجت يد الإصباح
ينبيك مصرعه وكل زائل　　أن الحياة كغدوة ورواح

---

(١) المزمور من المزامير التى كان يغنيها داود عليه السلام .

ثم يقول « والجلنار دم على أوراقه » و « كان مخزون البنفسج ثاكل » و « على الخواطر رقة وكآبة » و « الشروق الحلو السواخ » ثم يصف السواق :

وجرت سواق كالنوائب بالقرى   رمن الشجى بأنة ونواح
الشاكيات وما عرفن صبابة   الباكيات بمدمع سحاح
من كل بادية الضلوع غليلة   والماء فى أحشائها ملواح
تبكى إذا وثبت وتضحك إن هفت   كالعيس بين تنشط ورزاح
هى فى السلاسل والغلول وجارها   أعمى ينوء بنيره الفداح

فهمنا وقت نشر هذه القصيدة أن شوقى كان يشير فى البيت الأخير (هى فى السلاسل والغلول وجارها أعمى ..) إلى مصر وتركيا. وقد كان هذا دائما ديدن شاعرنا : الإكثار من الرموز والاشارات إلى حوادث العصر فى شعره وكتاباته . كتب شوقى بعد عودته من منفاه وسكنى الجيزة صورة « الأسد فى حديقة الحيوانات » (أسواق الذهب ص ١٠٥) وكان ابنه على شوقى وقت كتابتها يسعى للالتحاق بوزارة الخارجية نخشى على أن يكون فى كلام أبيه تعريضا بالملك فؤاد وعصره مما قد يؤدى إلى عرقلة مسعاه فطالب أباه أن يكف عن كتابته فزأر شوقى غاضبا محنقا وأتم كتابته ولم يبال بالعواقب . قال : « يا جار الجيزة وأسير الحديقة . سبحان المعز بالحرية المذل بالرق . ما بال زئيرك ينام عليه الطير ملء جفونه ولا يتحرك له ليل الجيزة من سكونه . أصبح أقل من النباح ، وأذل من النبّاح ، وكان بالأمس يُرعد البطاح . عُطف بقلبى[1] على صغارك أبا الأشبال . إنهم كصغارى ولدوا فى الرق وشبوا على مس هوانه . كلا النشأين مغلوب على دياره . مرزوء بالتشريك فى وجاره[2] » .

(كلا النشأين مغلوب على دياره) . لمسة ساحرة من لمسات أحمد ولفتة من لفتات آمرئ القيس العالية فى شعره الحيوانى العاطفى وصيحة فى وجه الغاصب .

وما تكلم شوقى عن مصرع الورد ، وفناء الدولات منذ منا وقمبيز والاسكندر إلا ليعرِّف صاحبه بلباقة — إن كان صاحبه بحاجة إلى التعريف — بضآلة الاحتلال بل وضآلة كل رواية تكتب عن مصر لأن مصر رواية لا تنتهى . وقد منع الانكليز فى صلفهم وجبروتهم تمثيل الأولى بينما تستمر الثانية . وكان زوال الاحتلال فى فصولها أمرا محتوما خطته يد القدر فى كتاب الحوادث والعبر .

---

(١) يقال عطف الله بقلب السلطان على رعيته : جعله عاطفا رحيما .
(٢) الوجار جحر السبع والتشريك إيجاد شريك : إشارة إلى الاحتلال .

(الجريدة الأسبوعية) . فى ١٧ مايو سنة ١٩٠٨

مـــدد يا رفاعى

يخيـــل لهم أنهـا تســـعى

لشاعر الخيـال

(عن خيال الظل)

نظـارة العدليـــة بـــثروت محميـــة [1]
بنـائب عاد فيهـا بالســيرة المرضيــة
هب للـــوكالة فيهـا من الزغاليل حيـة
فإن ثروت حاوى يعيـــدها سحليـــة

---

(١) نائب عمومى (ثروت) . هكذا جاء فى الجريدة الأسبوعية . وقد نشرت مجلة المحيط فى الحوادث الداخلية (التاريخ اليومى) أن مجلس النظار قرر فى ١٢ نوفبر سـنة ١٩٠٨ تعيين سعادة عبد الخالق باشا ثروت مدير أسـيوط نائبا عموميا خلفا لكوربت بك المستقيل : « وأهمية هذا الخبر أن الوظائف العليا بدأت تعـود إلى أيدى المصريين بعد أن أخذت منهم للانكليز وكان عودها بسبب سياسة الوفاق التى سادت بين قصرى الدوبارة وعابدين » (المحيط . يناير سنة ١٩٠٩) .

(المنبر) في ١٩ سبتمبر سنة ١٩٠٨

أخشى سوء أدبهم

« جاءتنا هـذه الأبيات من شاعر أديب كبير فسألناه لماذا لا يوافق على نشرها باسمه ليظهر رأيه الصريح فقال « أخشى سوء أدبهم » فسمعنا وأطعنا .

إلى العلامة الفاضل أحمد بك زكى [1]

شر البلية أن يكون زعيما ... من لا يسالم فى الرجال كريما

عابوك إذ وجدوا صنيعك بارعا ... ورأوا سبيلك فى الحياة قويما

(١) أحمد بك زكى هو أحمد زكى باشا شيخ العروبة (فيما بعد) كان منذ سنة ١٩٠٦ سرتشريفاتى الخديوى . وفى أوائل سنة ١٩٠٧ كان (سكرتيرثانى) مجلس النظار . وفى سنة ١٩٠٨ كان سكرتيرا الجامعة (القديمة) ومدرسا لحضارة الإسلام بها . ولتوضيح مسلك أحمد زكى نقول : إن الخديوى عباس كان متضامنا أو شبه متضامن مع الحركة الوطنية منذ اعتلائه العرش سنة ١٨٩٢ حتى استقالة كرومر فى أبريل سنة ١٩٠٧ وانتهاج سياسة الوفاق فى عهد خلفه السير غورست . وقد كان من نتائج هـذه السياسة محاربة الوطنيين « المتطرفين » فى شخص محمد فريد وأعوانه بعد موت مصطفى كامل (فى فبراير سنة ١٩٠٨) وإضعاف الحركة الوطنية التى كانت تطالب بالجلاء والدستور . وكان أحمد شوقى الشاعر وحافظ عوض صاحب المنبر والمحرر بالمؤيد وأحمد زكى وغيرهم من أعوان الخديوى يندون بسياسة الحزب الوطنى ويسمونهم « دعاة الفوضى والجهل » .

كتبت (المنبر) فى ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٠٨ تحت عنوان (ماذا يقول اللواء الآن ؟ سمو الخديوى والدستور . لا دستور بغير موافقة الانكليز) ما يأتى : « نشر المؤيد أمس حديثا مع سعادة شوقى بك رئيس قلم ترجمة المعية قال فيه عن الدستور وسمو الخديوى ما نصه بالحرف الواحد ، قال سعادة شوقى بك : « إن الجناب العالى خلق محبا للدستور وشب على ذلك فى الملك وقد مضى على سموه ستة عشر عاما يحكم ومعه وزارة مسئولة شبه دستورية ولا أذكر حتى الان أنه أتى بغلطة سياسية تؤخذ عليه . وقد أثبت ميله الفطرى إلى الدستور بأحاديثه مع مكاتبى الصحف الأجنبية . وكل مصرى مطلع على مركز القصر السياسى يرى أن مسألة منح الدستور التى من شأنها إحداث أعظم انقلاب فى تاريخ مصر لا يمكن إخراجها إلى الوجود من غير أن يكون للدولة المحتلة يد فعالة فيها » .

علقت المنبر على هـذا التصريح قائلة : "فماذا يقول اللواء الآن عن هذا التصريح الشبيه بالرسمى ؟ وبماذا يرد رئيس الحزب الوطنى الذى خطب . فقال : « إن الوطنيين يرفضون الدستور إذا أعطى لمصر بناء على استشارة حكومة انكلترا أو مدافعتها ؟ » فلينطق اللواء الآن إذا كان حرا قويا كما يدعى" .

وقـد وجد وقتئذ مروجون لفكرة التفرغ للاصلاح الداخلى ونشر التعليم « بدلا من الصياح والمطالبة بالدستور » ناسين أن الدستور هو أداة كل إصلاح . ومن أولئك المروجين أحمـد زكى الذى نشرت له المنبر « كلمات غاليات » أو « درر من خطبة أحمـد بك زكى التى لم ترق فى أعين المتهوسين » ومن هـذه الدرر قوله : « كل يوم يتولد حزب حديث وإنما هو خزى جديد . وكان الواجب أن تتضافر (الأحزاب) على نشر التعليم » (كذا) .

وفى ١٦ سبتمبر سنة ١٩٠٨ نشرت المنبر لأحمد بك زكى كلمة موجهة إلى محمد بك فريد يتمثل فيها بقول القائل :

إن الروازين لما قام قائمها ... تصورت أنها صارت شـواهينا

وقد حملت جرائد الحزب الوطنى حملة شعواء على أحمد زكى فاضطر إلى تقـديم استقالته من الجامعة (وقد استردها بعـد ذلك) .

أين الحلوم ولا حلوم لمعشر — راموا المحال وصدقوا الموهوما

إن يهذروا فلقد تركت قلوبهم — تشكو صوادع جمة وكلوما

أو يطلبوا إيلام كل مهذب — فلقد أذقتهم العذاب أليما

الله فى مهجاتهم وقلوبهم — فلقد عهدتك بالنفوس رحيما

كثرت سهام الرائشين وإنما — أرسلت سهمك نافذا مسموما

هو ما علمت فلا تقم (للوائم) — وزنا ولو ملأوا البلاد هزيما[1]

زعموا الحياة نفيسها وخسيسها — قولا يطير مع الهباء عقيما

إن يغضبوا فلقد رضيت وحسبهم — أن يقذفوا بى فى الجحيم ذميما

إن ينقموا خلقوا الشقاء وإن رضوا — جعلوا حياة البائسين نعيما

فتحوا لحزبهم الجنان وأعتدوا[2] — سبحانهم للكافرين جحيما

« أنا »

---

(١) الهزيم : صوت الرعد والرعد نفسه .

(٢) أعتد الشيء : هيأه وأعده ليوم . جاء فى الكتاب العزيز : « وأعتدنا لهم عذاب السعير » .

(المنبر) فى ١٢ أكتوبر سنة ١٩٠٨

وطنية شوقى بك

كتاب شاعر الأمير[1]

إلى عزتلو أفندم محمد فريد بك رئيس الحزب الوطنى

أيها الرئيس ، وإن أذنت فلت أيها الصديق الحميم .

أهتدتم إلى مسالك مبالغا فى الخطاب ، متلطفا فى العتاب ، نافيا عن شرفى بعض ما أصلت به من التهم على صفحات هذا اللواء ، الذى طالما كنت فى السلم همزته ، وفى الحرب جمرته . حتى انتقل من يد إلى يد . وهكذا الدنيا دول ونقل . قضى الله أيها الرئيس الكريم أن تتصرف باللواء فقل فيه عنى ما شئت ، فإن لك من طوله وعرضه مجالا ومتسعا ، وأنا المغضى المسامح كرامة لعهد مؤسسه المبكى ، والعهد يحفظه الأكرمون .

أعطك عرضى أيها الرئيس الكريم ، تلم به ما شئت وتنال منه ما أردت ، إلا وطنيتى التى لن تعلق بها التهم ولن ترقى إليها الشكوك والريب ، والتى أرجو أن أموت عليها وعلى الشهادة معا يوم كلتاهما حق ، ويوم لا يستوى الذين يحسنون والذين لا يحسنون .

أراك أيها الرئيس الكريم قد خفى عليك مكان وطنيتى ، فهل تأذن أن أدلك عليه ، ولا فخر فقد أحرجتنى إحراجا ، وأخرجتنى من خلق المتواضع إخراجا ، فإن زُهيتُ واستكبرت مرة فى العمر واحدة ، فإن القراء كرام والكرام يغفرون .

وطنيتى أيها الرئيس هى فى فؤاد ولدك الصغير المحروس ، فإذا انقلب إليك من المكتب قادمه يتلو عليك من آياتها ما يخفق له فؤادك وتهتز له جوانحك اهتزازا ، لأن فريقا يهزون الرضيع فى مهده ، ويوحون الوطنية إلى الصغير فى درسه ، أولئك هم المفلحون .

وطنيتى أيها الرئيس الكريم تُطيف بكل حجر أُلقى أساسا للعلم فى هذا القطر ، من الجامعة إلى الكتاب إلى أمثالها من مصادر الحياة الحقيقية للأمم والشعوب ، يعرف ذلك ويذكره المؤسسون .

---

(١) نشرت (مجلة مركيس) فى عدد ١٥ أكتوبر سنة ١٩٠٨ تحت عنوان (شوقى الثائر) ما يأتى : « عرفنا جميعا أحمد شوقى بك شاعر الأمير شاعرا وقلما به شاعر من الطبقة الأولى . قال — وقد طعن اللواء عليه — فى كتاب إلى صديقه فريد ما يأتى يصف وطنيته الخ .

وطنيتى أيها الرئيس الكريم هتف بها البدو، وتغنى بها الحضر، وجاوزت ذلك إلى الأعجام من ترك وفرس، فهى معلقة على جدران قصورهم ودورهم يقرأها هنالك القارئون.

وطنيتى أيها الرئيس الكريم هى مخبأة ناحية فى مقبرة سلفك العظيم، فطف بها وناجه يخرج إليك من جانب القبر صدى الصدق، صدى الحق، صدى الحياة التى لم يتغلب عليها الموت ولا تمكَّن منها البلى، صدى الشباب الذى نصفه فى الجنة ونصف لا يزال فى هذه الدنيا يملأها و يسرى فيها، وهذا الصدى يقول: شوقى همزة اللواء طالما تباهى به وافتخر واعتز به وانتصر، وصال بوطنيته ما ظهر منها وما استتر، وهو أصدق من نظم فيه ونثر، فى وقت عز فيه الصادقون.

وطنيتى أيها الرئيس الكريم فى (الأهرام)، كان قلمى فى قمتها(١)، كانت همى فى خدمتها(٢)، وكان صاحبها(٣) يحبنى كما يحب واحده جبرائيل، وليس وراء الحب غاية فى الاحترام. ثم فى «المؤيد» مدرسة الوطنيين الأولى. ثم فى «اللواء» الذى كان صاحبه الوقىّ الكريم يتلق الكلمة منى وكأنما يتلق سُنّة تقوم لجريدته عرفانا للفضل، والفضل يذكره الخيّرون.

وطنيتى أيها الرئيس الكريم فى الشوقيات قليلها الذى ظهر وكثيرها المنتظر، وفى عذراء الهند، ودل وتيمان، ولادياس، و بنتاؤور. ولو اطلعت على واحد من هذه الآثار التى تقتنيها ربات الجمال، و يفهمها الرجال والأطفال، لعلمت كما علم كثير من العقلاء قبلك أنى كما وصفنى المرحوم مصطفى، ذلك الغدير الصافى فى ألفاف الغاب، يسق الأرض ولا يبصره الناظرون.

وطنيتى كل وطنيتى أيها الرئيس الكريم فى هذه الشهادة من سلفك العظيم، و إليك الحديث: عدت فقيد الوطن المرحوم مصطفى ذات ليلة وهو مُحْتَضَر. لا يأتى ولا يذر، وكان بحجرة نومه شقيقه ووارث عواطفه ومبادئه الأخ على بك وثلاثة من كرام الأصدقاء، وكنت قد قمت للفقيد الكريم بخدمة أراها أنا لا تذكر، واعتبرها هو أنها لا تصدر إلا عن أوفياء الرجال وشجعانهم، فسر خاطره وانشرح صدره، وامتد بنا السهر إلى ما بعد منتصف الليل، حتى إذا استأذنا من المريض الكريم قال لى بسمع من الإخوان الأربعة: «هكذا فليكن الرجل وهكذا فلتكن الوطنية». والموت حق والحق ما يقوله المحتضرون.

هذا أيها الرئيس الكريم دفاعى عن وطنيتى التى توهّم البعض أنك اتهمتنى فيها، وما قدّمته مداراة للسفهاء ولا مسايرة للغوغاء، ولكن لأنفى الظنّ عن أدبى فى أعين الشبيبة

(١) و (٢) و (٣) فى الأصل قمته، وخدمته، وصاحبه. الأهرام اسم صحيفة، جمع هرم فالتذكير خطأ.

المصرية، خصوصا الطلبة الكرام الذين لا يهمنى فوق شأنهم شأن ، والذين هم مستقبل هذه الأوطان .

وما سوى ذلك أيها الرئيس الكريم مما ورد فى الرسالة المشرّفة باسمك فلا ردّ عندى عليه اللهم إلا أن يحرجنى فأخرج من انكماشى ذائدا عن كرامتى ، مدافعا عن شرفى ، هـذا مع اعتقادى أنك فى مقدمة المخلصين للجناب العالى ، المصادقين لحاشيته الكريمة وأنا فى أولهم . ولقـد ذكرت من أعظم ذنوبى لديك أنى أود بالأفاضـل رجال الصحافة من وطنيين وأوربيين ويلوذون بى ، ولو سألتنى عن السبب لأجبتك بالصـدق والصراحة اللذين همـا فى طباعى : إن لى من المركز الأدبى والمـادّى بحمد الله ما يجعل الوزراء والكبراء يقبلون علىّ إن لم أقل يحبون لقائى، ولكنى أميل بجمـلة عواطفى إلى تلك الفئة القليلة من أهل الأدب والرأى فى الأمة . ولربمـا دعيت إلى مائدة أعظم عظيم فى القطر فاعتـذرت من أجل دعوة تكون قد سبقت من أحد أولئك الأفاضل ، وهذا ما لا يفعله الأكثرون .

(المخلص شوقى)

(المؤيد) فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٠٨

كتاب عـــزاء

فى يوم ٧ ديسمبر نشر صاحب المؤيد أبياتا فذة لإسماعيل صبرى فى رثاء ابنه عمر :

فى الحى قلبان باتا يانعيمهما ... وفيهما مذ قضيت النار تستعر

وأعين أربع تبكى عليك أسى ... ومن دموع الثكالى السيل والمطر

وقد رأى شوقى أن يرثيه نثرا فأرسل الكتاب التالى إلى الشيخ على يوسف فى نفس اليوم الذى ظهرت فيه أبيات صبرى ، ونشر الكتاب فى اليوم التالى :

" عزيزى الأستاذ

« قلوب الآباء حول قلبك المصاب بحبته وحبيبه عمر .

« عرفته طفلا وصبيا فعرفت زين البنين ، وصورة الروح الأمين فاحبسه على رحمة الله

« فإنها خير له من قلبك منزلا ، وأبقى له منك ذخرا وموئلا ، وهو سبحانه المسئول أن يلطف

« بقلبك المحزون فى زلزاله المستمر ، وبركانه المستعر .

« انظر إلى الآمال كيف تفوت ، وإلى الأنفس كيف تموت . بينا الأرض تقوتها

« إذا هى للأرض قوت ، أمر الله المتصرف فى ملكه ، القاهر فوق عباده . الذى يأسو

« بلطفه ورحمته ما جرح بقضائه وقدره " . المخلص شـــوقى

* * *

(المؤيد) فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩٠٨

كتب تلميذ نابغ يتبرأ من شيخ اللواء (الشيخ عبد العزيز جاويش) فقال مخاطبا له :

ضَلَّلت أبناء البلاد بأسطر ... ملأت قلوب الغافلين ضلالا

فاصدف عن الجهل العميق فقلما ... يجنى الجهول من الجهالة مالا

إنا برئنا من حماك إلى الذى ... يحمى الأسود ويحفظ الأشبالا

حاولت أن تذكى القلى بقلوبنا ... لمليك مصر وكان ذاك محالا

ثم ادَّرعت الناشئين لحربه ... فرأوا ببرديك امرءا ختالا

خلعوك واستلوا إليك يراعهم ... فإذا نبا استلوا إليك نعالا

وإذا وجدتَ لفظ (نعالا) قاسية فابدلها بلفظ (نصالا) .

ونحن مبدلوها كذلك لندل القراء على قلة أدب شيخ اللواء فى مقالته التى أمضاها باسم (الطلبة المغرورون) وقد ختمها بهذا البيت :

إن عادت العقرب عدنا لها ... بالضرب والنعل لها حاضرة

سمكة غورست

فى ٤ يناير سنة ١٩٠٨ نشرت جريدة (الظاهر) تحت عنوان (سمكة غورست) ما يأتى :
« أبلغت حكومة السودان الصحف اليوم أن السير ألدن غورست اصطاد يوم أول الجارى سمكة وزنها ٢٥ رطلا ثم جذبها إلى البر بعد جهاد دام ساعتين إلا ربع ساعة » .

وقد نشرت (السياسة المصورة) التى كان يشترك فى تحريرها حافظ إبراهيم ، فى عددها الرابع فى ١٥ يناير سنة ١٩٠٨ ، تحت عنوان (شهيدة الخرطوم) أبياتا لا يخالجنا شك فى أنها لحافظ :

قالت الحمام[1] معزيا[2] ... فى النيل أنواع السمك
عام البنادق قد مضى ... وأتى لنا عام الشبك[3]
فالسعد لى والفرح لى ... والأمن لى والويل لك

* * *

وفى يوم ٣١ يناير سنة ١٩٠٨ نشرت (الجريدة الأسبوعية) أبياتا أكد لنا طاهر حقى أنها لشوقى . وهذا نص ما كتبته الجريدة .

على الهامش

« أرسل إلينا شاعر ظريف هذه الأبيات الرقيقة فننشرناها مع الشكر لحضرته » :

« غورست » رب السمكة ... ذاك بشير البركه
صحبتها بالرفق فهى ... ى أمة ممتلكه
إن كنت قد حفظتها ... ولم تزل فى حركه
ابعث لسلمان[4] ومطرا ... ن بها مشتركه
فإنها مصلحة ... للمعد المرتبكه
كلاهما معدته ... تأخذ شكل الشبكه

---

(١) الحمام إشارة إلى حام دنشواى . (٢) معزيا ... فى شهيدة الخرطوم وهى السمكة التى اصطادها غورست .
(٣) عام البنادق إشارة إلى عهد الجبروت والقوة ، عهد كرومر ودنشواى . وعام الشبك إشارة إلى سياسة الوفاق والأخذ بالملاينة فى عهد غورست المعتمد الجديد . وهذا تفسير الوزير الأديب طه السباعى أدلى به فى مجلس ضمنا وبعض الأدباء . (٤) الشيخ عبد الكريم سلمان وكان بطينا بطنا (بكسر الطاء) .

المؤيد فى ٢٥ نوفبر سنة ١٩٠٨

من هم الذين خلقوا المؤيد

وصاحب المؤيد

" كثر الذين يمنون على المؤيد وصاحبه بأنهم أوجدوه من العدم حتى صار يلوح لى أن باعة الجرائد سيقفون يوما على باب المؤيد وينادون نحن خالقوه وموجدوه . فما أكثر أرباب المؤيد وآلهته . والمؤيد يقول (لا إله إلا الله ولا خالق إلا سواه) " .

" وما ألطف ما وافانا به اليوم شاعر كبير إذ قال فى هذا المعنى " .

يتنازع الأرباب فيك نفاسة ... كل يمنّ بـأنه سـوّاكا
ربٌّ يقـول خلقته ورزقتـه ... قلما يروع صريره الأفلاكا
فيصيح من حنق إله آخر ... أقصر فلست هنا ولست هناكا
أنا ربه سـويته ورفعتـه ... فى الناس حتى ساير الأملاكا [1]
ورزقته دار المـؤيد فابتنى ... فيها القصور وشيد الأملاكا [2]
فاذا أشاء رفعتـه فوق السها ... وجعلته فوق السماك سماكا
وإذا أشاء وضعته وجعلتـه ... كفريد وجدى كاتبا أفاكا [3]

* * *

شيخ المؤيد، بالمؤيد، بالذى ... خلق المؤيد ، بالذى أغناكا
هل أنت خِلقة واحد متصرف ... فى ملكه لا يرتضى الإشراكا

---

(١) الملك (بفتح الميم) صاحب الملك ج ملوك وأملاك .

(٢) الملك (بالضم) اسم لما يملك ويتصرف به ج أملاك .

(٣) وضع المؤيد حاشية لهذا البيت . قال : « وإنما جاء الشاعر بذكر فريد وجدى هنا إشارة إلى خطاب كتبه لنا يمنّ علينا بأنه مؤسس شهرة المـؤيد بمقالاته . والكتاب طرفة من طرف الكتاب وتحفة من تحف الأدباء إذا شاء فريد وجدى أن ننشره نشرناه وإلا أبقيناه ضمن محفوظاتنا الثمينة » . لا مراء فى أن شوقى إذ كان يتردد على المـؤيد كعادته اطلع هناك على كتاب فـريد وجدى فنظم الأبيات المنشورة . ومعـروف أن أكبر من أعان صاحب المؤيد فى تأسيسه والنهوض به هما رياض باشا وسعد زغلول . ويقال إن فريد وجدى فى وقت من الأوقات جمع له مبلغا من المال ليستعين به على توسيع المطبعة وشراء آلات لها . ومعروف أيضا أن قادة الرأى من رجال الحزب الوطنى صاروا بعد رحيل كرومر وتغير سياسة الخديوى عباس ينقمون على الخديوى وأعوانه ، وعلى رأسهم على يوسف صاحب المؤيد وأحمد شوقى الشاعر ، التنكر للحركة الوطنية واتباع سياسة الملاينة والمصانعة مع الأنجليز .

أم أنت خلقـة بلجنة شيمية   تهب العقول وتمنح الإدراكا [1]

سبحانها من لجنـة لو أنهـا   خلقت لنا بين الرجال سواكا

لو أنني من صنعهم لشكرتهم   وجحدتهم فاكفر بذاك وذاكا

لله أنت أبا الصحافة لا لهم   كذبوا فهم لا يخلقون شراكا [2]

أحد المخلوقات

من غير طراز المؤيد

---

(١) إشارة الى إسماعيل شيمي بك الذي كان قاضياً بالمختلط ورفت بسبب "تطرفه" وهو من أكبر الكتّاب الوطنيين السياسيين في تاريخنا الحديث ومن أنبههم وأعظمهم تأثيراً .

(٢) الشراك سير النعل على ظهر القدم . وهو مثل في القلة والحقارة .

(الأهرام) فى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٨

الوزارة الساقطـــة

سقطت وزارة مصطفى فهمى الموالية للمحتلين فى ١١ نوفمبر سنة ١٩٠٨ بعد أن حكمت البـلاد ثلاثة عشر عاما (١٨٩٥ — ١٩٠٨) . وقد نشرت (الأهرام) فى اليوم التـالى لسقوطها الأبيات الآتية تحت عنوان (الوزارة الساقطة) — والخطاب فى الأبيات موجه إلى رئيسها :

عجبت لهم قالوا سقطت ومن يكن ... مكانك يأمن من سقوط ويسـلم

فأنت امرؤ ألصقت نفسك بالثرى ... وحرمت خوف الذل مالم يحـرم

فلو أسقطوا من حيث أنت زجاجة ... على الصـخر لم تصدع ولم تحطم

« لاقطة »

فى توقيع الشاعر إشارة إلى المثل « لكل ساقطة لاقطة » والمثل، كما هو ظاهر، يربط بين التوقيع (لاقطة) والعنوان : (الوزارة الساقطة) . وفى اعتقادنا أن هذه الأبيات لشوقى وإن كان ناشر ديوان صبرى نسبها له (ص ١٤٧ — ١٤٨) . وقد وردت الأبيات فى الديوان تحت عنـوان (إلى مصطفى فهمى باشـا) وبغير الإمضاء المستعار الذى أُسـقط لارتباطه بالعنوان القديم .

(الأهرام) فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٠٨

الوزارة الجـــديدة

« حلت وزارة بطرس باشا غالى محل وزارة مصطفى فهمى فقال الشاعر المتنكر على لسان الرئيس الجديد » :

ماذا يقول الرئيس ؟

يقول اليوم بطرس يا لقومى ... تعـالوا بالصدارة هنئـونى

لئن أنـكرتمو منى أمورا ... متى أضـع العمامة تعرفونى

يقرأ الأفكار

هذان البيتان ليسا فى ديوان صـبرى مع أن ما نشر فى الأهرام من ١٢ نوفمـبر إلى ٢١ — باستثناء البيتين الأخيرين — نسب جميعه لصبرى . وقد زعم ناشر الديوان أن ما نسـبه ظهـر كله فى الجريدة بتوقيع بتـاؤور . وقد رأينـا أن أبيات ١٢ نوفمـبر كانت بتوقيع

« لاقطة » كما أن بيتى ١٣ نوفمبر اللذين أغفلهما الديوان كانا بتوقيع « يقـرأ الأفكار » . قيل هذان البيتان على لسان بطرس غالى ، وتاريخهما ، كما قلنـا ، ١٣ نوفمبر . وقد نشر فى (الأهرام) فى اليوم السابق (١٢ نوفمبر) — مع القطعة الخاصة بالوزارة الساقطة بتوقيع لاقطة — قطعة أخرى (على لسان بطرس غالى باشا) بإمضاء (المنجم) . وهى مكونة من سبعة أبيات . ولئن كانت أكثر ليونة من الأولى ولكنها لا تقل عنها فى قوة التهكم . لذلك أنعطا شارح الديوان فى التمهيد لهـا بقوله فى صفحة ١٤٩ : « بعـد ما استقالت نظارة مصطفى فهمى باشا الأخيرة — وكان بطرس باشا ناظرا للخارجية فى هذه النظارة — عرض الشاعر فى هذه الأبيات بمـا كان يشاع عن مصطفى فهمى باشا من موالاة المحتلين ، كما أشار إلى وطنية بطرس غالى باشـا ، ومخالفته لرئيسه فى خطته » . ولا مراء فى أن بطرس غالى لم يكن أقل موالاة للمحتلين أو أكثر « وطنيـة » من مصطفى فهمى . والأبيات واضحة لمن يقرأ بين السطور وهذا نصها :

أصبحت فى حـيرة وهم ما بين مصر وبين فهمى
هـذى تنـادى نداء عان تلاف أمرى وداو سقمى
وذاك يرجـو رجاء نغل له أياد عـلىّ تهـمى
دعها تنـادى بمـا تنـادى وكن على خطتى ورسمى
فالسلم درس وقد علمنـا مغبـة السـلم كيف تحمى

* * *

يارب بابن البتـول خطى وزن مقامى وطهـر اسمى
فإنى إن بررت خلى عققت — لاشك — خير أم

كل ما قاله ناشر الديوان فى شرح البيت الخامس (مغبـة السلم ، أى عاقبته) مع أن كلمة (السلم) هنا يراد بها مسالمة المحتلين التى كانت شعار نظارة مصطفى فهمى ونظاره وخصوصا بطرس غالى منذ اتفاقية السودان فى سنة ١٨٩٩ :

فالسلم درس وقد علمنـا مغبـة السـلم كيف تحمى

وقد كانت مغبـة (السلم) أن مصطفى فهمى ترك صحيفة سوداء فى تاريخ الحكم فى مصر كما أن بطرس غالى لم تحمه مغبـة السلم ، ناظرا للخارجية ثم رئيسا لمجلس النظار ، من سخط الرأى العام واغتياله بأيدى الوطنيين الأحرار فى سنة ١٩١٠ .

(المقطم) فى ١٣ يناير سنة ١٩٠٩

القسم الرابع

(١٩٠٩ - ١٩١٤)

ليـــلة رئيس النظـــار

« من مرقص الشعر ومعجزه سهولة فى امتناع هذه القصيدة « النواسية » التى جادت بها قريحة صاحب السعادة أمير الشعر ومالك أعنة النظم والنثر أحمد شوقى بك وهى مما نظمه فى وصف الليلة الراقصة[1] التى أحياها صاحب المطوفة رئيس النظار »

على منازل « غالى » فـزنا بصفو الليـالى
تـزينت وتجـلت فى رونق وجــلال
وأشرقت بالدرارى من سـادة وموالى
ومن كواكب حسن ومن شموس جمـال
كأنها دور « يحيى » حين الزمان مـوالى
للعـز والأنس فيهـا مظـاهر ومجـالى
يمشى الزمان إليهـا كلائذ بالظـلال
كم اشـتباك عقـول عنـد اشتباك العوالى

(١) أول وصف لشوقى لحفلة راقصة (البال) كان فى ١٣ فبراير سنة ١٨٩٦

يا ليلة البـال ماخالوك راقصة إلا رأت جمال الدهر والحقب

والقصيدة فى الجزء الأول من (الشوقيات المجهولة) صفحة ١٠٩ - والثانى — فى ٣١ يناير سنة ١٨٩٧

حف كأسها الحبب فهى فضـــة ذهب

والثالث — فى ٧ فبراير سنة ١٩٠٣

طـال عليهـا القدم فهى وجـــود عدم

وأصل بحر هذه القصيدة فى الشعر الفارسى نظم منه محمود سامى البارودى :

من لفتى لم ينم مـــن نزوات الألم

وقد ظهر مقال نقدى لقصيدة شوقى فى (الصاعقة) عدد ٢ فبراير سنة ١٩٠٤

والرابع — فى ٢١ يناير سنة ١٩٠٤

مـال واحتجـــب وادّعى الغضـــب

الصائلات قدودا ... في (البال) أي مصال
الناعمات اللواهي ... العاطلات الحوالي
الغاديات بلهو ... الرافهات ببال
من جؤذر ثم يرنو ... وشادن مختال
وظبية تتثنى ... في راحتيّ رئبال
يا ليلة نجتليها ... سنية في الليالي
في دار أمجد سمح ... مهذب مفضال
في المسلمين وجيه ... وفي بني القبط «غالي»

⁂

وبنت (شمبان) تروي ... على قطوف الدوالي
أتي العهيد عليها ... من السنين الخوالي
وما تزال فتاة ... مرجوة لوصال
بكاد يحيي «ابن هاني» ... شعاعُها المتلالي
شربتها ووقاري ... منزه عن زوال
طرف (النواسي) لكن ... في ثابت كالجبال
أراح بالي أني ... بحاسدي لا أبالي
وبالصديق حفيّ ... وبالمحب مغالي
طربت والعيش لهو ... ما للعذول ومالي
على ولاء «أمين» ... و «بطرس» والآل

(المجلة المصرية) فى ٣١ يناير سنة ١٩٠٩

ملتقط الدر

« أشرف ما اجتمع فيه جلال التصور وجمال الأسلوب إلى رقة الشعور الأبوى ورشاقة اللفظ ما نظمه « شوقى » فى أولاده الثلاثة : أمينة ، وعلى ، وحسين . وهذه قصيدة جديدة مما أوحاه إليه شرف حب الآباء للأبناء :

يقولون لِمْ تطرى عليا وأخته ... وتنسى حسينا والحسين كريم
فقلت فؤادى للثلاثة منزل ... هما طُنُباه والحسين صميم (1)
ثلاثة أسباب لأُنسى ولذتى ... يبارك فيها مانحى ويديم
إذا ما بدا لى أن أفاضل بينهم ... أبى لى قلب عادل ورحيم
أحب صغار العالمين لأجلهم ... ويعطف قلبى ذو أب ويتيم
أمينتىَ الدنيا إذا هى أقبلت ... على العيش منها نضرة ونعيم
ذكاء تمناه الفتى حلية له ... ووجه يسر الناظرين وسيم
فأما علىٌّ فالمسيح حداثة ... وقور إذا طاش الصغار حليم
وقبل حسين ما تكلم مرضع ... ولا نال علياء البيان فطيم
إذا راح يهذى بالحديث فشاعر ... فإن جد فيما قاله فحكيم
عصيفير روض ربِّ صنه وأبقه ... فأنت بقلب قد خلقت عليم

(مجلة سركيس) عدد ١ مارس سنة ١٩١٠

« رأى شوقى النجم المذنب من شرفة منزله ، وتذكر قول العامة إن هذا النجم نذير الشؤم وإنه يميت من كثرة الضحك ، فأنشد فيه قوله » :

قل للنجم بالأرزاء ينذرنا ... ويدعى العلم بالأسرار والفلك
إنى ضحكت من الدنيا وصحبتها ... قبل المذنب حتى مِتّ من ضحكى

---

(1) الطنب (بضمتين) : حبل طويل يشد به سرادق البيت . والصميم : العظم الذى به قوام العضو .

السلطانان[1]

دار الزمان فدارا	يستعقبان جهارا
أضحى النضار حديدا	أضحى الحديد نضارا
أمسى الصغار جلالا	أمسى الجلال صغارا
أمر قضاه الإله	والناس فيه حيارى

(جراغان[2]) يا مهبط حاسرى التيجان . . يا دار الأشجان والأحزان . . يا مصدر تصاريف الزمان !

ما خلعتُ إزار الملك . . ما قد سُلبت من ضمير الكون . . ضربنى الزمان فقصم ظهرى ، وظلى الإخوان ، فثُل عرشى . . وانتثرت فى القصور نسائى . . وجُبت عن الحياة أشيائى . . وحيل بينى وبين ملك ما كان يتسع لنفسى ولا ينفسح لسريرى . .

---

(١) فى ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٩ خلع السلطان عبد الحميد بفتوى من سماحة شيخ الإسلام وبويع ولى عهده رشاد الذى سمى السلطان محمد الخامس . ويلاحظ أن شوقى ذلك الـ (عربى بسفح النوباد) قد نظم أبياته الرائعة وكتب نثره الشعرى فى سطر واحد ، فى أقل من يومين . كتب القطعة المنثورة الأولى على لسان عبد الحميد يخاطب بها قصر (جراغان) ، والثانية على لسان محمد الخامس يخاطب بها قصر (يلديز) . والثالثة كانت كلمة عامة . وقد اجتزأنا بنشر القطعة الأولى — فهى أعلاها نفسا — وجزء من القطعة الأخيرة . ويجد القارئ فى قصيدته الشهيرة فى الانقلاب العثمانى التى نشرت فيما بعد ، فى ٢٠ مايو سنة ١٩٠٩ ، نفس الروح وكثيرا من الألفاظ والمعانى والصور الواردة فى مقال ٢٩ أبريل :

سل يلدزا ذات القصور	هل جاءها نبأ البدور
فلك يدور سعوده	ونحوسه بيد المدير
أين الأوانس فى ذراها	من ملائكة وحور
المترعات من النعيم	الراويات من السرور
عبد الحميد حساب مثـ	ـلك فى يد الملك الغفور
كم سبحوا لك فى الروا	ح وألهوك لدى البكور
ورأيتهم لك سجدا	كسجود موسى فى الحفور
دخلوا السرير عليـ	ـك يحتكمون فى رب السرير
قالوا احتكم قالوا اعتزلـ	ـت الحكم لله القدير

(٢) قصر جراغان أو شراغان هو القصر الذى صار فيما بعد قصر مجلس المبعوثان وقد اعتقد الشاعر أنه سيكون سجن عبد الحميد ولكن الثورة أبعدت السلطان المخلوع إلى سالونيك .

إليك يا (جراغان) السير .. وفيك يا (جراغان) تمضى البقية الباقية .. من هذه الدنيا الفانية .. فالقدر الذى كان على لسانى .. والزمن الذى كان من خدّامى .. والجنود التى كانت تصدع بأمرى .. والرعية التى كانت تسجد لذكرى .. أصبح الكل منتقضا علىّ .. وناهضنى الإخوان .. وسلمنى الأعوان .. وجرّت سوافى الزمان ذيولها على ما كان لى من إحسان .. وانطمست معالم حسناتى .. ونُسخت محكمات آياتى .. وكأنى ما كنت فى الملك .. شراع الفلك .. ولا فى الإيوان .. ورق التيجان .. فسبحان الواحد الديان .. قضى الأمر الذى كان .

عبد الحميد خان

نفثة مصدور ورنة حنين بللتها دمعة مقروح انخلع قلبه واندك طوده .. وقد وقف أمام تصاريف الأقدار خاضعا لله الواحد القهار ..

فأين من كانت الدنيا تهتف باسمه .. والأقدار طوع أمره يصرّفها كيف يشاء .. لا رادّ لما أراد .. أين من كانت الأطيار تلْحَنُ[1] إليه .. والسحاب ينفجر بين يديه .. وكل ما فى الكون لا يعز عليه .. أمسى والله سجينا فى (جراغان) التى يناجيها بما نقلناه عن لسان الحال .. المترجم عن الحق كل نبأ صدق .. أمسى فيها لا يملك من أمره إلا ما ملك الضب من ذنبه . والضيف من مضيفه .. فعزاء للإسلام .

عربى بسفح التوباد[2]

---

(١) لحن فلان لفلان لحنا : قال له قولا يفهمه عنه ويخفى على غيره . و — اليه نواه وقصده ومال إليه . ولحن فى قراءته : طرب فيها وترنم . (٢) جاء فى (معجم ما استعجم) التوباد بفتح أوله وباء معجمة بواحدة ودال مهملة : جبل فى أرض بنى عامر . ذكره أبو على عن أحمد بن يحيى وأنشد للمجنون :

وأجهشت للتوباد حين رأيته ... وكبّر للرحمن حين رآنى

وذكره شوقى فى أنشودة قيس (رواية مجنون ليلى) :

جبل التوباد حياك الحيا ... وسقى الله صبانا ورعى
فيك ناغينا الهوى فى مهده ... ورضعناه فكنت المرضعا
وعلى سفحك عشنا زمنا ... ورعينا غنم الأهل معا
هذه الربوة كانت ملعبا ... لشبابينا وكانت مرتعا
كم بنينا من حصاها أربعا ... وانثنينا فمحونا الأربعا
وخططنا فى نقا الرمل فلم ... تحفظ الريح ولا الرمل وعى
لم تزل ليلى بعينى طفلة ... لم تزد عن أمس إلا إصبعا
ما لأحجارك صما كلما ... هاج بى الشوق أبت أن تسمعا
كلما جئتك راجعت الصبا ... فأبت أيامه أن ترجعا
قد يهون العمر إلا ساعة ... وتهون الأرض إلا موضعا

تعليـــــق

هـذا المقال بأبياته الأربعة ينم عن أسلوب شوقي . ويلاحظ أن أحمد شـوقي وعلى يوسف ورجال القصر الخديوي استمروا في تأييد الخلافة ومناهضة الحركة الدستورية الجديدة حتى أن (المؤيد) ، في أغسطس سنة ١٩١٠ ، منع من دخول البلاد العثمانية باعتباره عدوًا لجمعية الاتحاد والترقي . وكان الحزب الوطني والأحرار المصريون يندّدون باستبداد عبد الحميد وأنصار الحركة الرجعية . وفي هذا أكبر دليـل على أن انتصار مصطفى كامل للخلافة وتأييده لها قبل موته لم يكن الغرض منه مناوأة الاحتلال فحسب ولكن الدفاع عن مصالح مصر العليا التي تتلخص في الاستقلال بمساعدة تركيا وتوطيد حياة نيابية في مصر. وكان رأي الساسة في مصر في ذلك الزمن هو أن إنجلترا تعمل على تجزئة السلطنة العثمانية وإضعافها لتتمكن من الاستيلاء على مصر. فلم يكن تأييد الخلافة من جانب الوطنيين وهم طلاب حرية ودستور تأييدا للرجعية في صورة من الصور وإنما كان هذا التأييد قاصرا على الدفاع عن أكبر دولة إسلامية كان في سقوطها تحت مطامع الإنجليز سقوطا لمصر والعالم الإسلامي أجمع . وقد استمر شوقي بعد الانقلاب العثماني في الإشادة بالخلافة والبكاء على تقلص سلطانها الرجعي . وكان الخديوي عباس حتى سياسة الوفاق مع غورست (١٩٠٨) يتظاهر بتأييد الحركة الوطنية الدستورية في مصر ليجتذب إليه الوطنيين في مناوأة الاحتلال ولكنه بعد [illegible] اتفق مع الإنجليز (سياسة الوفاق) على محاربة الحريات في مصر . وكان كرومر أكبر مؤيد لحرية الصحافة في مصر ، وهي الحرية الوحيـدة التي ساندها ، لا حبا في المبادئ السامية ولكن أملا في أن تكون هـذه الحرية صماما لكراهية المصريين المتزايدة للاحتلال [illegible] هذه الحرية [illegible] من سورية ومصرية أمثال المقطم والمشير والصاعقة على التشهير بفساد البلاط الخديوي واستبداد عبـد الحميد وتنكيله بالعرب وحرياتهم في أرجاء المملكة . وكانت هـذه الصحف تعمل جاهدة على الإيقاع [illegible] . وكان السيد توفيق البكري ومصطفى لطفي المنفلوطي من أكبر أعوان الاحتلال على تنفيذ هذه السياسة . نشرت (الصاعقة) لصاحبها أحمد فؤاد في ٧ نوفمبر سنة ١٨٩٧ القصيدة الشهيرة :

قدوم ولكن لا أقول سعيد ... وملك وإن طال المدى سيبيد

وقد ثبت من تحقيق النيابة وقتئذ أن المنفلوطي هو ناظم القصيدة بناء على تكليف من توفيق البكري الذي نظم الشطر الأول من المطلع لينظم المنفلوطي على منواله القصيدة من نفس البحر

والقافيـة . كما أن البكرى أضاف بيتين إلى القصيدة نشرتهما (المقطم) فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٧ وهما :

أعباس ترجو أن تكون خليفـة　　كما ودّ آباء ورام جـدود
فيـا ليت دنيـانا تزول وليتنـا　　نكون ببطن الأرض حين تسود

ولو أن القصيدة كانت كلها هجاء فى عباس ، كما يتصوّر الكثيرون ، لقلنا شجاعة وطنية . ولكن القصيدة تشتمل على أبيات فى مدح المحتلين كقول ناظمها فى ختامها :

بريطانيـا لا زال أمرك نافـذا　　وظلك فى أرجاء مصر مـديد
أيجرؤ ذئب أن يدوس برجله　　عرينا وفى ذاك العرين أسود
فأنت احتلالت القطر والقطر دارس　　فأضحى بفضل العدل وهو جديد
متى ما أرى الأعلام يخفق ظلها　　على أرض مصر إننى لسـعيد

كان لهذه القضية دوى كبير فى مصر : عزل الإنجليز النائب العـام المصرى لأنه رفض تغيير المحقق ووضعوا مكانه المستر (كور بيت) الإنجليزى . وأخيرا نجحوا فى إخراج السيد البكرى من التهمة فصدر فى ١٤ نوفمبر (سـنة ١٨٩٧) حكم القضاء بالحبس عشرين شهرا و بغرامة ٣٠٠٠ قرش على أحمـد فؤاد وبالحبس ١٢ شهرا وغرامة ألفى قرش على الشـيخ مصطفى لطفى المنفلوطى .

ومن ذيول هذه القضية الحكم فى ١٥ أبريل سنة ١٩٠٩ على أحمد حلمى بتهمة العيب فى الذات الملكية بسبب مقال (مصر للمصريين) الذى ذكر فيه :

رمتنـا بكم مقـدونيا فأصابنـا　　مصـوَّب سهم للبلاد سـديد
فلمـا توليـتم طغيـتم وهكذا　　إذا أصبح القولىّ[1] وهو عميد

وكان الحكم حبس المتهم ١٠ شهور وتعطيل جريدة (القطر المصرى) مدّة ٦ شهور .

من ذلك يبين أن الحزب الوطنى منذ سـنة ١٩٠٩ أصبح ينتهج سياسة عدائية ضـد القصر والخلافة والرجعية فى حين أن شوقى ظل يساند الخلافة . ولعل العاطفة الدينية التركية التى كانت متمكنة من فؤاد شاعرنا كان لها أثر كبير فى اتجاهه هذا .

---

(١) القولى نسبة إلى قولة موطن محمد على .

حاشية طراز البردة

بمناسبة عودة الأمير من الحج نسج شوقي « طراز البردة » التي جارى بها البوصيري وقد نشرها (المؤيد) في ٢٦ يناير سنة ١٩١٠ ، وهي منشورة في الديوان :

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

كتب الطبيب الدكتور أنطون الجميل فصلا في مجلته (الزهور) في عدد أول مارس سنة ١٩١٠ ، تكلم في القسم الأول منه عن شوقي والبوصيري ووازن بينهما في « نهج البردة » . (الأمراء والشعراء ، أمس واليوم) قال : « كان الأمراء قديما يدعون أن كرمهم علم الشعراء الشعر . وكان الشعراء يجيبون بأن شعرهم علم الأمراء الكرم . ولقد يكون الفريقان صادقين فيما يقولان . وكان الشعراء بالأمس يقفون على أبواب الملوك والعظماء لينشدوهم الشعر . ونراهم اليوم للكثيرين الجالسين في الصدر .

« ولقد نظم شوقي بك هذا المعنى فأبدع وأجاد . ولشاعر مصري ولع بشعر ابن هانئ شاعر هارون الرشيد ، وقد أطلق على منزله في (المطرية) اسم (كرمة ابن هانئ) . وكان هذا المنزل مزدانا بأبهج الزينات ليلة عودة الخديوي من الحج فاتفق أن سموه مر تلك الليلة أمام (كرمة ابن هانئ) فألفى شاعره واقفا على الباب فقال له :

« يا شوقي أعجبتني قصيدتك كما أعجبتني زينتك » فارتجل شوقي بك الأبيات الآتية حاشية لطراز البردة :

زين الملوك العيد من زيتي كرما وباب الله طاف ببابي

يا ليلة العيد التي بلغتها مافيك بعد اليوم من مرتاب

ما كنت أهلا للنوال وإنما نفحات أحمد فوق كل حساب

لما بلغت السؤل ليلة مدحه بعث الملوك يعظمون جنابي

بهواه يخفق في السماء مشهور وأخوه فوق الأرض نور رحابي

هذا (ابن هانئ) نال ما قد نلت من حسب نُدل به على الأحساب

قد كان يسعى للرشيد ببابه فسعى الرشيد إليه وهو ببابي

* * *

نشرنا هذه الأبيات و إن كانت مديحا لصلتها الوثيقة بشخصية الشاعر وأدبه . فالبيت الأخير وحده يكشف عن ناحية من نواحى هذه الشخصية : أراد شوقى أن يقول إن الشعراء قديما كانوا يقفون بأبواب الملوك و إن ابن هانئ « كان يسعى للرشيد ببابه » ولكن الآية انقلبت فصار الملوك هم الذين يقفون بأبواب الشعراء : إشارة إلى أن الخديوى جاء يسعى إلى شوقى ببابه ... صاغ شوقى هذا المعنى الدقيق بلباقة وفصاحة . وما أقرب الشبه فى حسن المقال بين الكاتب اللبق والسياسى الحصيف . لم يقل إن عباسا جاء إليه يسعى و إنما قال الرشيد — (وفى هذا إشارة إلى عباس وتعظيم له يتناسب مع المقام) — سعى الى ابن هانئ . (فسعى الرشيد إليه وهو ببابى) أى بباب شوقى . . وقد زاد الشاعر بهذه الاستدارة البعيدة الرائعة حول شخصه من جلال الموقف دون أن يغض من جلال الساعى .

الى ضيف مصر

« أتحفنا شاعر النيل الكبير أحمد بك شوقي بالأبيات الآتية التي قدمها إلى ضيف مصر الشريف عبد الله نجل أمير مكة المكرمة » .

يا قصر رأس التين قم في غد رحب بعبد الله زين الشباب
وقل له يفديك نوابنا يا خير من عن جيرة الله ناب
أبوك في مكة دار لهم وأنت في (المجلس) للدار باب
صفتم جنابا عاليا طاهرا ضاف لكم بالأمس أزكى جناب
تحويكما مائدة في غد نجلها مثل التي في الكتاب
الحب والإخلاص ألوانها وصادق الود عليها شراب
أحسن ما قد ذقتما فوقها ما لذ من ذكر أبيك وطاب
والمسلمون اليوم في حاجة إلى ائتلاف كائتلاف الصحاب
عشنا قطيعا هائما ضائعا لو اتحدنا خشيتنا الذئاب
في ظل رايات إمام الهدى وليس في عدل الإمام ارتياب
أبوك زاد الله في قدره قد جاءني بالأمس منه كتاب
ما قوتي ما قيمتي من أنا بالله قم عني برد الجواب
كتابه نعمتي وخير الندى نال الفتى ما لم يكن في الحساب
إن أنت وافيت (فروقا) وقد ألبسها آذار قشب الثياب
وتوج النبت رؤوس الربى ومزقت شمس النهار النقاب
وضمك المجلس في صدره وقر صحب أعينا بالإياب
قم (سليمان) النهى والحجى شوقي وبالغ عنا في الخطاب
وادن لدى المجلس من (قاسم) وقل له محتشما في العتاب
(بجدة) يا صاح تقضي الظما ولمت ما بين المياه العذاب (1)
ثم ارفع الصوت يحك الصدى من مجلس الحق ونادي الصواب

(1) شوقي متشبع بروح العزة والكرامة والميل إلى العدالة والحرية . وفي هذا البيت لم يستطع شاعرنا في خطابه إلى بعض أصدقائه من أمراء العرب السكوت على مظالمهم وتمتعهم بالرفه والنعيم بينا تشق المدائن والعباد وتموت من الظمأ .

(الجريدة) فى ١٩ مايو سنة ١٩١٠

الوردانى
وقصيدة "صدّاح يا ملِكَ الكنار"

هـذه القصيدة منشورة فى ديوان شـوقى فى الجزء الأول طبعة سنة ١٩٢٦ صفحة ٣١٩ ولكنها فى حكم القصيدة غير المنشورة لأنها تحمل عنوانا رمزيا زائفا (بين الحجاب والسفور). ولا شك أن قراءة القصيدة بهذا العنوان يفقدها قوتها وروعتها خصوصا وأن الطائر السجين كان يرمز به إلى الوردانى فى الأسر. لذلك لا نرى بدا من إعادة نشرها فى ضـوء موضوع القصيدة الحقيق.

كان بطرس غالى كغيره من الوزراء القدماء يرى من الحكمة مصانعة المحتلين وتنفيذ السياسة المرسومة. وكان رجال الحركة الوطنية فى مصر يندِّدون بأولئك الوزراء الضعفاء لعدم استمساكهم بحقوق البـلاد. وقد اشتدت المعركة بين الفريقين. ولم تثن قوانين الصحافة ومصادرة الحريات الوطنيين عن كفاحهم.. فى تلك الفـترة المضطربة، فى يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠، أطلق إبراهيم ناصف الوردانى الرصاص على بطرس غالى فأرداه قتيلا. ولم يكن مسـتغربا أن ينزعج إخواننا الأقباط لإصابة زعيم لهم لأنهـم كانوا يجهـلون أن حادث القتل السياسى، الذى كان الأول من نوعه فى مصر، سيتبعه حوادث أخرى يكون الوزراء المسلمون ضحية لهـا، وبعبارة أخرى الوزراء المصريون الخانعون عموما دون أى تمييز. ومن هنا كان فريق كبير من الشعب والمثقفين يعطفون على الوردانى ويرون فيـه بطلا وطنيا. وقد كان لذلك الحادث صدى كبير فى البلاد فكانت تصدر ملاحق خاصة للصحف فى أثناء محاكمة الوردانى التى استمرت حوالى أربعة أشهر. جاء فى مقال لأحمد لطفى السيد ظهر فى (الجريدة) فى ٢٧ فبراير سـنة ١٩١٠ ما يأتى: «والحق أن الوردانى مصرى قبل كل شىء وهو يعترف أنه منفرد فى فكرته وفى جنايته وأنه ليس للدين أدنى سلطان على نفسه فى فعلته»[١] وفى جلسة

---

(١) ليس أدل على وطنية الوردانى الفدائى الأول فى تاريخ الحركة الوطنية من الكتاب الآتى الذى كان بعث به إلى الكاتب الكبير حافظ عوض فى يولية سنة ١٩٠٧. وهذا الكتاب من مجموعة وثائقنا الخطية الخاصة. وهذا نصه:

لوزان فى ٢٩ يولية سنة ١٩٠٧

جناب المحترم الفاضل حافظ افندى عوض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٢٢ مارس تقرر بعد سؤال الوردانى ، تبرئة المتهمين بالاشتراك معه و بإحالة إبراهيم ناصف الوردانى على محكمة جنايات مصر دور أبريل . والمهم أن الوردانى أعلن عند سؤاله : « أقرر أن القتل سياسى محض وليس مبنيا على عداء دينى أو انتقام شخصى أو بغضاء وأن الباعث لى عليه هو ما فعله بطرس باشا فى اتفاقية السودان و رئاسة محكمة دنشواى و إحياء قانون المطبوعات ومساعدته لمشروع مد امتياز القناة و إهانة الأمة فى شخص نواب الجمعية العمومية » .

وخير تفصيل لذلك الحادث والظروف التى أحاطت به ما جاء فى مجلة (آخر ساعة) ، عدد ١٦ مارس سنة ١٩٦٠ ، فى حديث لمندوبها مع الأستاذ عبد العزيز رفعت الذى عاد أخيرا من الآستانة بعد غياب خمسين سنة ، وكان أحد الشبان الذين قبض عليهم بتهمة الاشتراك مع إبراهيم الوردانى فى حادث الاغتيال : « أول جمعية سرية — إنها قصة طويلة ترجع الى سنة ١٩٠٥ عندما التحقت مع جماعة من زملائى بمدرسة « المهندسخانة » . كنا جميعا من الشباب الوطنى . كنا نرى الحالة التى أصبحت عليها بلادنا . الحاكم وهو الخديوى خائن .. الزعماء خونة — ولا هم لهم إلا ممالأة المستعمر الأجنبى . قررنا أن نعمل شيئا لبلادنا وكان أن شكلنا أول جمعية سرية وطنية تعمل فى الخفاء من أجل تحرير الوطن هى « جمعية التضامن الأخوى » . وكان لهذه الجمعية نظام دقيق . من أعضاء المجلس التنفيذى كان إبراهيم الوردانى وكان يعمل صيدليا . وشفيق منصور المحامى الذى نفذ فيه حكم الإعدام فى سنة ١٩٢٤ مع زميليه عبد الفتاح عنايت ومحمود إسماعيل . وبقية أعضاء المجلس : على مراد ، ومحمد أنيس ، وكمال الحشن ، وعبد العزيز رفعت ، وكلهم من المهندسين الذين تخرجوا فى سنة ١٩٠٩ ، وعبده البرقوقى وكان طالبا فى مدرسة الحقوق ، وحبيب حسن وكان يعمل مدرسا . هؤلاء

= سيدى المحترم . عند اطلاعى البارحة على اللواء — ٢٢ يوليه — وجدت به ما سرنى و يسر كل محب لوطنه . وجدت بتم قدومكم الى لوندرة . وحضوركم الحفلة التى دعيتم اليها وخصصت لكم من أكابر الانكليز وبعض نواب مجلس العموم وإلقاء الخطب بخصوص مصر والمصريين . وبطلب حريتها واستقلالها . فلا عدمناكم صوتا تنادون به الحقوق الطبيعية التى هى للافراد كما هى للأمة . ولا حرمناكم من أفراد خاذلين مبادئ الظلم والاستبداد . و إنى بالأصالة عن نفسى و بالنيابة عن جمعية " مصر " تمنى لكم صوتا عاليا . وقلبا حرا . وقوة متغلبة على أعداء الحرية . وهاضمى الحقوق الوطنية . ونحن منتظرين بفروغ صبر نص خطابكم للستبشر منه جدا . ولنقوى به عزائمنا . وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

سكرتير جمعية "مصر"

إبراهيم ناصف الوردانى

طالب بكلية العلوم (قسم صيدلة) بلوزان

(١) كان شفيق منصور وعبده البرقوقى عضوا الجمعية يعدان شهادة الدكتوراه فى باريس فى سنة ١٩١٣ . وقد التقيت بهما هناك . وكلاهما كان طالبا فى مدرسة الحقوق سنة ١٩١٠ .

النبجة هم الذين قبض عليهم البوليس . وقد بقيت جمعيتهم تعمل فى الخفاء حتى كانت الضجة التى أثارتها الصحف الوطنية حول اتجاه مجلس النظار إلى تجديد امتياز شركة قناة السويس لمدة ٤٠ سنة وتقرر عرض الموضوع على الجمعية العمومية . وفجأة خرجت علينا الصحف بخبر نزل علينا كالصاعقة، خبر يقول إن رئيس مجلس النظار حمل إلى بيته جميع محاضر الجمعية العمومية . وسرت إشاعة أنه يريد أن يدخل تحريفا من عندياته على محاضر جلسات الجمعية فقررنا اغتياله . وتطوع الوردانى للقيام بهذه المهمة . فتم ذلك فى صباح يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠ . وتصور الانجليز أن الحزب الوطنى وراء الحادث . وقد ألقى القبض على أعضاء الجمعية واستغرق التحقيق معهم أربعة أسابيع كاملة ، وبعدها تقرر إحالة القضية على محكمة الجنايات . وعندما كنت فى السجن زارنى المحامى إبراهيم الهلباوى وتوسل إلىّ أن أمنحه توكيلا للدفاع عنى حتى أمكّنه من التكفير عن جرائمه فى دنشواى فوافقت كما وافق بعض زملائى . ودارت المحاكمة فى سراى « منصور باشا » بباب الخلق . وأذكر أن أحدهم جاء إلى السجن ثم همس فى أذنى قائلا «القاضى متولى غنيم قرر أن يصدر الأمر بالإفراج عنكم» فاستبشرت بما سمعت . وفى يوم الجلسة وفى قفص الاتهام همست إلى شفيق منصور بما علمت فقال لى « لا تتفاءل كثيرا . فقد سمعت بدورى أن الخديوى ثائر . . وهو يقول لكل الذين يقابلونه . . الأولاد دول لازم يتشنقوا . . وفى الأسبوع الماضى اتصل المعتمد البريطانى بنفسه برئيس النظار وقال له . . « لازم يحال كل المتهمين إلى محكمة الجنايات » . وقد هددوا متولى غنيم بالإحالة إلى التقاعد إذا لم يصدر الأمر بإحالتنا إلى الجنايات » . وقد انتهت المحاكمة بإحالة إبراهيم الوردانى على محكمة الجنايات والإفراج فورا عن بقية زملائه. صفقت الجماهير كلها للقاضى النزيه وحملنا الشعب على الأكتاف فى مظاهرة طويلة. وفى هذه الأثناء كان عبد الخالق ثروت ممثل النيابة يتصايح وهو يقول للقاضى : مستحيل تفرج عنهم . . النيابة ستقوم باستئناف القرار . وقد ترددت بعد ذلك أنباء تقول إن النيابة العامة تزمع القبض علينا من جديد ، فلم يكن أمامنا إلا أن نهرب . . وقد بادرت بالسفر إلى إستانبول حيث عملت مهندسا فى نظارة الأشغال التركية » .

جرت محاكمة الوردانى أمام محكمة الجنايات فى ٢١ أبريل و ١٣ مايو وكان الدفاع عنه أحمد لطفى وإبراهيم الهلباوى . وفى ١٨ مايو صدر الحكم بإعدام الوردانى . قدم محمود أبو النصر وأحمد لطفى نقضا لذلك الحكم ولكن محكمة النقض فى ١١ يونية سنة ١٩١٠ حكمت برفض النقض .

وفى أثناء محاكمة الوردانى ظهرت قصائد كثيرة فيها تلميح إليه وتمجيد له . أذكر أنى قرأت وقتئذ مجموعة قصائد فى «الورد» . وقد نشر شوقى فى (الجريدة) فى ١٩ مايو أى فى اليوم التالى اليوم الذى صدر فيه حكم الإعدام . قصيدته الشهيرة (صداح يا ملك الكنار . .) تحت عنوان :

(الرق والحرية والضعف والقوة)

إلى المحجوبة الغالية ملك الباحثة بالبادية

وكان مفهوما أن شوقى يرمز إلى الوردانى[1] وهو أسير بين قضبان الحديد وأن خطابه إلى صداحه ، وهو فى القفص غير طليق ، كان موجها إلى السجين . وقد قال شارح الديوان إنه الحسين وعلى وآمنة فى قوله :

جاورت أندى روضة   وحللت أكرم منزل
بين الحفاوة من (حسيـ   ـن) والرعاية من (على)
وحنان (آمنة) كأ   ـمك فى صباك الأول

هم أبناء الشاعر ، وهذا صحيح ولكن الشاعر يقصد هنا الإمام على وابنيه الحسين والسيدة آمنه رضى الله عنهم ، وذلك أن الشاعر بعد أن أشاد بضرورة التضحية والجهاد فى محنة الحياة الدنيا والإذعان للمصير المحتوم :

جعلت لحر يبتلى   فى ذى الحياة ويبتلى
يرمى ويرمى فى جها   د العيش غير مغفل

عزى صاحبه بأنه سيلقى فى جنات الخلد الحفاوة من حسين والرعاية من على وحنان آمنة ، ثم قال :

صح بالصباح وبشر الـ   أبناء بالمستقبل
واسأل لمصر عناية   تأتى وتهبط من عل

قال ربما . . . أدرك كاتبك التى . . . فلا شأن للحجاب والسفور بذلك وبالأمثال تضرب للبيب الأمثال . . . لا سيما وأن موضوع الحجاب لا تحتاج معالجته إلى إشارات ورموز .

---

(١) كنت فى يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩٥٨ فى مجلس ضم الأستاذ حسين شوقى ابن أمير الشعراء والأستاذ مجد الدين حفنى ابن المرحوم حفنى ناصف وأختها (باحثة البادية) السيدة ملكة ناصف زوجة المرحوم عبد الستار الباسل وجاء ذكر قصيدة (صداح يا ملك الكنار) فقال مجد الدين إن المرحوم عبد الستار الباسل الذى كان رجلا محافظا إلى أقصى حد غضب وثار حين نشر شوقى قصيدته ووجه الكلام فيها إلى امرأه (باحثة فى البادية) حتى أفهمه المرحوم حفنى ناصف أن المقصود بالقصيدة هو الوردانى وأن توجيه الخطاب إلى ملكة ناصف كان الغرض منه التستر على الموضوع الحقيقى .

* * *

وقد نشرت (الجريدة) فى ٣١ مايو قصيدة طويلة لأحمد نسيم الشاعر بعنوان رمزى أيضا (أسد فى قفص) جاء فيها :

دعنى وربك لا تزد بلبالى	ما كل قلب مثل قلبك خالى
مالى تملكنى الوجوم وراعنى	صوت دوى فى الروض كالزلزال
أهزيم رعد أم قذيفة مدفع	أبشير خير أم نذير وبال
كلا . فثم عرين أغلب موثق	يبكى زمان مهامه وجبال
يا أيها الأسد المصفد رعتنى	بزئيرك الممزوج بالإعوال
نقلوك من غيل لدار نكال	يا ابن العرين ويا أبا الأشبال

ولا شك أن أسد نسيم كبلبل شوقى هذا يزأر وذاك يصدح بالألم ، وكلاهما سجين . وكلاهما فى محنة ، والطبيعة جبارة . والقدر لا يرحم .

* * *

وقد وجدنا للمرحوم جورجى زيدان مقالا فيه تأييد لما نذهب إليه إذ نشرت (الهلال) فى عدد يوليو سنة ١٩١٠ مانصه :

الرق والحرّية والضعف والقوّة

«هى قصيدة اجتماعية فلسفية قالها شوقى بك فى وصف الحرّية الحقيقية فى سياق خطاب لكنار محبوس فى قفص عنده . وقد نظمها على أثر مقالات لفاضلة مصرية سمت نفسها « باحثة فى البادية » نشرت آراءها فى المرأة الشرقية وتربيتها وخصوصا الحجاب وأضراره وناقشها بعض الكتاب فى آرائها عن ذلك . وفى هذه القصيدة إشارات إلى شىء من هذا القبيل ، وقد تؤخذ عن حال مصر السياسية ، قال . . . »

ثم عقبت (الهلال) على قصيدة شوقى بقولها : فأجابه بعضهم عن باحثة البادية يشير إلى حجاب المرأة قال :

سميتنى ملك الكنا	ر وأنت رب المنزل
وجعلتنى رهنا لأقفا	ص الحديد المقفل
وظننت صيحة لوعتى	فى الأسر صدح البلبل
قد كنتُ صداحا ولـ	ـكن فى الزمان الأوّل
فوق الغصون الناعما	ت على ضفاف الجدول

بين الرياض المزهرا ت بنرجس وقرنفل
والطير أصدح ما يكو ن على الغدير السلسل
حيث الرياح مزاهر لغنائه المسترسل
أنا باغم لا صادح مذ صرت رهن المعقل
عجبا أتطرب من نيا ح من شجى معول
عللتني وسجنتني خوف اصطياد الأجدل[1]
وزعمت أنك مانعي من باشق أو أخيل[2]
إن لم تكن لى جارحا من كل عاد مقبل
وتذود عنى بالقنا وتصيب ذات المقتل
فالحصن والبيداء يسـ ـتويان عند الأعزل
والقفل ليس بمانع من كل لص أحول
كم من رسائل أرسلت طي النسيم المرسل
كم من ذئاب قد عتت دون الرتاج المقفل[3]
كم من نعاج قد عقر ن بعقر دار من عل
أنت القوى ملكتني وأراك لست بمرسلى
وأراك تقتلنى بحـ ـجة حبك المتمحل
لو كان حبك صادقا لفككتني من معقلى

عن باحثة البادية

وكانت (الجريدة) قد نشرت هذه القصيدة فى عدد ٥ يونية سنة ١٩١٠، ولا يخالجنا شك فى أن الذى أجاب (عن باحثة البادية) هو المرحوم حفنى بك ناصف نفسه والد الباحثة، وكان شاعرا مجيدا ومؤرخا كبيرا للأدب العربى، وفى أبياته قوة الصراحة وبيانها:

أنا باغم لا صادح مذ صرت رهن المعقل
عللتني وسجنتني خوف اصطياد الأجدل
أنت القوى ملكتني وأراك لست بمرسلى
لو كان حبك صادقا لفككتني من معقلى

---

(١) الأجدل الصقر. (٢) الأخيل طائر مشئوم والباشق من الصقور.
(٣) الرتاج الباب المغلق.

***

قصيدة ورد الربيع

وتوجد تحية أخرى للوردانى من بحر وروى قصيدة شوقى وفيها إشارة إليه . وقد أنشأ تشطيرا لها المحامى الكبير والصحفى القديم محمد أبو شادى . جاء فى كتاب جمع موادّه السيد عبد الحميد الكيلانى وعبد الحفيظ الروبى إحياء لذكرى أبى شادى ، فى فصل عن (شعره) تحت عنوان (تشطير قصيدة ورد الربيع)[1] ما يأتى : «هى القصيدة الوطنية الشهيرة التى نظمها صديقه الأديب الشاعر المتفنن الأستاذ أحمد رفعت المحرر (بالظاهر) و (العلم) وغيرهما من الصحف الوطنية فى ذاك العهد على أثر شنق الوردانى ، وقد ذاعت حينئذ ذيوعا عظيما وهى منشورة فى مجموعة (أشعار ورد الربيع) المطبوعة سنة ١٩١٠» :

ولى الربيع معللى ... بسعادة لم تكمل
من لى وقد فات الصبا ... برجوع عهدى الأول
فبكيت أيام الشبا[2] ... ئب يرتقبن تغزلى
وسقيت تذكار الصحا ... ب بمدمع لم يذلل
ولئن مضى عهد الربيـ ... ـع بلهفة المستعجل
ونأى بلبـاب الجميـ ... ـع فزهره لم يذبل
مالى أرى ملك الأزا ... هر فى الحضيض الأسفل
وأرى له فلك الزوا ... هر كاد يسقط من عل
يا ورد يا أنس النفو ... س ورقية المتدلل
قد قبّلوك لدى الكؤو ... س فدتك نفس مقبّل
تشتاق طلعتك البهيـ ... ـة مقلة لم تغفل
وتزور روضتك السنيـ ... ـة كل صبح مقبل
يا ورد أنت سنا العيو ... ن إذا الدجى لم ينجل
مرآك تسلية الحزيـ ... ـن وفكرة المتأمل
لون يجول خلاله ... خفر الفتاة لمجتلى

---

(١) هى القصيدة التى أشرنا اليها فى البداية وكان صاحبها الأستاذ أحمد رفعت محررا فى (العلم) وقتئذ .

(٢) شبائب جمع شبيبة .

لكنما فى طيـه ... معنى الرجاء الأكمل

فكأنه شفق الصبا ... بة لاح فى القلب الخلى

أو أنه نور الصبا ... ح وغرة المتهلل

أحييت من ميت النفو ... س بنفحة لم تملل

وأزلت أشجان النفو ... س وكنت خير مؤمل

لك نفحة عطرية ... عبثت بقلب الجندل

وإذا بدت فى موضع ... أزرت بطيب المندل

تتنازع الأقوام نحـ ... ـو مكانها المتحمل

وجميعهم يبغون عنـ ... ـو عبيرها المسترسل

سارت إلى كل البلا ... د كتحفة المتفضل

وتنقلت بين العبا ... د ولم تدع من محفل

يا ورد ، كم لك من يد ... غراء عند البلبل

ومحامد مأثورة ... بين الورى لم تجهل

حركت (شوقى)(1) القريـ ... ـض فعاد بعد تحول

وبعثت فى القلب المريـ ... ـض وكان عنك بمعزل

وسرى بنفحتك النسيـ ... ـب إلى المحب المعول

وأذاع شهرتك السديـ ... ـم إلى السماك الأعزل

يا ورد إن أصبحت من ... روض فأنت بأمثل

إن لم يكن مرآك فى ... نظرى فأنت بمنزلى

وإذا خلوت مفكرا ... ما فى سواك تأملى

وإذا [illegible] ... كنت الأنيس الفرد لى

لو كنت ممن يشربو ... ن على القذى لم أحفل

أو كنت ممن يحتسو ... ن الراح كنت معللى

أسفى على عهد الربيـ ... ـع وليته لم يعجل

أسفى على الروض البديـ ... ـع ووروده المترحل

---

(1) نعنى النبي ووضعنا الكلمة بين قوسين ففيها تورية ظاهرة .

أحيا النفوس بعَرفه ... ونأى كأن لم يفعل
كالطيف جاد بزورة ... ومضى ولم يتمهل
فعسى نرى نفحاته ... ما بيننا فيما يلى
أيام يشرق نوره ... فى روضة المستقبل

وقد عقب واضعا كتاب (ذكرى أبى شادى) على القصيدة والتشطير بقولهما : « وهذا التشطير والقصيدة من أبدع الشعر السياسى الرمزى . وإذا ضربنا صفحا عن ذلك فلن يفوتنا أن نلاحظ ما تضمنه هذا الشعر من ضروب الجمال الوصفى الوجدانى لورد الربيع فى وجوده وفنائه » . آنتهى .

* * *

قصيدة شوقى

صداح يا ملك الكنا ... ر ويا وأمير البلبل [١]
قد فزت منك بمعبد ... ورزقت قرب (الموصلى) [٢]
وأتيح لى (داود) مز ... مارا وحسن ترتل
فوق الأسرة والمنا ... بر قط لم تترجل
تهتز كالدينار فى ... مرتج لحظ الأحول
وإذا خطرت على الملا ... عب لم تدع لممثل
ولك ابتداءات (الفرز ... دق) فى مقاطع (جرول) [٣]
ولقد تخذت من الضحى ... صفر الغلائل والحلى [٤]
ورويت فى بيض القلا ... نس عن عذارى الهيكل [٥]

* * *

يا ليت شعرى يا أسيـ ... ـر شج فؤادك أم خلى ؟ [٦]
وحليف سهد أم تنا ... م الليل حتى ينجلى

---

(١) الكنار والكنارى طائر حسن الصوت وريشه أبيض يضرب إلى الصفرة وقوادم جناحيه طويلة إلى الخضرة وينسب إلى جزائر كناريا وهى الجزائر الخالدات . (٢) معبد مغن مشهور فى الدولة الأموية . والموصلى إسحاق الموصلى الأديب المغنى . (٣) جرول اسم الحطيئة الشاعر . (٤) الغلالة بكسر الغين شعار يلبس تحت الثوب .
(٥) القلانس جمع قلنسوة نوع من لباس الرأس . الهيكل معناه هنا الموضع فى صدر الكنيسة يقرب فيه القربان كما تزعم النصارى ، وفى هذا البيت أنواع من المجاز ثم كناية عن المعنى المقصود وهو يريد أن طائره أبيض الرأس كأنه يلبس قلنسوة بيضاء كالعذارى الراهبات المنقطعات لخدمة الهيكل . (٦) الشجى المشغول والخلى الخالى من الهم .

بالرغم منى ما تعا — لج فى النحاس المقفل (١)

حرصى عليك هوى، ومن — يحرز ثمينا يبخل

والشح تحدثه الضرو — رة فى الجواد المجزل (٢)

أنا إن جعلتك فى نضا — ر بالحرير مجلل (٣)

ولففته فى سُوسن — وحففته بقَرنفل (٤)

وحرقت أزكى العود حو — ليه وأغلى الصندل

وحملته فوق العيو — ن وفوق رأس الجدول (٥)

ودعوت كل أغر فى — ملك الطيور محجل

فأتتك بين مُطارح — ومجبذ ومدلل

وأمرت ابنى فالتقا — ك بوجهه المتهلل

بيمينه فالنموذج — لم يهد لمتوكل

وزجاجة من فضة — مملوءة من سلسل

ما كنت يا صداح عنـ — ـدك بالكريم المفضل

شهد الحياة مشوبة — بالرق مثل الحنظل

والقيد لو كان الجما — ن منظما لم يحمل

يا طير لولا أن قو — لوا جُن قلت تعقل

[illegible] — لك لم يفدك كمجمل

صبرا لما تشقى به — أو ما بدا لك فافعل

أنت ابن رأى للطبيـ — ـعة فيك غير مبدل

أبدا مروع بالإسا — ر مهدد بالمقتل

إن طرت من كفى وقعـ — ـت على النسور الجهل (٦)

* * *

يا طير [illegible] — ب للبيب الأمثل

---

(١) تعالج أى ما تزاول وتمارس والمراد بالنحاس المقفل القفص الذى حبس فيه الطائر.

(٢) الجواد الكريم. المجزل المكثر من العطاء. (٣) النضار الذهب. المجلل المغطى.

(٤) [illegible] (٥) العيون هنا عيون الماء. الجدول النهر الصغير.

(٦) [illegible] والنسور تأكل الجيف وهى من سباع الطير [illegible].

دنياك من عاداتها	ألا تكون لأعزل
أو للغبى وإن تعلـ	ـلل بالزمان المقبل
جُعلت لحـر يبتلَى	فى ذى الحياة ويبتلى
يرمى ويرمَى فى جهـا	د العيش غير مغفل
مستجمع كالليث إن	يُجهل عليه يجهل (١)
أسمعت بالحكمين فى الـ	إسلام يوم الجندل (٢)
فى الفتنة الكبرى . ولو	لا حكمة . لم تشعل (٣)
رضى الصحابة يومَ ذ	لك بالكتاب المنزل
وهم المصابيح الروا	ة عن النبى المرسل
قالوا الكتاب وقام كلـ	ـل مفسر ومؤول
حتى إذا وسعت (معا	وية) وضاق بها (على) (٤)
رجعوا لظلم كالطبا	ئع فى النفوس مؤصل
نزلوا على حكم القو	ى وعند رأى الأحيل (٥)
صداح حبق ما أقو	ل حفلت أم لم تحفل
جاورت أندى روضة	وحللت أكرم منزل
بين الحفاوة من حسيـ	ـن والرعاية من على
وحنان (آمنة) كأمـ	ـك فى صباك الأول
صح بالصباح وبشر الـ	أبناء بالمستقبل
واسأل لمصر عناية	تأتى وتهبط من عل
قل ربنا افتح رحمة	والخير منك فأرسل
أدرك كنانتك الكريـ	ـمة ربنا وتقبل

(١) المستجمع من يبذل غاية إمكانه . يجهل عليه يتسافه عليه . (٢) الحكمان هما أبو موسى الأشعرى ارتضاه الإمام على حكما له وعمرو بن العاص اختاره معاوية حكما له وقصة هـذا التحكيم معروفة . يوم الجندل هو أحد أيام الحرب بين على ومعاوية والجندل اسم مكان . (٣) ولولا حكمة أى ولولا حكمة الله .

(٤) رضى الصحابة الخ وذلك أن أصحاب معاوية لما رأوا أن الهزيمة ستكون لهم رفعوا المصاحف على أطراف الأسنة ونادوا عليا وأصحابه أن ينزلوا وإياهم على كتاب الله فأمر على أصحابه أن يكفوا عن الحرب .

(٥) حتى إذا وسعت معاوية أى حتى إذا وسعت ولاية الأمر معاوية بسبب أن الحيلة التى فعلها عمرو بن العاص جازت على أبى موسى الأشعرى رجعوا لظلم إلى آخر ما فى البيتين .

ابتسامة الثغر للمحمل الشريف

« لصاحب الدولة أمير مكة مولانا الشريف حسين باشا مآثر غراء يسديها كل عام إلى المحمل المصرى فكان حقا على حامل لواء الشعر فى هذا العصر سعادة أحمد بك شوقى أن ينوب عن مصر فى هدية يقدمها إليه، وقد فعل فأهداه هذه القصيدة العصماء » .

أيها (الثغر) بلغت الأملا قم إلى الركب وزف المحملا

وامش فى موكبه واجتله موكب الرحمن نعم المجتلى

وتعطر بحليٍّ الشذى وتمتع من خليل الحلى

وإذا فاتك لمس ربعه فتزود بالمحاظ القبلا

واذكر الداعين فلم غدا فى (منى) وادع لهم مبتهلا

هكذا فليستقل مولاه أشيح الملك الكريم المفضلا

سيقول الناس فى أخبارهم نقل المحمل (عباس) إلى

جمل يحمل (لابيت) حلى ليتنى كنت الحلى والجملا

ليتنى خف له أو كلكل يوم يلقى فى (المقام) الكلكلا

سار يحدوه ويحمى جحفل ربنا اكلأه لنا والجحفلا

وفدك (اللهم) كن جارهمو فى بعيد البحر أو قاصى الفلا

وتقبل منهمو ذلك الحلى وأثبهم وأثبهم مجزلا

* * *

يابن خير الخلق قبلت يدا بلغ السؤل بها من قبلا

وبسطت الكف أبغى دعوة يوم تأتى الله أصوات الملا

(عرفات) يعرف الإخلاص لى و(منى) تعرف لى صدق الولا

إن تسل عن حسبي أو نسبي فهما مدحى أباك المرسلا

صلتى عندك لا أتركها وكفانى صلة أن أصلا

أنت فى عليا الذرى من أمة   رفعوا مُلكا، وشادوا دولا
كلما سارت لأرض خيلهم   سبق العلم إليها الأَسلا
قسما بالقاع والثاوى به   وملاك غيبته كربلا
ما علمت المجد إلا مجدكم   قُصر المجد عليكم والعلى
ورث الناسُ نعيما باطلا   وورثتم وحى ربى المنزلا
دام للحج ولىٌّ منكم   يحرس (البيت) ويحمى السبلا

رثاء شوقى لعبد السلام المويلحى[1]

(كان موته فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩١٠)

بنى عبد السلام على أبيكم ... من الرضوان غادية وظل

لكم بيت لواء العلم فيه ... دعائم عزه شرف ونبل

بنوه بنو النبوة قبل هاد ... زكا أصل لكم فيه وفضل

رمى الدهر المكارم والمعالى ... فركنهما ضعيف مضمحل

وخطب الدين والدنيا جليل ... ولكن قدر من فقدا أجل

يحج لقبره بؤس عفاة ... ورب القبر بالفردوس حل

يملين لا بالأرض أمسى ... وشأن النجم عن أرض يجل

وصافح بعضنا فى العيد بعضا ... وصافحه ملائكة ورسل

وعند الله ينشر بعد طى ... حياة كلها فى الخير فعل

لقاء الموت غاية كل حى ... ولكن للحياة هوى مضل

فإن تسمع بزهد القوم فيها ... فإن الحب يكثر أو يقل

وعند الموت تحسر كل نفس ... لها فى العيش أوطار وأهل[2]

---

(١) كان عبد السلام المويلحى زعيم المعارضة فى سنة ١٨٧٩ فى أول مجلس نيابى أنشأه إسماعيل . وقد أشارت إليه (التيمس) فى عدد ١٦ ابريل سنة ٧٩ وقارنته بميرابو : «لم يعد مجلس النواب موضع سخرية واحتقار فإن أعضاءه قد أثبتوا مرارا أنهم على جانب من الجاه والاستقلال ، ولم تكن الأخيرة بأقل من سابقاتها ، فإن رياض باشا وزير الداخلية ذهب أخيرا ليختم رسميا دور الانعقاد ، وقد وجه للأعضاء بهذه المناسبة خطابا رقيق العبارة يتعلق بخدماتهم المالية وأعلنهم أن واجباتهم قد أديت على أكمل وجه ، ولكنه لم ينجح فى تمثيل دور كرومويل لأن المجلس رفض اقتراحه وقام أحد النواب وصرح باسم البرلمان أن أعضاءه لم يعملوا شيئا وأن مهمة الإشراف على أعمال الوزارة لا تزال أمامهم ، وهذا يدعوهم إلى البقاء ، وقد أيده زملاؤه بالإجماع والتفوا حوله إلتفاف النواب حول ميرابو فى فرساى إبان الحادثة المشهورة ولا يزال البرلمان المصرى يعقد جلساته و يقول الآن إن جميع الوزراء ، مصريين وأجانب ، يجب أن يخضعوا لإرادته وأن يكونوا مسؤولين أمامه عن أعمالهم » .

(٢) تحسر : تتلهف على الغائب . هذا البيت والذى قبله من رائع الحكمة . وقد نظر شوقى فى البيت السابق إلى قول المتنبى :

وإذا الشيخ قال أف فما مل ... ل حياة وإنما الضعف ملا

مضى المعطى وما تدرى يداه ... ومن يأسو الجراح ومن يبل [1]

ومن وزن الزمان فتى وشيخا ... إذا الفتيان قبل الشيب ضلوا

وقور فى الحوادث لا يبالى ... سيوف البغى تغمد أو تسل

وأقطع من سيوف الهند حدا ... لسان لا يهاب ولا يزل

كبير فى المواقف لا جهول ... بآداب الخطاب ولا مخل

يسيل فصاحة ويفيض علما ... وخطبة بعضهم عى وجهل

فسر عبد السلام إلى كريم ... يلوذ به الكريم ويستظل

بكاك الناس أحبابا وأهلا ... بأحسن ما وفى للخل خل

وذاقت فقد خادمها بلاد ... له فى جيدها من وفضل

تعقَّل فى محبتها فتيا ... وأخلص فى المحبة وهو كهل

وليس يؤثِّر الإخلاص شيئا ... إذا لم يصحب الإخلاص عقل [2]

---

(١) يبل : يصل و يعطى .

(٢) يؤثر : يترك أثرا . والشطر الأول غير محكم النسج . أما قوله فى الشطر الثانى (إذا لم يصحب الاخلاص عقل) فتلك كانت لغة العصر لأن رجال الحزب الوطنى بعد موت مصطفى كامل واتباع سياسة الوفاق مع الانجليز كان يرميهم « المعتدلون » بالتهور وعدم التعقل على الرغم من إخلاصهم لمبادئهم التى انتصرت فى النهاية .

(الأهرام) في ٢ مارس سنة ١٩١١

حفلة الصم والبكم

« كانت الحفلة التي أقيمت أمس مساء في الأوبرا الخديوية لمساعدة مدرسة الصم والبكم التي أنشأها عطوفة إدريس راغب بك بالغة غاية الترتيب . . فمثل الممثلون رواية شمشون ودليلة وفصلا من رواية فاوست ، وكان أجمل ما شهده الحاضرون فيها مجيء خادم أخرس[1] لسعادة شوقي بك يحمل من مخدومه إلى عطوفة مؤسس المدرسة باقة من الزهر وأبياتا قال فيها » :

يا (راغب) الخيرات أنت بقية	في الصالحين لكل خير تصلح
للبر أبواب تلوح لأهله	شتى وعندك كل باب يفتح
أهل المروءة راجعون على المدى	ومن العجائب فاتهم ما تربح
بالباب مفقود اللسان بعثته	يلهو كرفقته لديك ويمرح
يهديك أزهار الربيع وعنده	للحمد أزهار أغض وأنفح
ويقوم في ناديك فيهم منشدا	بما به يطرى الكريم ويمدح
الصم قد سمعوا حديثك في الندى	والخرس ألسنة بشكرك تفصح

(١) جنايني من الإستانة اسمه اسكندر .

في ذكرى المولد النبوي الشريف

عام ١٣٢٩ هـ [1]

به هجر [2] يتيمه … كلا جفنيك يعلمه

هما كادا لمهجته … ومنك الكيد معظمه

تعذبه بسحرهما … وتوجده وتعدمه

فلا هاروت رق له … ولا ماروت يرحمه

وتظلمه فلا يشكو … إلى من ليس يظلمه

أسر فمات كتمانا … وباح نحفانه فمه

فويح المدنف المعمو … د حتى البث يحرمه

طويل الليل ترحمه … هواتفه وأنجمه

إذا جد الغرام له [3] … جرى في دمعه دمه

يكاد لعهده أبدا [4] … يعادي السقم يسقمه

ثنى الأعناق عوده … وألقى العذر لومه

قضى عشقا سوى رمق … إليك غدا يقدمه

عسى إن قيل مات هوى … تقول الله يرحمه

فتحيا في مراقدها … بلفظ منك أعظمه

* * *

بروحي البان يوم رنا … عن المقدور أعصمه [5]

ويوم طعنت من غصن … منعمه معلمه [6]

قضاء الله نظرته … ولطف الله مبسمه

---

(١) نشر القسم الغزلي من هذه القصيدة (ويبلغ ٢١ بيتا) في الجزء الثاني من الشوقيات (باب النسيب ص ١٧٠ — ١٧١). أما القسم الباقي منها وهو الخاص بمدح الرسول (٧٨ بيتا) فلم ينشر! ونحن ننشرها هنا القصيدة كاملة.

(٢) في الديوان (سحر). وهجر أنسب خصوصا وأن كلمة (سحر) مكررة في البيت الثالث.

(٣) في الديوان به وهي أحلى.

(٤) في الديوان (تكاد لطول صحبته).

(٥) الأعصم من الظباء والوعول: ما في ذراعيه أو في أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر.

(٦) شطر غامض المعنى ضعيف.

رمى فاستهدفت كبدى ... بنى الرامى وأسهمه (١)
له من أضلعى قاع ... ومن عجب يسلمه
ومن قلبى وحبته ... كناس بات يهدمه
غزال فى يديه التيـ ... ـه بين الغيد يقسمه
كأن أباه من بأحـ ... ـمد الهادى يكلمه

* * *

نبى البر والتقوى ... منار الحق معلمه
معانى اللوح أشرفها ... رسالته ومقدمه
له فى الأصل أكرمهم ... عريق الأصل أكرمه
خليل الله معدنه (٢) ... فكيف يزيف درهمه
أبوة سؤدد أخذت ... بقرن الشمس تزحمه
« ذبيحيون » كلهم ... أمير البيت قيمه
تلاقوا فيه أطهارا ... بسياهم تسومه (٣)
فنعم الغمد آمنة ... ونعم السيف لهذمه
سرى فى طهر هيكلها ... كسرى المسك يفعمه
يتيما فى غلائلها ... تعالى الله موتمه (٤)
تزف الآى محمله ... إلى الدنيا وتقدمه
ويمسى نور أحمد فى ... ظلام الجهل يهزمه

---

(١) استهدف نصب نفسه كالغرض يرمى . الشطر الثانى مستقل بمعناه عن الأول .

(٢) الخليل لقب إبراهيم جد يعقوب .

(٣) لعلها مسومه (الواو مشددة وعليها فتحة) ؛ السومة العلامة . وقال تعالى من الملائكة مسومين ، وأراد معلمين (بلام مشددة ومفتوحة) . والخيل المسومة المرعية والمسومة المعلمة . وقوله تعالى مسومين قال الأخفش معلمين : وفى الحديث أن لله فرسانا من أهل السماء مسومين أى معلمين . وفى الحديث قال يوم بدر سوموا (واو مشددة ومكسورة) فإن الملائكة قد سومت أى اعملوا لكم علامة يعرف بها بعضكم بعضا . وفى حديث الخوارج سيماهم التحليق أى علامتهم . سوم فلان فرسه إذا أعلم عليه بحريره أو بشىء يعرف به . قال والسيما ياؤها فى الأصل واو وهى العلامة يعرف بها الخير والشر ، قال الله تعالى تعرفهم بسيماهم وقال تعالى : سيماهم فى وجوههم . وإذا كان (بسياهم توسمه) — لا تسومه — فيكون المعنى أنهم يتحلون بسمة جلال البيت . جاء فى اللسان الشيخ المتوسم والشاب المتلوم : المتوسم المتحلى بسمة الشيوخ . وقد توسمت فيه الخير أى تفرست . وقد جاءت فى القافية ثانية بعد عشرة أبيات ، وهذا جائز (به غيرا توسمه) . وهنالك قواف أخرى مكررة .

(٤) أيتمه الله إيتاما بجعله يتيا . وأيتمت المرأة صار أولادها يتامى فهى موتم ج مياتم . والغلالة بالكسر شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضا .

وفى النيران يخمدها ... وفى الإيوان يثلمه
وفى المعوج من دين ... ومن دنيا يقومه
فلما تم من طهر ... ومن شرف تنسمه

* * *

تجلى مولد الهادى ... يضىء الكون موسمه
هلموا أهل ذا النادى ... على قدم نعظمه
بدا تستقبل الدنيا ... به خيرا توسَّمه
يُجِّلها تهلله ... ويحييها تبسمه
إلى الرحمن جبهته ... ونحو جلالها فمه
وفى كتفيه نور الحـ ... ـق وضاح وروسمه (١)
يتيم فى جناح اللـ ... ـه يرعاه ويعصمه
فمن رحم اليتيم ففى ... رسول الله يرحمه
يقوم به عن الأبو ... ين جبريل ويخدمه
وترضعه فتاة البر ... ر من سعد وترحمه (٢)
ويكفله موشّى البر ... د يوم الفخر مُعلَمه (٣)

* * *

نبىّ البر علمه ... وجاء به يعلمه
أبر الخلق عاطفة ... وأسمحه وأحلمه
وأصبره لنائبة ... ومحذور يجشّمه
لكل عنده فى البر ... حق ليس يهضمه
ولىّ الأهل والأتبا ... ع والمسكين يطعمه
سحاب الجود راحته ... وفى برديه عيلمه
وما الدنيا وإن كثرت ... سوى خير تقدّمه

---

(١) الروسم الخاتم . و — الملامة و — الرسم و — خشبة مكتوبة بالنقر يختم بها الحنطة ونحوها على البيادر حتى لا تخفى السرقة منها .   (٢) سعد بن أبي وقاص من خؤولة النبيّ ومن أكبر الفاتحين .

(٣) اليتيم الفرد واليتم الانفراد . واليتم فى الناس فقد الصبيّ أباه قبل البلوغ . وإذا بلغ زال عنه اليتم . وقد يطلق عليه مجازا بعد البلوغ كما كانوا يسمون النبي صلى الله عليه وسلم يتيم أبي طالب لأنه رباه وكفله بعد موت أبيه .

يضيء القبر موحشه ... عليك به ومظلمه
وتغنمه إذا ولّى ... عن الإنسان مغنمه

* * *

نظام الدين والدنيا ... أُتيح له يتممه
تطلع فى بنائهما ... على التوحيد يدعمه
بشرع هام فيه النا ... س هاشمه وأعجمه
كضوء الصبح بيّنه ... وكالبنيان مُحكَمه
بيان جلّ موحيه ... وعلم عزّ ملهمه
حكيم الذكر بين الكتـ ... ـب مظهره وميسمه
وكم للحق من غاب ... رسول الله ضيغمه
له الغزوات لا تُحصى ... ولا يحصى تكرمه
تكاد تقيد الإسداء قـ ... ـبل السيف أنعمه[1]
أمين قريش اختصمت ... بفناء ته تُحكّمه
صبيا بين فتيتها ... إليه الأمر يرسمه
وإن أمانة الإنسا ... ن فى الدنيا تقدّمه
زكى القلب طُهّر من ... هوىً وغواية دمه[2]
عفيف النوم يصدُق ما ... يرى فيه ويحلُمه
وخلوته إلى ملَك ... على حلم يحلّمه
يفيض عليه من وحى ... فيَفهمه ويُفهِمه
كتاب الغيب مفضوض ... له باد محكّمه
مبين فيه ما يأتى ... وما ينوى ويعزمه
ويظهر كل معجزة ... لشانيه فيفحمه
فصاديه يُظلّله ... وباغمة تكلمه

---

(١) لعل صحة هذا البيت :

تكاد تقيد الأعداء قـ ... ـبل السيف أنعمه

يريد أن أنعمه تقيد الأعداء بالإحسان قبل السيف ...

(٢) زكى القلب طاهر القلب . وفى سورة مريم « إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا » . قال البيضاوى أى طاهرا من الذنوب ناميا على الخير .

تروّى الجيش راحته إذا استسقى عرمرمه
ويستهدى السماء حيا لسائله فتسجمه
ويرسل سهم دعوته إلى الباغى فيقصمه
تبارك من به أسرى وجل الله مكرمه
يريه بيته الأقصى ويُطلعه ويعلمه
على ملكٍ أمين اللـ ـه مُسرجه وملجمه
معارجه السموات الـ ـعُلى والعرش سلّمه
فلما جاء سدرته[1] وكان القرب أعظمه
دنا فرأى تحيَّر فكا ن من قوسين مجثمه
رسول الله لن يشقى ببابك من يُيَمّمه
وأين النار من بشر بسدّته تحرّمه
لواء الحشر بين يد يك يوم الدين تقدمه
شفيعا فيه يوم يلو ذ بالشفعاء مجرمه
ففى يمناك جنته وفى اليسرى جهنمه
أنا المرحوم يومئذ بِدُرٍّ فيك أنظمه
ولا منٌّ عليك به فمن جدواك منجمه
أينطق حكمة وحِجا لسان لا تقوّمه
خلاصى لست أملكه وفضلك لست أعدمه
تراك متى أطيف به وأنشقه وألثمه
ففيه الخلق أعظمه وفيه الخلق أوسمه[2]
سقاه من نمير الخا لد كوثره وزمزمه
ولا برحت معطّرةٌ من الصلوات تلزمه

---

(١) سدرة المنتهى يقال إنها شجرة نبق عن يمين العرش .

(٢) يريد النبي أعظم الخلق وأوسمهم أى أحسنهم وجها .

(الأهرام) فى ٢٦ أبريل سنة ١٩١١

إلى صبرى باشا

أحسن الشعر

كانت الأهرام فى شهرى مارس وأبريل تنشر مقطعات لاسماعيل صبرى باشا تحت عنوان (أحسن الشعر) . وقد نشرت له آنئذ هذين البيتين الشهيرين :

أقصر فؤادى فما الذكرى بنافعة ... ولا بشافعة فى رد ما كانا

سلا الفؤاد الذى شاطرته زمنا ... حمل الصبابة فاخفق وحدك الآنا

وفى عدد ٢٢ أبريل سنة ١٩١١ أضاف صبرى بيتين آخرين إلى البيتين السابقين وهما :

هلاَّ أخذت لهذا اليوم أهبته ... من قبل أن تصبح الأشواق أشجانا

لهفى عليك قضيت العمر مقتحما ... فى الوصل نارا وفى الهجران نيرانا

وفى عدد ٢٦ أبريل نشرت الأهرام الكتاب الآتى :

سيدى المحترم مدير جريدة الأهرام :

«سلاما واحتراما و بعد فقد اطلعت على بيتين لصديق إسماعيل صبرى باشا فتمثلت بهما طربا وجادت على قريحتى بهاته الأبيات الثلاثة فأرجو نشرها . وقد تعمدت إرسالها غير ممضاة لثقتى أنها ستنم لدى سعادته عنى . وها هى موجهة لشخصه الكريم :

يا ناثرا حكما فى الناس بالغة ... وفَّيت ركن الهوى شرحا وتبيانا

لكن أثرت على العشاق عاصفة ... جرت عليهم من التذكار أشجانا

إن البلابل ما تشدو(١) يهيم بها ... قلب المحب فيجرى الدمع هتانا

صديق قديم

---

(١) ما مصدرية زمانية . ما تشدو أى مدة شدوها فحذف الظرف وخلفته ما وصلتها .

قصيدة مفقودة

نشر (المؤيد) فى عدد أول أكتوبر سنة ١٩١١ تحت عنوان (رثاء رياض) ما يأتى : « كان سعادة نابغة شعراء مصر الأوحد (شوقى بك) أنشأ فى فترة الصيف عدة قصائد اعتنى بها كل الاعتناء حتى ظهرت آيات بينات أو رايات منشورات فى سماء الأدب العربى. وكانت أولى هذه الآيات وأحقها بالذكر والتخليد قصيدته هذه التى رثى بها رجل مصر المغفور له (رياض باشا) وكان قد أراد الاكتفاء بنشرها فى الجزء الثانى من ديوانه « الشوقيات » ولكنه عاد فتفضل بها أمس على المؤيد لتنشر به اليوم[1] » . ثم قال : « وكان من جملة قصائده الرنانة فى صيف هذا العام قصيدة أنشأها فى وصف استقبال ملك إيطاليا للجناب العالى الخديوى ولكنه طواها بعد ما كان يريد نشرها لعلمه بأنه لم يبق محل لهذا النشر بعد الذى ظهر من عدوان هذه الدولة على الدولة العلية وقد أحسن صنعا بهذا الطى » .

هذه القصيدة التى طويت بسبب حرب طرابلس قد طويت فيما يظهر إلى الأبد . ولكننا عثرنا فى « مجلة سركيس » عدد ديسمبر سنة ١٩١٢ (ص ٦٩٣ من السنة الخامسة) على ما يأتى تحت عنوان (هوى مصر) : « أسمعنى شوقى قوله من قصيدة لم تنشر ذكر فيها تشريف الجناب العالى فى ذلك الوقت مدينة تورين[2] وفيها المعرض » :

ولقد يقول ابناى فى نجواهما ... ماذا يكابد فى النوى ويلاقى
ولدىّ مصر لها ، كما لكما ، هوًى ... والحب كل صبابة بمذاق

(١) هى القصيدة التى مطلعها :
ممات فى المواكب أم حياة ... ونعش فى المناكب أم عظات
وهى منشورة فى الجزء الثالث من (الشوقيات) — المراثى — فى صفحات ٤٦ — ٥٢

(٢) تورين أو تورينو مدينة شهيرة فى إيطاليا .

(المؤيد) في ٢١ يناير سنة ١٩١٢

رعاية الأطفال

يا حماة الطفل خير المحسنين يدكم فيها يد الله المعين

أنظروا عند توافى جمعكم تجدوا فى الجمع جبريل الأمين

ظَلَّلَ الطفلَ ووافاه على مهرجان الله عرش المرسلين

يذكر الفضلَ على الدهر لكم من رعيتم من بنات وبنين

عرفوا الدهر ولما يولدوا فسل الدهر أكانوا مذنبين (١)

غرباء الأهل نزّاح الحمى وجدوا الدار بكم والأقربين

قل لمن إن قيل فى البر لهم قبضوا الراح وولوا معرضين

اتقوا الأيام فى أعقابكم أأخذتم لهمُ عهد السنين

يأخذ الله وإن طال المدى ويُدان المرء ما كان يدين

خَلق الحظَّ جُماناً وحصى خالقُ الإنسان من ماء وطين

ولأمر ما وسر غامض تسعد النطفة أو يشقى الجنين

فوليد تسجد الدنيا له وسواه فى زوايا المهملين

وابن كسرى لا يُلَقّ راية يتلقاها ابن عبد باليمين (٢)

رب مهد أزرت البؤسى به فيه كنز خبأ الغيبُ ثمين

مرضَعا يقطر بؤسا يومه مغدِق النعمى غدا فى العالمين

أو ضعيف الركن فى الفاقه هو ركن القوم ضرغام العرين

أوطويل الصمت أعمى فى الصبا بين برديه المعرىُّ المبين

أو فتاة هينة (٣) فوق الثرى ولدت من بالثريا يستهين

* * *

سيد النيل وواليه معا مصرك الغرة والشرق الجبين

سعد الكل بناديك فلا بائس يشقى ولا طفل حزين

ارحم الحساد واغفر للعدا أنت عند الله والشعب مكين

---

(١) هذه صرخة عاتية من صرخات شوقي الفيلسوف أمام بؤس الانسان والبنين .

(٢) إشارة إلى البيت القديم : إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

(٣) ضعيفة ذليلة .

(الجريدة) فى ١٣ فبراير سنة ١٩١٢

تقريظ كتاب (الإنسانية والتمدن)

تأليف جرجس بك أنطون

لله أنت مؤلفا ومدوِّنا ... وجليل سفرك منشئا ومعنونا

فيه الجواهر قد عُرفن وإنما ... قبل الجواهر قد عرفنا المعدِنا

زينت معناه بلفظك شائقا ... وأتيت بالمعنى للفظك أزينا

وملأته من حكمة وفكاهة ... وجلوته مثل الرياض وأحسنا

هو كالندىِّ وأنت بين سطوره ... ملك الحديث تنقلا وتفنُّنا

أو تلك جنات البيان تفجرت ... فيها المعارف للبصائر أعينا

والعلم ليس بكامل فى حسنه ... حتى يصيب من البيان محسِّنا

ويكاد قارئه لكل عبارة ... يزداد «إنسانية وتمدنا»

* * *

تكريم حافظ سنة ١٩١٢ (١)

نظمنا سنىّ التهنئات نزفها ... إلى علم بين النوابغ مفرد

ولو أن من أقلامه فى أكفنا ... وقلنا لجاء القول إنجيل مهتد

ومن يتعهد للرجال صداقة ... يطب بالذى سر الصديق ويسعد

ومن يحفظ الخلان يحفظ مدارعا ... عليه ويستثمر غراس التودد

وما حافظ إلا بناء مكارم ... وزاخر عرفان وهضبة سؤدد

فتى يرفع الأشعار ما شاء قدرها ... وترفعه الأشعار رتبة مخلد

ويلق عليه فى السلام وفى الوغى ... رجاء يراع أو رجاء مهند

ألا عند مصر والبيان وأهله ... يدٌ للعالى صادفت حافظ اليد

---

(١) بعد تعيين حافظ وكيلا لدار الكتب أنعم عليه بالرتبة الثانية فأقام له سليم سركيس حفلة تكريم فى ٣١ مايو سنة ١٩١٢ . وقد ألقيت أبيات شوقى فى هذه الحفلة .

تحية شوقى بك

لبلبلة الشرق السيدة ليلى[١] فى احتفال جمعية الهلال الأحمر بالإسكندرية

ردّت الروح على المضنى معك ... أحسن الأيام يوم أرجعك[٢]

مرّ بها كانت ورقًا فى النوى ... وقليل للهوى ما أتبعك

إن يكن إثرك لم يهلك أسى ... هو مولاك إليه آستشفعك

مر من بعدك ما روعنى ... أترى يا حلو بُعدى روّعك

قمت بالبين وما جرعنى ... وحملت الشّطر مما جرعك

كم شكوت البث يا ليل إلى ... مطلع البدر عسى أن يُطْلِعك

وبعثت الشوق فى ريح الصّبا ... فشكا الحرقة مما آستودعك

لم تسل ما ليله ما ويله ... وسألتُ الريح ماذا ضعضعك

مبدعا فى الكيد والدل معا ... لست أشكوك إلى من أبدعك

* * *

يا نعيمى وعذابى فى الهوى ... بعذولى فى الهوى ما جَمَّعك

بين عينيك وقلبى رحمة ... نقلت عيناك لى ما أسمعك

أنت روحى ظلم الواشى الذى ... زعم القلب سلا أو ضيّعك

موقعى عندك لا أعلمه ... آه لو يعلم عندى موقعك

نحن بانٌ ونسيم فى الهوى ... بك أغرانى الذى بى أولعك

نحن فى الحب الحميا والحيا ... قد سقانيها الذى بى شعشعك[٣]

---

(١) قالت (مجلة سركيس) فى عدد ١٩١٠/١/٣١ أن ليلى لزمى المطربة تسمى «طائر الجنة» مذ قال مطران:

أسمعتنا ما شاق ألبابنا ... وعلم الأحياء معنى الوجود

يا طائرا أفلت من جنة ... فأسمع الفانين شدو الخلود

(٢) شوقى مولع بابن زيدون وهو يجاريه فى قصيدته الشهيرة:

ودع الصبر محب ودعك ... ذائع من سره ما استودعك

وقد نشرت من قصيدة شوقى تسعة أبيات فى ديوانه (الجزء الثانى ص ١٦٢)

(٣) قال شوقى من قصيدة أخرى:

يا من جرى من مقلتيه لى الهوى ... صرفا ودار بوجنتيه مشعشعا

أرجفوا أنك شاك موجع | ليت بى فوق الضنى ما أوجعك
لو ترى كيف آستهلت أدمعى | لا رأت أمك يوما أدمعك
نامت الأعين إلا مقلة | تسكب الدمع وترعى مضجعك
وتحنت وتمنت أضلعى | لو فدت، مما تلاقى، أضلعك
بى من جرحك ألف مثله | لا خلعتُ السقم حتى يدعك
احتكم فى الروح والمال وخذ | نور عينىَّ عسى أن ينفعك

(مجلة سركيس) عدد ١٥ فبراير سنة ١٩١٣

الشيء بالشيء يذكر

شوقي يرتجل

لما تناقلت الصحف أخيرا أخبار السيد محمد توفيق البكرى ووصفت سوء حاله أشارت إحداها إلى حادثة وقعت لى مع السيد عبد الحميد البكرى فرأيت أن آتى على بيان ما جرى يومئذ وفيه فكاهة وعبرة .

لما توفى شيخ السادات عن غير عقب رأى سمو الخديوى يومئذ أن يسند منصب شيخ السجادة الوفائية الرفيع إلى السيد على يوسف صاحب المؤيد [1] . وكانت هذه المشيخة قبل ذلك قد أسندت مؤقتا إلى السيد عبد الحميد البكرى بينما كان السيد توفيق نقيب الأشراف وشيخ المشايخ الصوفية . وكنت يومئذ محررا فى جريدة المؤيد فحدث ذات يوم من أيام شهر رمضان أن السيد توفيق البكرى دعانى للإفطار على مائدته فى سراى الخرنفش وكان هناك ابن أخيه السيد عبد الحميد فدعانى إلى طعام الإفطار فى منزله يوم ٢٦ رمضان وإلى التفرج على القاعة الجميلة الشهيرة فى بيت السادات الذى خلفه هو يومئذ فى مشيخة السادة الوفائية ولأحضر حفلة الكنية فى الليلة المذكورة .

وأنت تعلم أننى مولع بالاطلاع على كل شيء جديد وحفلة الكنية هذه عادة قديمة فى بيت السادات . يجلس رئيس هذا البيت الكريم بكل وقار واحترام ويغمض عينيه ويصلى ثم يمر أمامه من شاء من الحاضرين وينادى مناد باسم الرجل فيقرأ الفاتحة فيطلق عليه الشيخ لقبا يُعرف به بعد ذلك كأن يلقبه بأبى الأسعاد أو المعالى أو الأدب وغير ذلك .

أما أنا فقد لبيت الدعوة محترما البيت . وقبيل الغروب رافقنى الصديق القديم محمود بك الباجورى مدير إدارة المؤيد يومئذ ومررنا فى طريقنا على (سانت جامس) فلقينا هناك شوقى بك شاعر الخديوى وأمير الشعراء فدعانا إلى الجلوس فقلت :

ـ شكرا لك ولكنى ذاهب للإفطار عند السيد عبد الحميد البكرى وسأحضر حفلة الكنية .

ـ لا بأس وهل تنوى الاشتراك فيها ؟

---

(١) أسندت سيادة السادات إلى الشيخ على يوسف فى مارس سنة ١٩١١

— إذا أبيح لى ذلك فعلت .

— وعليه فإنك تجدنى هنا بعد الإفطار فإذا اشتركت فى الحفلة وأخذت كنية معينة عد إلى هنا أنظم لك أبياتا فى الكنية المعطاة لك .

زادنى وعد شوقى رغبة فى الكنية لأحصل على أبيات من الشاعر الكبير لنشرها فى المجلة .

وصلنا إلى دار شيخ السادات وبعد الإفطار تأهبوا لحفلة الكنية ، فأردت أن أشترك فعلا معهم ولكننى خشيت أن أتعرض لأمر دينى خاص فدنوت من فضيلة الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية يومئذ وقلت له : أريد أن أشترك فى حفلة الكنية إلا إذا كانت حفلة دينية خاصة بالمسلمين . فأجاب : لا علاقة لهذه الحفلة بالدين الإسلامى على الإطلاق .. على أننى بالغت فى الاحتياط فجلست إلى السيد عبد الحميد نفسه وسألته فقال : بل يجوز لك الاشتراك ، فما هى الكنية التى تختارها لنفسك ؟ قلت : الرأى للسيد فى ذلك .

فلما بدأت الحفلة دخلت مع الداخلين فلقب ابن أخيه السيد توفيق بأبى التوفيق ، وحسن بك مراد الشماشرجى بأبى اللطف ، ومحمود بك الباجورى بأبى العلا ، وحافظ بك عوض بأبى الإرشاد .

فلما جاء دورى وقفت أمام السيد عبد الحميد ، وبعد أن قرأت الفاتحة كما هو مفروض نادى مناد بإسمى فتأمل السيد طويلا كمن يناجى السماء ويستنزل وحيها ، ثم قال :

— أبا لهب .

وهو الذى نزلت الآية عنه فى القرآن « تبت يدا أبى لهب وتب » فضحكت وضحك بعض من حضر ، إلا أن الفريق الأكبر من العقلاء ذعروا من فعلة السيد وهالهم تحويله الحفلة إلى موقف هزل .

* * *

انتهت الحفلة وانصرفنا فعدت وصديقى الباجورى إلى « سانت جامس » فلقينا شوقى هناك فقال :

— خير إن شاء الله .

— وهل يكون الخير عند صغار النفوس ؟

— وما الخبر وماذا كانت كنيتك يا سركيس ؟

— أبا لهب .

ما رأيت شوقى يغضب مثل غضبته لقومه والأدب والدين . صاح بى : خذ قلما وورقة واكتب . فكنت أطوع من بنانه . . وارتجل الأبيات الآتية :

بيتكمو أبا لهب	أكبر بيت فى العرب
لله لو آمنتم	ما قيل فى القرآن تب
أنتم وإبليس لكم	فى النار أرفع النسب
والله مأمول الرضى	فى الخلق مأمون الغضب
فربما عينت فى الـ	ـنار لتحمل الحطب
أو لتطوف بالألى	هناك من أهل الطرب
كحافظ أخى النهى	أو كالنواسى ذى الأدب
أو مثل مطران[1] الذى	أقبل يوما وانقلب
أو كأبى اللطف[2] الذى	أمنّه الله العطب
أو كأبى الإرشاد[3] من	لسوء حظ قد خطب

* * *

لكن أرى مستغربا	من أهل مجد وأدب
من عترة الصدّيق من	ساد وفاز وغلب
ومن به عن دينه	قد فرج الله الكرب
إنى لأجل جده	أفطرت من غير سبب
محترما معظّما	مبجلا هذا النسب
وكنت أرجو أننى	أنال كيسا من ذهب

---

(١) إشارة إلى إشاعة جرت أن شوقى حمل صديقه الشاعر خليل مطران على اعتناق الإسلام .

(٢) حسن بك مراد الشماشرجى .

(٣) حافظ عوض صاحب (المنبر) وكان قد ألقى خطبة سياسية فى لندن . روى لى الأستاذ طاهر حقى أن محمد الشربعى وعلى يوسف وحافظ عوض وجماعة من حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية كانوا ذهبوا إلى لندن سنة ١٩٠٧ واجتمعوا بنفر من أعضاء مجلس العموم الإنكليزى أمثال موزلى وروبرتسون وفوكس بورن وغيرهم وعملوا حفلة كبيرة ألقيت فيها الخطب دعاية لمصر . ويقول طاهر أنه حدث قبيل الاحتفال فى أثناء إقامة شوقى فى باريس وبصحبته طاهر حقى أن جاء إلى النزل مصطفى كامل واقترح على شوقى إرسال طاهر حقى إلى لندن ليعمل على إحباط الحفلة بإلقاء بضع كلمات فيها ضد المصريين المحتفلين . قال طاهر : «وقد سافرت فعلا إلى لندن ومعى خطبة أعدت لى مكتوبة من أربعة أسطر تمرنت على إلقائها لأن معرفتى بالإنكليزية كانت قليلة جدا . . وكان مضمون الخطبة أن حزب الإصلاح لا يعبر عن الأمة . . ولكنى حين وصلت وجدت الاجتماع كبيرا يضم ما لا يقل عن ١٥٠ مدعوا ووجدت الخطباء ينافحون عن مصر بحرارة فلم أستطع الكلام » .

عاداتهم فى زمن		يا للرجال قد ذهب
فالهم قد منحو		ك منهمُ شر لقب
إذ جئتهم فى جبة[1]		تزرى بأنفس الجبب
منعّما مهفهفا		تلبس قفطانا عجب

* * *

آل أبى بكر لكم		فى الناس أرفع الرتب
قمتم عن السادات من		حبا وأعطى ووهب
وكان فى ليلته		مقرِّبا من اقترب
يمنح من شاء الكنى		مجاملا لمن طلب
فما لكم من بعده		أتيتم ما لا يجب
لقبتم أبا الضيا		ضيفكم أبا لهب

---

(١) كان مركيس يلبس فى ذلك الوقت جبة وقفطانا .

(مجلة سركيس) عدد ١٥ يونية سنة ١٩١٣

شوقى يهنئ الخليل

بمناسبة الإنعام عليه بالوسام المجيدى الثالث

وقد أقيمت له حفلة تكريم بدار الجامعة المصرية برياسة الأمير محمد على :

لبنان مجدك فى المشارق أول ... والأرض رابية وأنت سنام

وبنوك ألطف من نسيمك ظلهم ... وأشم من هضباتك الأحلام

أخرجتهم للعالمين جحاجحا ... عُربا وأبناء الكريم كرام

بين الرياض وبين أفق زاهر ... طلع المسيح عليه والإسلام

هذا أديبك يحتفى بوسامه ... وبيانه للشرقين وسام

ويجل قدر قلادة فى صدره ... وله القلائد سمطها الإلهام

صدر حواليه الجلال وملؤه ... كرم وخشية مؤمن وذمام

حلاه إحسان الخديو وطالما ... حلاه فضل الله والإنعام

لعلاك يا مطران أم لنهاك أم ... لخلالك التشريف والإكرام

أم للمواقف لم يقفها ضيغم ... لولاك لاضطربت لها (الأهرام)[1]

هذا مقام القول فيك ولم يزل ... لك فى الضمائر محفل ومقام

غالى بقيمتك الأمير محمد ... وسعى إليك يحفه الإعظام

فى مجمع هز البيان لواءه ... بك فيه واعتزت بك الأقلام

ابن الملوك تلا الثناء مخلدا ... هيهات يذهب للملوك كلام

فمن البشير لبعلبك وفتية ... منهم هنالك فرقد وغمام

بين المعرة فى الفخار وبينها ... نسب تضىء بنوره الأيام

يبلى المكين الفخم من آثارها ... يوما وآثار الخليل قيام

---

(١) إشارة إلى مواقف خليل مطران الرائعة ضد الاستبداد وتقييد الحريات فى (الأهرام) والصحف المختلفة خصوصا منذ سياسة الوفاق (١٩٠٨) التى جرى عليها غورست وعباس . ورغما من أن شوقى يطرى عباسا والأمير محمد على فإنه بإشادته فى الوقت نفسه بشجاعة مطران غطى على ذلك الإطراء وقضى حق الشعر وكرامة الإنسان .

رثاء فتحى زغـــلول

قيلت فى حفلة تأبينه فى ٨ مايو سنة ١٩١٤

كتب (الهلال) فى عدد أول مايو سنة ١٩١٤ فصلا عن فتحى زغلول جاء فيه " خدم فتحى زغلول دولته و بلاده خدمة يذكرها له التاريخ . وقد عرفتها له الأمة فى أواسط العام المـاضى فناب عنها نفر من رجال العـلم والفضل وعقدوا فى ٢٧ يونية سـنة ١٩١٣ حفلة تكريمية فى دار الجامعة المصرية على أثر نشر كتاب « شرح القانون المدنى » وتليت فيها الخطب عن أعمال الفقيد ومآثره :

(١) كان « شرح القانون المـدنى » آخر ما ظهر من مؤلفاته، وقد أدهش رجال القضاء . وكان من خطباء حفـلة التكريم الأستاذ عبد العزيز بك فهمى المحـامى بجعل مدار كلامه على وصف هـذا الكتاب فأبان فضل مؤلفه فى وضع المصطلحات القضائية العربية التى لم تكن معروفة من قبـل وأفاض فى ذكر الأمثـلة من الألفـاظ القضائية الفرنساوية وما اختاره لها المؤلف من الأوضاع العربيـة . وذكر الأماكن التى انتقد فيها الشارح مواد القانون وما أتاه من الآراء الجديدة .

(٢) كتاب المحاماة — أفاض فى تاريخ المحاماة فى القطر المصرى من عهد محمد على باشا إلى الآن ، وما تبع ذلك من تأسيس الحكومة المصرية وتشكيل دواوينها ونظامها . وقد ذكر فى مقدمة الكتاب أنه ألفه أثنـاء إجازة صيفية نقب فيها فى محفوظات الدفترخانة المصرية بين مطالعة واستنساخ .

(٣) أكثر آثاره القلمية فى مواضيع اجتماعية تهذيبية أو كلهـا منقولة عن الفرنساوية وكان فقيدنا من أحسن الناس اختيارا للكتب وتعريبا . وأهم الكتب التى نقلها : (سر تقدم الإنكليز السكسونيين) و (سر تطور الأمم) و (روح الاجتماع) الأول لديمولان الفيلسوف الفرنساوى والأخيران لجوستاف لابون الكاتب الاجتماعى الكبير مؤلف (مدنية العـرب) . وقد كان رحمه الله شديد الحرص على دقة الترجمة والمحافظة على أفكار المؤلف بلا تصرف" .

* * *

فى هذه القصيدة يجارى شوقى الشريف الرضى فى قصيدته الشهيرة التى مطلعها :

أعلمت من حملوا على الأعواد   أرأيت كيف خبا ضياء النادى

وهي فى رثاء أبى إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى الكاتب الذى توفى فى شوال سنة ٣٨٤ (٩٩٤م) . وكان بينهما مودّة أكيدة ومكاتبات بالنظم والنثر . وهذه القصيدة من جيد شعر الشريف ولكنها ليست من أجوده . من حسناته فيها قوله :

سَوَّدت ما بين الفضاء وناظرى ... وغسلت من عينىّ كل سواد

وقوله :

لا تطلبى يا نفس خلا بعده ... فلمثله أعيى على المرتاد

فُقدت ملاءمة الشكول[1] بفقده ... و بقيت بين تباين الأضداد

ما مطعم الدنيا بحلو بعده ... أبدا ولا ماء الحيا ببُراد[2]

وقوله :

ليس التنافث[3] بيننا بمعاود ... أبدا وليس زماننا بمعاد

ضاقت علىّ الأرض بعدك كلها ... وتركتَ أضيقها علىَّ بلادى

* * *

ليست قصيدة شوقى أيضا من أجود مراثيه ولكنها من جيدها . ومما لا مراء فيه أنه لم تكن تربطه بفتحى زغلول أواصر صداقة قديمة أو ذكريات صبا . وما كانا نديمين ...

ومن مطلع شوقى :

أكذا تقر البيض فى الأغماد ... أكذا تحين مصارع الآساد

تطل روح القديم .

وفيها بيت غامض هو الثانى من البيتين الآتيين :

فى منزل ضربت عليه يد البلى ... بحوالك الظلمات والأسداد

تلقى الضباع الليل فى عرصاته ... واليوم فى الأطناب والأوتاد

فإن معناه الظاهر أن الضباع تذهب إلى المقابر فى الليل و إلى منازل القوم وخيامهم فى النهار .. لتجد طعامها وفريستها . وقد استعمل الشريف الأطناب والأوتاد فى لغة واضحة متينة عند ذكر الموتى :

ضربوا بمدرجة الفناء قبابهم ... من غير أطناب ولا أوتاد

ركب أناخوا لا يرجّى منهم ... قصد لإتهام ولا إنجاد

---

(١) الشكول جمع الشكل وهو الشبه والمثل والنظير، وما يوافقك و يصلح لك تقول (هذا من هواى ومن شكلى) والملاءمة : يقال لاءمه الشئ : وافقه . يقال : « هذا الطعام لا يلائمنى » أى لا يوافقنى .

(٢) البراد (بضم الباء) كبارد و برود .   (٣) التنافث : المكاتبة .

كرهوا النزول فأنزلتهم وقعة   للدهر باركة بكل مقاد
فتهافتوا عن رحل كل مذلل   وتطارحوا عن سرج كل جواد

فى البيت الأخير تصوير رائع لمعركة (حربية) تزخر بمصارع الأحياء .

ولشوقى حسنات فى قصيدته لا تقل عن حسنات الرضى . كقوله فى حكمة الموت :

والموت فى حق البرية قاهر   عجبى لحق قام باستبداد

وقوله فى الشبيبة :

من ذم من ورد الشبيبة شوكه   حمل المشيبُ إليه شوك قتاد

وقوله فى الريف :

يابن القرى نالت بمولدك القرى   ما لم تنله حواضر وبوادى
غذّتك من حَسَن المغبة سائغ   وسقتك من جارى المياه براد
وتعاهدتك أشعة فى شمسها   ينفذن عافية إلى الأبراد
ونشأت بين الطاهرين سرائرا   والطاهرات الصالحات العاد[1]
رضوان عيش فى صلاح عشيرة   فى طهر سقف فى عفاف وساد

وقوله فى التعريب :

وإذا المعرب نال أسرار اللُّغى   روّى عبادا من إناء عباد

هذه شخصية أحمد تلمع من خلال القديم وتذر منه كما يذر قرن الشمس .

قصيدة شوقى

أكذا تقر البيض فى الأغماد   أكذا تحين مصارع الآساد
خطوا المضاجع فى التراب لفارس   جنباه مضطجع من الأطواد
مالت بقسطاس الحقوق نوازل   ومشت على ركن القضاء عواد
ورمى لحظ البدر عن عليائه   رام يصيب الشمس فى الآراد
قل للمنية نلت ركن حكومة   وهدمت حائط أمة وبلاد
ووقفت بين الحاسدين وبينه   يا راحة المحسود والحساد
كل له يوم وأنت بمرصد   لتصيّد الأحباب والأضداد
ما كل يوم تظفرين بمثله   إن النجوم عزيزة الميلاد

---

(١) العاد جمع عادة كعيد وعادات وعوائد .

يا ساكن الصحراء منفردا بها كالنجم أو كالسيل أو كالصاد(١)
كم عن يمينك أو يسارك لو ترى من فيلق متتابع الأمداد
ألق السلاح ونام عن راياته متبدد الأمراء والأجناد
ومصفد ما داينوه وطالما دان الرجال فبتن فى الأصفاد
ومطيع أحكام المنون وطالما سبقت لطاعته يد الجلاد
ومعانق الأكفان فى جوف الثرى بعد الطراز الفخم فى الأعياد
مرت عليك الأربعون صبيحة من القرون على ثمود وعاد
فى منزل ضربت عليه يد البلى بحوالك الظلمات والأسداد
يا أحمد القانونُ بعدك غامض قلق البنود مجلل بسواد
والأمر أعوج والشئون سقيمة مختلة الإصدار والإيراد
والأمر مختلط الفصيح بضده تبكى جواهره على النقاد
وأتت على الأقلام بعدك فترة قُطمت وكانت مدمنات مداد
عجبى لنفسك لم تدع لك هيكلا إن النفوس لآفة الأجساد
ولرأسك العالى تناثر لبه وتزا وصار نسيجه لفساد
لو كان ماسا ذاب أو ياقوتة لتحرقت بذكائك الوقاد
حمّلته فى ليله ونهاره همّ الفؤاد وهمة الإرشاد
فقتلته ورزحت مقتولا به رب اجتهاد قاتل بجهاد
جد الطبيب فكان غاية جده تقليب كفيه إلى العواد
والموت حق فى البرية قاهر عجبى لحق قام باستبداد
لا جدّ إلا الموت والإنسان فى لعب الحياة ولهوها متماد
وليت فى إثر الشباب ومن يعش بعد الشباب يعش بغير عماد
من ذم من ورد الشبيبة شوكه حمل المشيب إليه شوك قتاد
حرص الرجال على حياة بعدها حرص الشحيح على فضول الزاد
يابن القرى نالت بمولدك القرى ما لم تنله حواضر وبواد
غذتك من حَسَن المغبة سائغ وسقتك من جارى المياه بُراد

(١) الصادى الظمآن ولا معنى لها هنا . ولعلها كالبادى وهو من نزل البادية وفى الحديث "من بدا جفا" أى من نزل البادية صار فيه جفاء الأعراب .

وتعاهدتك أشعة فى شمسها ... ينفذن عافيةً إلى الأبراد

ونشأت بين الطاهرين سرائرا ... والطاهرات الصالحات العاد

رضوان عيش فى صلاح عشيرة ... فى طهر سقف فى عفاف وساد

فُجعت بخير بُناتها ومضت به ... ريح المنية قبل حين حصاد

أمسى ذووك طويلة حسراتهم ... وأخوك ينشد أوثق الأعضاد

فى ذمة الشبان ما استودعتهم ... من خاطر وقريحة وفؤاد

ووسائل لك لا تُمل كأنها ... كتب الصبابة أو حديث وداد

وخطابة فى كل ناد حافل ... ينصبّ آذانا إليها النادى

ومعربات كالمنار وإنها ... لزيادة فى رأس مال الضاد

وإذا المعرب نال أسرار اللُّغى ... روّى عبادا من إناء عباد

العلم عندك والبيان مواهب ... حليتها بشمائل الأمجاد

ومن المهانة للنبوغ وأهله ... شبه النبوغ تراه فى الأوغاد

فتحى رثيتك للبلاد وأهلها ... ولرائح فوق التراب وغاد

وسبقت فيك القائلين لمنبر ... عال عليهم خالد الأعواد

ما زلت تسمع منه كل بديهة ... حتى سمعت يتيمة الإنشاد

وحياة مثلك للرجال نموذج ... ومماتك المثل القويم الهادى

ورثاؤك الإرشاد والعظة التى ... تُلقى على العظماء والأفراد

مكسوب جاهك فوق كل مقلَّد ... وطريف مجدك فوق كل تلاد

فخر الولاية والمناصب عادة ... كالفخر بالآباء والأجداد

ولربما عقدا نجادا للعصا ... والصارم الماضى بغير نجاد

فالفخر بفضلك فهو لا أنسابه ... تبلى ولا سلطانه لنفاد

تحية البحيرة للأمير

فى عدد ٢ مايو سنة ١٩١٤ نشرت (الأهرام) قصيدة عنوانها (تحية أحمد شوقى بك للركاب العالى حال تشريفه طنطا) :

ما للقرى بين تكبير وإهلال ... وللمدائن هزت عطف مختال

والقصيدة منشورة فى الجزء الأول من (الشوقيات) طبعة سنة ٢٦ (مطبعة مصر) صفحة ٢٣٧ . وكان عدد الأبيات ٣٢ فصار فى الديوان ٢٨ . والقصيدة محكمة النسج ولكن ليس فيها بيت واحد لحل .

وفى عدد ٥ مايو سنة ١٩١٤ نشرت (الأهرام) رسالة لوكيلها فى دمنهور عن رحلة الخديوى حول مديرية البحيرة بتاريخ ٤ مايو جاء فيها : « وقد رفع الى مقامه السامى أعضاء مجلس المديرية فى التشريفات التحية التالية منظومة بلسان مديريتهم وهى بلفظها الشائق ومعناها الرائق » :

أشرق عباس على شعبه ... كأنه المأمون فى ركبه

زار رعاياه فأغناهم ... عن زورة الغيث وعن خصبه

واستبشر القطر فأهلوه فى ... أمن من العام ومن جدبه

مربهم والأرض فى جنة ... ربيعها يختال من عجبه

فزادها طيبا على طيبها ... وزادهم يسرا فأهلا به

ماجت دمنهور بسكانها ... وهزها الشوق إلى قربه

فأقبلت تسعى إلى حضرة ... ما إن لها فى البر من مشبه

ترجو قبولا علها ترتوى ... من مورد تهفو إلى عذبه

يا لابس التاجين عش سالما ... ترعاك عين الله من حجبه

ولا شك أن هذه الأبيات لشوقى . وهى مع رقتها لا تدانى قصيدة المتنبى التى يعزى بها أبا شجاع والتى يقول فيها :

لابد للإنسان من ضجعة ... لا تقلب المضجع عن جنبه

نحن بنو الموتى فما بالنا ... نعاف مالا بد من شربه

ومن محاسن المديح فيها قوله :

يا عضد الدولة من ركنها   أبوه والقلب أبو لبّه
ومن بنوه زين آبائه   كأنها النَّوْر على قضبه

* * *

وفى نفس عدد ٥ مايو كتبت (الأهرام) : « وجاءنا من مكاتبنا أول أمس » — قال المكاتب بعد وصفه زيارة التوفيقية وزيارة عبد اللطيف الصوفانى بك : "وبعد ذلك خرج سموه الى الصالة الكبرى فألقى حضرة المطرب الشهير زكى افندى عكاشة قصيدة نظمها شاعر الأمير وأمير الشعراء سعادة أحمد شوقى بك " :

تحية عمرو لكم بل عمر   وأهلا بكم أيهذا القمر

وقد نشرت (الأهرام) القصيدة كاملة وعدد أبياتها خمسة عشر وأهمها :

تجر البحيرة أذيالها   وتسبق بين يديك الزمر
وتمشى مجمَّلة بالحلى   وقد تجلى ذوات الخفر
وتزهو بزينتها كالعروس   وأنت الخطيب الحبيب الأغر
وما زينت لك بين القلوب   أجل وأجمل مما ظهر
وتبعث من ملحها حفنة   لعين الحسود إذا ما نظر
تجلّى الصباح على أفقها   فألق بغرته وانتظر
وبشرها بك خفق الريا   ح و بعد الرياح يكون المطر
تهب على الريح من «شوقها»   كأن سليمان بالريف مر.

وفى اعتقادنا أن هذه الأبيات خير ما قاله شوقى فى رحلة البحيرة إذ تهب فيها ريح (النواسى) و يأرج طيبه .

يونية ١٩١٤

يا شباب الديار

تحت هذا العنوان وردت فى الجزء الأول من الشوقيات طبعة سنة ١٩٢٦ قصيدة مهد لها شارح الديوان بقوله : "قيلت هذه القصيدة فى تكريم واصف غالى باشا سنة ١٩٠٦، ولعلها كانت أول دعوة إلى اتحاد عنصرى هذه الأمة الكريمين ولعل صاحب الديوان كان يتكشف له الغيب فيرى خيال هذا الاتحاد ويدعو إليه والناس عنه عمون . وحديث المؤتمرين مازال يومئذ ملء الأفواه والأسماع . ولقد شاء الله أن يستجيب دعاءه ، وأن يربط بين الأخوين برباط مقدس كان لصاحب الديوان فضل الخيط الأول فى نسيجه " .

تلك إحدى القصائد القليلة المؤرخة فى الديوان الذى أشرف شاعرنا على طبعه . ومع ذلك فبين التاريخ المذكور (١٩٠٦) والتاريخ الصحيح (١٩١٤) ثمان سنوات . إذ نشرت (الأهرام) القصيدة فى ٥ يونية سنة ١٩١٤ . وأقيمت حفلة تكريم واصف غالى التى ألقيت فيها القصيدة "تحت رعاية سمو الجناب العالى الخديوى" وكان لهذه الرعاية فى ذلك الظرف معناها ، كان إسماعيل صبرى باشا رئيس لجنة الإحتفال . ولما كان فى القصيدة إشارات مختلفة إلى أهم حوادث العصر وهى مقتل بطرس باشا غالى رئيس وزراء مصر فى ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠ وانعقاد (المؤتمر القبطى) فى أسيوط حيث اجتمع نوابهم من سائر أنحاء القطر من ٦ مارس إلى ٨ منه سنة ١٩١١ وانعقاد (المؤتمر المصرى) برياسة رياض باشا دفاعا عن المسلمين من ٢٩ أبريل إلى ٣ مايو سنة ١٩١١ رأينا أن نعيد نشر القصيدة هنا ، كما فعلنا فى غيرها ، حتى تبدو قوتها فى ضوء الحوادث والملابسات التى تكتنفها من قرب ومن بعد .

غال فى قيمة ابن بطرس غالى	علم الله ليس فى الحق غال
نحتفى بالأديب والحق يقضى	وبجلال الأخلاق والأعمال
أدب الأكثرين قول ، وهذا	أدب فى النفوس والأفعال
يُظهر المدح رونق الرجل الما	جد ، كالسيف يزدهى بالصقال
رب مدح أذاع فى الناس فضلا	وأتاهم بقدوة ومثال
وثناء على فتى عم قوما	قيمةُ العقد حسن بعض اللآلى
إنما يقدر الكرام كريم	ويقيم الرجال وزن الرجال

وإذا عظّم البلادَ بنوها … أنزلتهم منازل الإجلال

توجت هامهم كما توجوها … بكريم من الثناء وغال

إنما (واصف) بناء من الأخـ … ـلاق فى دولة المشارق عال

ونجيب مهذب من نجيب … هذّبته تجارب الأحوال

واهب المال والشباب لما ينـ … ـفع، لا للهوىٰ ولا للضلال

ومذيق العقول فى الغرب مما … عصر العُرب فى السنين الخوالى

فى كتاب حوى المحاسن فى الشعـ … ـر وأرعى جوائز الأمثال[2]

من صفات كأنها العين صدقا … فى أداء الوجوه والأشكال

ونسيب تحاذر الغيد منه … شرك الحسن أو شباك الدلال

ونظام كأنه فلك الليـ … ـل إذا لاح وهو بالزهر حال

وبيان كما تجلى على الرسـ … ـل تجلّى على رعاة الضال[3]

ما علمنا لغيرهم من لسان … زال أهلوه وهو فى إقبال

بليت هاشم، وبادت نزار … واللسان المبين ليس ببال

كلما همّ مجده بزوال … قام فحال دون الزوال

* * *

يا بنى مصر، لم أقل أمة الـ … ـقبط، فهذا تشبث بمحال

واحتيال على خيال من المجـ … ـد، ودعوى من العراض الطوال

إنما نحن مسلمين وقبطا … أمة وحّدت على الأجيال

سبق النيل بالأبوّة فينا … فهو أصل وآدم الجد تال

نحن من طينة الكريم على الله … ومن مائة القراح الزُّلال

مرّ ما مرّ من قرون علينا … رُسّفا فى القيود والأغلال

وانقضى الدهر بين زغردة العُر … س وحثو التراب والإعوال

ما تحلّى بكم يسوع ولا كُنْـ … ـتا لطه ودينه بجمال

وتُضاع البلاد بالنوم عنها … وتضاع الأمور بالإهمال

يا شباب الديار: مصر إليكم … ولواء العرين للأشبال

كلما روّعت بشبهة يأس … جعلتكم معاقل الآمال

هيئوها لما يليق بمنفـ … وكريم الآثار والأطلال

هيئـوها لما أراد (عـلى) وتمـنى عـلى الظُّبي والعـوالى
وانهضوا نهضـة الشعوب لدنيـا وحيـاة كـبيرة الأشغـال
وإلى الله من مشى بصليب فى يديه ، ومن مشى بهـلال

* * *

الشـرح

(١) قال شارح الديوان عن البيت الأول : " غالى فى المديح بالغ فيـه . وغالى الثانيـة إما أن يراد بهـا الامر . أو يراد بها اسم والد المكرم المرحوم بطرس باشا غالى " .
ونضيف إلى ما تقدم (غال) فى آخر البيت قد تكون صفة بمعنى رفيع أو عظيم القيمة . وقد يراد بها أيضاً اسم والد المكرم المرحوم بطرس باشا غالى . وفى كل هـذا تورية دقيقة وإشارة إلى أن مقتل بطرس باشا كان حقا سياسيا لا يعلو عليه كبير قبطيا كان أو مسلما . وإذا عرفنا أن المغالاة قد تكون المبالغة مع مجاوزة الحد ظهرت لنا براعة شوقى ولباقته ذات الحذين فى المطلع :

غال فى قيمة ابن بطرس غالى علم الله ليس فى الحـق غال

(٢) قال الشارح : " يشير الى كتاب فرنسى ألفه واصف غالى باشا وكان موضع تكريمه " وهذا كلام لاطائل تحته فالكتاب اسمه " روض الأزهار " وهو مختارات من الأدب العربى ترجمها الى الفرنسية واصف غالى . وفى الأبيات التالية إشارة إلى ما تضمنه الكتاب .

(٣) قال الشارح : " الضـال نوع من الشجر والمراد رعاة ما يأكل الضال من الحيوان أى رعاة الإبل " . لو أن الشارح عرف ما تضمنه الكتاب لفهم هذا البيت وما سبقه وما تلاه . ليس المراد " رعاة الإبل " وإنما المراد " العرب " الذين ترجم لهم المؤلف :

وبيـان كما تجلى على الرسـ ـل تجـلى على رعاة الضـال
ما علمنا لغيرهم من لسان زال أهـلوه وهو فى إقبال
بليت هاشم وبـادت نـزار واللسـان المبين ليس ببـال

* * *

التعـليق :

إن قول شوقى فى المطلع (ليس فى الحق غال) يؤكد رأيه الصريح القديم — وهو رأى العقلاء من مسلمين وأقباط — أن مقتـل بطرس باشا لم يكن له أى باعث دينى وأنه حق حتمى من حقوق السياسة وجبروتها . ولاشك أن انعقاد مؤتمر خاص للأقباط فى سنة ١٩١١

بعد مقتل بطرس باشا فى سنة ١٩١٠ — كان يوحى بأن هناك تعصبا إسلاميا يجب مواجهته . هذه الحقيقة لا تحجب مطالب المؤتمر الإصلاحية ، تلك المطالب التى كانت معقولة فى مجموعها وكان أهمها مساواة الأقباط بالمسلمين ورفع الغبن عنهم . ولكن المؤتمر انعقد فى جو مسمم لا بسبب قتل زعيم الطائفة القبطية بحسب بل بسبب ما تقدمه فى العشر سنوات الأولى من القرن الحالى من قيام قلة من الأقباط ، تساندها صحيفتا مصر والوطن ، بالتهجم على كل ما هو عربى وتجاهل الحضارة العربيـة وإنكار وجودها واعتبار المسلمين المصريين دخلاء والأقباط الأمة المصرية ذات النسب العريق . وكان الاستعمار الانجليزى يشجع هذه الحركة ويباركها لأن وجود أقلية أو أقليات من شأنه إضعاف الكتلة الوطنية وتشتيتها . وقد رأينا كيف نجحت ثورة ١٩ فى لم الشمل و إفساد خطة المحتل .

ولعل الفرنسيين ، قبل الانكليز والأمريكيين ، هم أول من شجع على تكوين أمة قبطية ودولة قبطية فقد كتبت مجلة (الجامعة) فى الجزء السادس من السنة الثالثة يناير سنة ١٩٠٢ فصلا عن الأحباش والأقباط أشارت فى بدايتـه إلى (يد الحبشة عنـد المسلمين الأولين) ولكنها لم تشر إطلاقا إلى ما فعله الأحباش فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لتقويض الحضارة الإسلامية فى جنوب الحبشة وتمزيق العناصر الإسلامية بلا رحمة . وقد ختمت المجلة مقالها قائلة : "وإذا تم خروج الحبشة من حالة البداوة إلى الحضارة التـامة وصارت دولة عظيمة فى أفريقيا فإن مقام البطريركية يصير مزدحما للدول ذات المصالح فيها . ولا غرو أن تم هذا الأمر فإن الأمة القبطية القديمة انتبهت من سباتها منذ زمن ونهضت نهضة يحق لها أن تفتخر بها . و إذا استمرت فى سبيل التقدم فإنها ستعيد قديم مجدها . هذا و بعد كتابة ما تقدم عثرنا على رسم صغير فوجدنا من الفائدة والفكاهة أن نجعله تتمة لهذا الفصـل . وذلك أن نابليون الأول لمـا قدم بجيشه إلى مصر احتاج إلى جند وطنى ! فأنشأ القائد كليبر أحد قواده أورطة من الأقباط . وكان عدد هذه الأورطة ٦٠٠ رجل من خيار الرجال الأشداء . وقد جمل كليبر لباسهم كلباس الجنود الفرنسوية وذكرهم بالثناء غير مرة . وربمـا أتينا فى فصل آخر على ما يهم الاطلاع عليه من تاريخ الأمة القبطية " .

والذى يعجبنى فى شـوقى أنه واجه المشكلة بصراحة ، دون مواربة أو لف ودوران ، وقد وضع أصبعه على الجرح كما يقول الفرنسيون حين قال :

يا بني مصر لم أقــل أمة الـ [illegible] ـقبط ، فهــذا تشبث بمحال

واسألوا عن [illegible] [illegible] من النواض الطوال

إنما نحن مسلمين وقبطاً أمة وحِّـدت على الأجيال

على هذا [illegible] [illegible] ولنؤمن معاً كلة مصرية

[illegible] من [illegible] الأصل [illegible] وإن كانت عربية اللسان والعقيدة . وما صنعه

التاريخ والأجيال لا [illegible] له .

(الأهرام) فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٤

احفظ على مصر السكينة

دع ما يضرك والتمس ما ينفع ... واختر لنفسك ما يزين ويرفع

واسمع لقول العقل لا قول الهوى ... إن الهوى لضلالة لا تتبع

واجعل شبابك من هواك بمأمن ... إن الشباب هو العنان الأطوع

واعلم فقدما للممالك فتحت ... بالعلم أبواب السعادة أجمع

إن الشعوب إذا أرادوا نهضة ... بذرائع العلم الصحيح تذرعوا

وانظر بعين فى الأمور جلية ... لا تثبت الأشياء عين تدمع

مما أحب به الرجال بلادهم ... أن يحسن الإنسان فيما يصنع

واحفظ على مصر السكينة إنها ... روض بأفياء السكينة ممرع

وصن اليدين عن الدماء فإنها ... فى البغى أوخم ما يكون المرتع

المتبسل من خلق الذئاب وشهوة ... فى الرأس يركبها الجبان فيشجع

برئ العباد من الشرائع كلها ... إن كان قتل النفس مما يرفع

لا تذكرن الحرب أو أهوالها ... إلا بقلب خاشع يتوجع

واذرف على القلب الدموع فكلكم ... فى آدم أهل وآدم يجمع

الخلق صبيان كما لك صبية ... ولهم لباس فارقوه ومضجع

واخرج من الحرب العوان بعبرة ... إن العظات من الحوادث أوقع

اسمع حديث جُناتها وصلاتها ... هل كان فيها للديانة موضع (١)

المال باعثها الأثيم ولم تزل ... تُردى المطامع ناسهن وتصرع

لما رمت دول المسيح بهولها ... مشت اثنتان لها وهبت أربع

يتقاتلون وللكنائس هزة ... و(يسوع) ينظر و(الزكية) تسمع

والله يغضب والعناصر تبتلي (٢) ... والسيف يضحك فى الدماء ويلمع

---

(١) جناة جمع جانٍ وهو المذنب، وصال وهو الذى يصلى النار ويحترق بها يجمع على صُلِىّ (بضم الصاد وكسر اللام وياء مشددة) لا على صلاة. ولعل صحة البيت:

اسمع حديث جناتها وصلاتهم ... هل كان فيها للديانة موضع

الصلاة هى الدعاء والركوع والسجود فى الصوامع والكنائس. وصلاة الجناة أو (مجرى الحرب) إنك ترى ولا موضع للديانة فيها.

(٢) تبتلى: تختبر.

نزل البلاء وحل طوفان دم — بالمسلمين سماؤه لا تقلع

كانوا بظل السلم ، لا بهلالهم — شر يراد ، ولا حماه مروع

لولا قضاء الله ما خاضوا الوغى — إن القضاء إذا أتى لا يُدفع

تلك الهوان على الشديد ضعيفة — أين السيوف لمثلها والأدرع

ماذا انتفاع المسلمين بسيوفهم — والقلب للصور فيه مضعضع

حرب على حرب حنانك ربنا — لم يبق منا ما ينال المدفع

لا تأخذن بريئنا بمسيئنا — فالعدل كلٌّ حاصد ما يزرع

يا رب بالرسل الكرام جميعهم — بالعرش والكرسي وهو المفزع

أدرك دماء الخلق إن دماءهم — سالت فوجه الأرض منها مترع

سبحت بحور دمائهم أشلاؤهم — والأرض لا تَرْوَى ولا هي تشبع (١)

زاد الأرامل واليتامى ضعفنا — ولقد صعدت إليك الأدمع

يا رب هل تلك القيامة كلها — أم للقيامة بعد ذلك موقع

شوقي

---

(١) تروى : تشرب وتشبع .

القسم الخامس

(١٩١٧ - ١٩٣٢)

سنة ١٩١٧

(١)

بين شوقي وحافظ

عرض رئيس تحرير الأهرام المرحوم داود بركات على حافظ إبراهيم ثلاثة أبيات وردت باسمه في كتاب من أمير الشعراء أحمد شوقي وهو في منفاه بالأندلس .

أبيات شوقي

من الغائب إلى المقيم

يا ساكني مصر إنا لا نزال على ... عهد الوفاء وإن غبنا مقيمينا

هلا بعثتم لنا من ماء نهركم ... شيئا نبل به أحشاء صادينا

كل المناهل بعد النيل آسنة ... ما أبعد النيل إلا عن أمانينا

أبيات حافظ

من المقيم إلى الغائب

عجبت للنيل يدرى أن بلبله ... صاد ويسقى ربي مصر ويسقينا

والله ما طاب للأصحاب مورده ... ولا ارتضوا بعده من عيشكم لينا

لم تنأ عنه وإن فارقت شاطئه ... وقد نأينا وإن كنا مقيمينا

(٢)

بين شوقي وصبري

(الأهرام) في ١٩ أبريل سنة ١٩١٧

إن من البيان لسحرا

« من شوقي بك إلى صبري باشا . ومن صبري باشا إلى شوقي بك »

« أرسل أمير شعراء [illegible] شوقي بك من الأندلس إلى رئيس تحرير الأهرام في كتاب بيتين من أندلسية جديدة وطلب منه عرضهما على أستاذ الشعراء إسمعيل صبري باشا ليبدي رأيه في معناها [illegible] الأستاذ بأبيات في المعنى ذاته وتحية إلى أمير الشعر » .

[illegible] شوقي بك

يا ساري البرق يرمي عن جوانحنا ... بعد الهدوء ويهمي عن مآقينا

ترقرق الماء في [illegible] ... غاض الأسى فخضبنا الأرض باكينا

جواب صبري باشا

يا لامع البرق كم نبهت من شجن ... في أضلع ذهلت عن دائها حينا

فالماء في مقل والنار في مهج ... قد بات بينهما أمر المحبينا

لولا تذكر أيام لنا سلفت ... ما بات يبكي دما في الحي باكينا

يا آل ودي عودوا لا عدمتكم ... وشاهدوا ويحكم فعل النوى فينا

يا نسمة ضمخت أذيالها سحرا ... أزهار أندلس هبي بوادينا

وقد نشر بينا شوقي فيما بعد ضمن قصيدة أندلسية طويلة مطلعها :

يا نائح الطلح[1] أشباه عوادينا ... نشجى لواديك أم نأسى لوادينا

والقصيدة في الجزء الثاني من الشوقيات ص ١٢٧ — ١٣٢ (طبعة مطبعة مصر) .

وقد أحدث شوقي تعديلا في البيت الثاني من البيتين :

يا ساري البرق يرمي عن جوانحنا ... بعد الهدوء ويهمي عن مآقينا

لما ترقرق في دمع السماء دما ... هاج البكا فخضبنا الأرض باكينا

ولكن هذا التعديل ذهب برونق البيت ولألائه الموسيقى . فشتان بين (لما ترقرق) و (ترقرق الماء) في الشطر الأول . كما أن التكرار اللفظي في (البكا) و (باكينا) هبط بالشطر الثاني . وربما كان الأفضل (هاج الشجا) . ولاشك أن الرواية الأولى (غاض الأسى)

---

(١) الطلح : واد بظاهر إشبيلية كان ابن عباد [illegible] فيه [illegible] .

كانت أجمل لفظاً من الناحية الموسيقية ولكن المعنى لا يستقيم بها لأن المراد فاض أو هاج لا فاض بمعنى نقص أو قل فنضب . وقد قالت (الأهرام) أن بيتى شوقى ، اللذين طلب عرضهما على أستاذ الشعراء « من أندلسية جديدة » . ولا شك أن شوقى أضاف أبياتاً جديدة إلى أندلسيته بعد وصول جواب صبرى باشا وأنه تأثر بقول صبرى :

يا نسمة ضمخت أذيالها سحراً ... أزهار أندلس هبى بوادينا[1]

فنظم فى هذا المعنى ستة أبيات جديدة أضافها إلى قصيدته :

ويا معطرة الوادى سرت سحراً ... فطاب كل طروح من مرامينا[2]
ذكية الذيل لو خلنا غلالتها ... قميص يوسف لم نُحسب مغالينا
جشمت شوك السرى حتى أتيت لنا ... بالورد كتبا وبالريا عناوينا
فلو جزيناك بالأرواح غالية ... عن طيب مسراك لم تنهض جوازينا
هل من ذيولك مسكىٌّ نحمّله ... غرائب الشوق وشيا من أمانينا
إلى الذين وجدنا ود غيرهم ... دنيا وودهم الصافى هو الدينا

ولكن بيت صبرى لا يزال بالأبهة والجمال منفرداً كالروضة المعطار فى قمة الشعر الصافى . على أن قصيدة شوقى لا تخلو من روائع كثيرة قال يخاطب البرق :

لفتف إلى النيل واهتف فى خمائله ... وانزل كما نزل الطل الرياحينا
وآس ما بات يذوى من منازلنا ... بالحادثات ويضوى من مغانينا[3]

وقال فى ختامها يذكر أنه بحلوان :

كنز بحلوان عند الله نطلبه ... خير الودائع من خير المؤدينا
لو غاب كل عزيز عنه غيبتنا ... لم يأته الشوق إلا من نواحينا
إذا حملنا لمصر أو له شجناً ... لم ندر أى هوى الأمين شاجينا

* * *

وفى الجزأين الأول والثانى من المجلد الرابع من مجلة (الزهراء) — الربيعان ١٣٤٦ — أغسطس وسبتمبر ١٩٢٧ — نشر الأديب الجليل محب الدين الخطيب فى صفحة ٤١ تحت عنوان (نسمة أزهار الأندلس) بيتى شوقى كما نشر جواب صبرى باشا بعد إضافة ثلاثة أبيات أخرى لم يسبق نشرها وهى غير موجودة فى ديوان صبرى :

---

(١) ضمخت أذيالها أى طيبتها وعطرتها . قال شارح ديوان صبرى : يقول أيتها النسمة المتارجة بأريج زهر الأندلس هبى علينا بعصر لنذكر بك أحبابنا النائين .   (٢) طروح . يقال طرحت النوى بفلان كل مطرح : نأت به .   (٣) ذوى العود والبقل ذبل . وضوى كعلم يضوى : دق عظمه وقل جسمه خلقة وقيل هزالا .

[illegible] ... [illegible] يضحك منا وهو يبكينا

يا [illegible] ... [illegible] من دائها حينا

فالمعرف في [illegible] والبال في [illegible] ... [illegible] حار بينهما أمر المحبينا

لولا [illegible] ... [illegible] في الحي باكينا

[illegible] في [illegible] ... [illegible] دمع ابن زيدونا

[illegible] ... [illegible] ثم عادوا غير خاطينا

[illegible] ... [illegible] فعل النوى فينا

[illegible] ... [illegible] حي بواديـنا

الأبيات [illegible] صبرى وحنينه ولاعجه .

* * *

[illegible]

صدر الجزء الأول من ديوان [illegible] خليل مطران ثم صدر الجزء الثاني سنة ([illegible]) [illegible] شوقي :

[illegible] ... [illegible] من الرواة زحام

بالأمس [illegible] النهى [illegible] ... واليوم للتالى الولىّ سجام

شعر جرى فيه الشباب كأنه ... [illegible] روض طلّهن[3] غمام

في كل بيت [illegible] ... وبكل باب وقفة وغرام

يا راميا غرض الكلام يصيبه ... [illegible] منزع[4] في السهل ليس يرام

[illegible] ... [illegible] الشباب وراءه الأيام

أما (زهير) [illegible] ... [illegible] بشعرك الأهرام

[illegible] النبوغ عليه وارق رقيه ... ولكل بدر مرتقى وتمام

---

(١) [illegible] (٢) [illegible] الربيع الأول سمى به لأنه يسم الأرض بالنبات [illegible] (٣) [illegible] الطل . والطل المطر الضعيف وقيل الندى .

(٤) [illegible] ونزع من القوس رمى عنها ونزع بالسهم رمى به والمنزع بكسر الميم السهم الذي ينزع به . (٥) جاء في ترجمة [illegible] البستاني لزهير بن أبي سلمى (الروائع) ما يأتي : «وقد خص [illegible] [illegible] وكان هرم يغدق على زهير ومواهبه [illegible] على آثر سعيهما بالصلح بين عبس وذبيان [illegible] .

(عكاظ) فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٠

فى الجامعة المصرية

تكريم المحسنين من سراة المنوفية

" أقامت نقابة المعلمين حفلة فى دار الجامعة المصرية بعد ظهر يوم الجمعة الماضى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٠ لتكريم حضرات الوجهاء حسنين عبد الغفار وعبد العزيز بك حبيب ومحمود بك السيد أبو حسين لما تبرعوا بوقفه من أطيانهم بمديرية المنوفية على التعليم فى جمعية المساعى المشكورة التى أنشأها أمين باشا فكرى . قال شوقى فى تكريم المحسنين إلى العلم " :

العلم والبر هذا مهرجانهما ... فى ظل دار تناغى النجم أركانا

فقم إلى منبر التاريخ محتفلا ... فقد تضوع كالعودين[1] ريحانا

واجز الجزيل من المجهود تكرمة ... واجز الجزيل من الموهوب شكرانا

فى محفل نظمت دار الجلال به ... نظم الفرائد أفرادا وأعيانا

لما تألف عقدا قال قائله ... يصوغ للمحسنين الحمد تيجانا

أثاره الحق حتى قام ممتدحا ... كما أثار رسول الله حسانا

عز الشعوب بعلم تستقل به ... يا ذل شعب عليه العلم قد هانا

فعلموا الناس إن رمتم فلاحهم ... إن الفلاح قرين العلم مذ كانا

لا تُطر حيا ولا ميتا وإن كرما ... حتى ترى لهما بالخلق إحسانا

ليس الغنى لفتى الأقوام منبهة ... إذا المكارم لم ترفع له شانا

وإن أبرك مال أنت تاركه ... مال تُورِّثه قوما وأوطانا

سل الألى ضيع الضيعات وارثهم ... هل يملكون ببطن الأرض فدانا

قل السراة المنوفيين لا برحوا ... للفضل أهلا وللخيرات عنوانا

يا أفضل الناس فى الإيثار سابقة ... وأحسن الناس فى الإحسان بنيانا

وعبتمو هبة للعلم ما تركت ... بالبائسين ولا الأيتام حرمانا

قلدتمو (المعهد المشكور) عارفة ... لم يأتها لكم التعليم عرفانا

يد على العلم يمضى فى إذاعتها ... حتى تسير بها الأجيال ركبانا

بيضاء فى يومه خضراء فى غده ... إذا هى انبسطت فى الأرض أفنانا

(١) العودان منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وعصاه .

(الأهرام) في [illegible] يوليه سنة ١٩٢٠

تأبين إسماعيل عاصم

يا أبا عاصم وداع أخ كا ... ن وراء البحار يوم احتجابك

[illegible] يوم سرت [illegible] ... [illegible] أن الفؤاد خلف ركابك

عبرات على التنائي [illegible] ... أدمع الحاضرين من أحبابك

كانت الخمس(١) لاغترابي حدا ... أي حد ترى لطول اغترابك

[illegible] ... [illegible] آذنت بطيء كتابك

[illegible] ... [illegible] وزهر الرياض من آدابك

ووداداً على الزمان كريما ... سبكت تبره الليالي السوابك

أي أعواد [illegible] ... [illegible] عنان خطابك

لك يوم من البلاغة وشي ... فارسي وأنت للوشي حائك

[illegible] من الفصاحة تجري ... بين واديك جريها وشعابك

كنت [illegible] ... [illegible] أنت في زمان شبابك

وإذا [illegible] ... [illegible] كان فضل ثيابك

كنت في صرحك المشيد أساسا ... أنت والمحسنون من أترابك

وإذا لم يكن ثوابك للغر ... س فلا خير للجنى في ثوابك

فاجمل السابقين في كل فضل ... أول الآخذين من إعجابك

يا قريب الجواب في الفصل والهز ... ل عزيز علي بطء جوابك

لست أنساك والضيوف على الرحـ ... ـب بناديك والعفاة ببابك

[illegible] ... [illegible] وخير أقام في أعقابك

اطرح واسترح فكل خليل(٢) ... سوف يدنو ترابه من ترابك

كلما مر من مصابك عام ... وجدت مصر جدة لمصابك

شوقي

---

(١) إشارة إلى الخمس سنوات التي قضاها الشاعر في المنفى بالأندلس.

(٢) في هذا البيت لمحة من [illegible] شوقي [illegible] المؤثر.

حوالى سنة ١٩٢٦

تحية الشعر للفن

إلى الخطاط محمد مرتضى

قيل ما الفن قلت كل جميل ... ملأ النفس حسنه كان فنا

وإذا الفن لم يكن لك طبعا ... كنت فى تركه إلى الرشد أدنى

وإذا كان فى الطباع ولم تحسـ ... ـن فما أنت بالغ فيه حسنا

وإذا لم تزد على ما بنى الأو ... ل شيئا فلست للفن ركنا

لك يا (مرتضى) خلال كزهر الـ ... ـروض لاقى فى ظل آذار مزنا (١)

خلف الخط بعد مؤنس أو جعـ ... ـفر لا يصطفى لغيرك يمنى (٢)

لك خط لو كان يغنى عن الحظ ... جميل من الأمور لأغنى

هو أوفى من الزمان صوانا ... لبنات النهى وأصدق خدنا (٣)

تتمناه كل ناعمة الخد ... ين خالا وكل دعجاء جفنا (٤)

مرقصات الوليد أعجب لفظا ... بين أجزائه وأطرب معنى (٥)

حلل منذ ألبستها المعانى ... لا تراها بجودة اللفظ تعنى (٦)

شوقى

---

(١) آذار: الربيع. (٢) مؤنس شيخ الخطاطين وخطه تحفة خالدة. وقد رأيت عند الخطاط حسنى بعض أجزاء من القرآن طبعة قديمة يحتفظ بها، وهى بخط مؤنس. أما جعفر فإننا نرى عبقريته فى كل حرف وفى كل سطر من كتب ومطبوعات دار الكتب والمطبعة الأميرية. (٣) الصوان الوعاء الذى يصان فيه. النهى العقل سمى به لأنه ينهى عن القبيح وعن كل ما ينافيه. (٤) دعجت (بكسر العين) العين دعجا: صارت شديدة السواد مع سعتها فصاحبها (أدعج) وهى دعجاء. فى الشطر الأول نظر الشاعر إلى جمال اللون أولا والشكل ضمنا فقال "تمناه كل ناعمة الخدين خالا" وفى الشطر الثانى نظر إلى جمال الشكل أولا واللون ضمنا فقال "تمناه كل دعجاء جفنا" والجفن الحلو يصون الدعج (بفتح العين) ويصون سواد العين ويزينه. (٥) الوليد: أبو عبادة البحترى وكان من أفصح شعراء العربية لفظا وأسلوبا. يريد أن جمال الخط يزيد ألفاظ الوليد ومعانيه حسنا.

(٦) يقول إن جمال اللفظ والتركيب تضاءل أمام جمال الخط وإن المعانى منذ لبست هذا الخط الجميل وصيغت فيه أصبحت فى غنى عن بهاء اللفظ وروعته.

الفجر الأول

نظم خليل شيبوب

مقدمة نثرية بقلم خليل مطران ومقدمة شعرية من نظم أحمد شوقي بك سنة ١٩٢١ .

ما وصلُ من تهوى على أُنسةٍ … بالبدر في ظل الربيع الظليل [1]

على بساطٍ نسجته الربى … شتى الحُلَى والوشي غض طليل [2]

أبدى الرياحين وأحيى الصبا … وجر أذيال النسيم العليل

واستضحك الماءُ فهاج البكى … في كل خدر لبنات الهديل [3]

بالمجلس الممتع ما لم تزد … فيه ابنةَ الكرم وشعرَ (الخليل)

شعر جرى من جنبات الصبا … بطيب واديه وطيب المسيل

فيه روايات الصِّبا والهوى … تسلسلت أشهى من السلسبيل

قد صانها الشاعر من سلوة … في مفضلٍ أو مرة في بخيل [4]

* * *

شيبوب ديوانك باكورة … وفجرك الأول نور السبيل

الشعر صنفان فباق على … قائله أو ذاهب يوم قيل

ما فيه عصري ولا دارس … الدهر عمر للقريض الأصيل

لفظ ومعنى هو فاعمد إلى … لفظ شريف أو لمعنى نبيل

واخلُق إذا ما كنت ذا قدرة … رُبَّ خيال يخلق المستحيل

ما رفَع القالة أو حطهم … إلا خيال جامد أو منيل

من يصف الإبل يصف ناقة … طارت بهم وارتفعت ألف ميل

سائل بني عصرك هل منهم … من لبس الإكليل بعد الكليل

وليتهم كالمتنبي امرؤ … صنّاع أمثالٍ عزيزُ المثيل

---

(١) الأنسة (بضم الهمزة) ضد الوحشة . (٢) طليل ندى . (٣) بنات الهديل الحمام .

(٤) المفضل المحسن الذي ينيل من فضله . يريد أن الشاعر صان شعره عن المديح والهجاء والاستجداء .

والله ما (موسّى) وليـــلاته ... وما (لمرتين) ولا (جيرَزِيل)[1]

أحـق بالشـعر ولا بالهـوى ... من قيسِ المجنونِ أو من جميـل

قـد صـوّرا الحب وأحداثه ... فى القلب من مستصغر أو جليل

تصـوير من تبقى دُمى شـعره ... فى كل دهرٍ وعلى كل جيـل

شـــوقى

---

(١) موسى الشاعر الفرنسى الفرد دى موسيه وهو أكبر شعراء العشق والغرام . وقد هام بالكاتبة الشهيرة (جورج صاند) زمانا ثم خانته وافترقا فنظم (لياليه) وكلها جوى ولوعة . وجيراز يل هى جراز يلا (بتشديد اللام) بائعة السجاير الإيطالية التى أحبها لا مرتين الشاعر وشبب بها وكتب عنها رواية باسمها .

التوفيقيات

ديوان محمد توفيق على

(من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٢١)

عرفها أيمانه الكتب … باب بنة من الأدب
فيه ائتلافه [illegible] … وجهه بحق قد وجب
وجرع بالفضل من … متأدب يرعى السبب
أدب الأولى سلفوا فليـ … ـس بمن تحتذم عجب
ليس المفرط كلما … [illegible] عيبا طلب
مثل المفرط لا تمـ … ـر على المآخذ والريب
يمشي المناجم لا يرى … في جنحها غير الذهب
ديوان توفيق أحمـ … ـس الطلا تحت الحبب[1]
والله من لسترنم … في فرعه يلقى الطرب
بين النسيم وبين أبـ … ـيات النسيب به نسب
وإذا أشار بمدحة … شاد المكارم والحسب
وإذا رمى خطط الحما … سة قلت قسورة وثب[2]
فاقرأه، وانتظر المزيـ … ـد من الطرائف والنخب
لا تعجلن على الربى … حتى توشيها السحب[3]

شـوقى

---

(١) الطلاء: الطلا، مقصورة وهى الخمر. (٢) رمى هنا بمعنى قصد، يقال رمى المكان: قصده، ورأيت [illegible] يرمونه أى يقصدونه. والخطط جمع خطة (بكسر الخاء) وهى الأرض التى تنزلها ولم ينزلها نازل قبلك. [illegible] والقسورة الأسد. (٣) كان تقريظ شوقى من باب [illegible] فى أبيات القصيدة من أولها الى آخرها.

رسالة من أمير الشعراء

إلى

الدكتور محمد صبري

بمناسبة صدور دراسته عن محمود سامي البارودي سنة ١٩٢٣

سيدي الأستاذ صبري :

أحببت بك مهديا ، وأكرم بكتابك هدية ، ولا برحت تواليننا بالطرف من أدبك ، وتوافينا بالتحف من كتبك ، وجعل الله هذه الآثار وأمثالها من نتائج القرائح في مصر نماء وبركة ، في رأس مال الأمة ، من حضارة مستقبلة ، ودولة مؤملة ، ومكان بين الممالك ومنزلة ، فما رأس أموال الأمم إلا وسائل الأدب السليم ، وذرائع العلم الصحيح . وكل أدب سليم فهو أدب كل زمان . وكل علم صحيح فهو علم كل أوان . سألتني عن رأيي في رسالتك الجليلة ، فإن كان له من القيمة ما زعمت ، فهو رأى الغواص في الجمانة ، والبستاني في الريحانة ، والتجر في معتقة الحانة ، ترجمة كلها حسن وأحسن ما فيها المترجم ، وتحلية كلها روعة وأروع ما فيها المحلى . منكوب كريم اجتمع لشهوات الدهر فيه ما تفرق في البرامكة من جاه يطويه ، ونعيم يذويه ، وولد يرديه ، ونور يطفيه ، وحسب وضاح يخفيه ، وحكم بالأمس نافذ يحكم فيه ، جاورته بحلوان الشهور الطوال يمتد بيتينا طنب ، وينتظم دارينا جدار ، فإذا الجار كريم ، وإذا الشاعر عظيم ، ما سمعته مرة عرض شعره على جلسائه ، ولا رأيته إلا سقيما من الحياء كلما عرض شعره عليه . وهكذا كان رحمه الله إذا جرى ذكر الحوادث العرابية في مجلسه توارى بالإطراق حتى يمسك المتكلم . سأله مرة صبري باشا : هل له مذكرات عن الثورة ؟ فقال لا ، قال : وما منعك ؟ قال علمي بأن الغضب في طباعي وخوفي من أن يملكني عند بعض الذكريات فيبغى القلم على الرجال . فقال حامد بك خلوصي ، وكان ممن ضم المجلس ، صدقت ، ألست القائل (وأغضب في شروى نقير فنشتد) فتبسم رحمه الله ثم قال : ولا يغضبني مثل حديث الثورة فلنخض في غيره . وعلى ذكر الثورة أقول للأستاذ إنه كان له غنى عن الإشارة إلى مواقف المرحوم البارودي في الثورة العرابية فإن في ذلك من مسابقة التاريخ ما فيه ، ومن سابق التاريخ لم يأمن أن يضل الأعقاب ، ويحرف مواضع التبعات من الرقاب ما .

المخلص

شوقي

٢ يوليه سنة ١٩٢٣ .

تقريظ [illegible] فكرى أباظة

أبنى أباظة إن [illegible] بينكم ... جمع المكارم فيه والأحسابا
يا [illegible] ... من والد وولدتمو الأنجابا
جربت ود شبابكم وكهولكم ... فوجدت شيباً علّيــة وشبابا
أعطيت [illegible] ... [illegible] فتاكم فى البيان شهابا
لكن أتى [illegible] ... [illegible] شأى الخطباء والكتّابا
وتراه أرفع أن يقول دنيـة ... يوم الخصومة أو يخط سبابا
لا يعصم الأمم الرجال إذا هم ... لم يخدموا الأخلاق والآدابا
فكرى أذقت اليوم مصر بلاغة ... وزففت محضا للنهى ولبابا
من كل [illegible] ... [illegible]يات نحــلا واتخذت شرابا
ما زلت [illegible] ... حتى جمعت من الزهور كتابا
فأتى ألذ من الربيع وصهده ... فضــلا وأمتع فى البدائع بابا
تلك الرسائل لو شكوت بها الهوى ... عطفت على أهـل الهوى الأحبابا
عاجت فيهـا الحادثات بحكمة ... حتى لكدت تلينهن عتـابا
ولو انتظمت شعبت من أضغانها ... شيَع الرجال بمصر والأحزابا

تقريظ ديوان الجبلاوى

وما [illegible] شاعر الأفياض مغترف ... من نهرك العذب أو من بحرك الطامى
أطلعت فى سمـاء الشعر مؤتلقا ... ينشى الفـرائد عن وحى وإلهـام
أسمعتنـا من قوافيـه ومحكمه ... باكورة الأدب المستكرم النـامى
لا زال [illegible] ... لفظ شريف ومعنى فائق سـامى



الله

نشرت مجلة (الهلال) ، فى عدد مايو سنة ١٩٢٤ ، هذه القصيدة وقد قالت (الصاعقة) أن قوافيها مرتبة بحسب الحروف الأبجدية من الألف إلى الياء .

أجاد شوقى وصف مظهر الجلال والرهبة والقوة ، أما مظهر الجمال والإبداع فى الكون فقد قصر عنه ولم يرصد له إلا أبيات معدودات . والقصيدة وإن لم تكن من الناحية الفكرية تدل على عمق سبح فيها خيال الشاعر إلى أبعد مدى .

فمن آياته قوله فى سقراط :

حيران يذهب فى السماء ويحث [1] ويثير وجه الأرض عنك ويحث [2]

ويلوذ بالأنواء حين تحثحث [3] ويحص ما هالوا التراب وما حثوا [4]

بيد تميت العالمين وراء [5]

وقوله فى عظمة الخالق بالنسبة للإنسان :

عن هذه الأنوار يعشى يوشع [6] فمن الرئيس وعلمه المتشعشع [7]

أو من أرسطو والمشاة الخشع [8] عصفت بهم ريح البلى فتقشعوا

ورحت رحاها فيهم الغبراء [9]

وفى ضآلة الإنسان بالنسبة للخالق :

بحر المحبة فوق باع الزورق والفلك إن تذهب ذراعا تخرق [10]

---

(١) يحث أى يفتش والمراد العقل . (٢) يحث هنا يحفر الأرض . (٣) تحثحث يضطرب فيها البرق . (٤) حثا التراب عليه وفى وجهه حثوا قبضه ورماه أو صبه . والهيل صب التراب كالحثو أو الحثى إلا أن الحثى لا يكون إلا عند رفع التراب والهيل إرساله من غير رفع فكل من دنا من شفير القبر هال ومن نأى عنه حثا .

(٥) يحص به وراء العالم تقبض الأرواح كلما دفن الناس ميتا . (٦) يوشع النبى الذى أوقف الشمس وقد ورد ذكره فى التوراة — عشى : ساء بصره . (٧) الرئيس ابن سينا . والمتشعشع المتفرق .

(٨) المشاة أو المشاءون تلاميذ أرسطو . (٩) رحا الرحى يرحوها رحوا عملها أو أدارها . والرحى الطاحون . (١٠) تخرق تمصف (مبنى للمجهول) .

[illegible] [1] ... كم لى نزاق المـوج من يد مغرق [2]

[illegible] [3]

إن شـوق يصوّر أفكاره وبعبارة أخرى إن أفكار شوق صور كصور كبار الفلاسفة . كان لايبنتز يقول : " إن الله كالبحر ، وليس عندنا منه إلا قطرات ، وإن الإنسان لا زورق له ولا وسيلة لاجتياز لججه وسبر غوره . وكل ما فى مقدور الإنسان أن يستبصر فيه من الساحل [illegible] [illegible] له منه . وقد يتساءل أحيانا فى قلق وهم إذا [illegible] [illegible] " . وقد أضاف شوق إلى صورة الفيلسوف الألمانى [illegible] (كم لى [illegible] الموج من يد مغرق . .) ولا يضاهى هذه [illegible] الواسعة فى روعتها الحيفة إلا قوله فى سينيته الشهيرة :

---

(١) [illegible] (بكسر الفاء وسكون الراء) أى الموجة [illegible] (٢) [illegible] جمع زفرة أعالى الصدر حينا يزاق الموج [illegible] . (٣) الإسراء [illegible] . (٤) جاء فى كتاب (سعدى الشيرازى) تأليف الدكتور محمد موسى [illegible] وصف الله تعالى وبيان عجز الانسان [illegible]

* [illegible] *
* [illegible] كنه [illegible] *
* لم يعرف البشر شيئا وراء جلاله *
* ولم يدرك البصر منتهى جماله *
* ولا يستطيع طائر الوهم أوج ذاته *
* ولن تدرك يد الفهم أطراف صفاته *
* كم من السفن ! غرقت فى تلك اللجة *
* ولم [illegible] الموج [illegible] على الشاطىء *
* [illegible] على [illegible] *
* [illegible] ، لن [illegible] *
* فلا الإدراك ، واصل كنه ذاته *
* ولا [illegible] ، بالغ [illegible] صفاته *
* [illegible] *
* [illegible] الأعدا [illegible] ؟ *
* [illegible] أن تطلب [illegible] المسافة *
* [illegible] أولا [illegible] مرادك *
* [illegible] *
* [illegible] على [illegible] *

عقلت بالجسة الأمور عقولا ‏ ‏ كانت الحوت طول سبح وغس
غرقت حيث لا يصاح بطاف ‏ ‏ أو غريق ولا يصاخ لحس

صوّر شوق العقول البشرية الخرساء أمام الطبيعة الجبارة التي لا تكترث للانسان ولاتباليه .

ولعل خير تعليق على أبيات شوقي فصل كتبه الفيلسوف الفرنسي جيواي Guyau عن (عدم الاكتراث في الطبيعة) ، قال : " ربما لا يوجد شيء يعطي للعين والفكر تمثيلا أكمل وأدعى للحزن والكآبة من المحيط ، إنه صورة القوة الهيولية العاتية في أقسى ملامحها . وكل هذا يعيش ، ويضطرب ، و يتبلبل أبد الآباد بلا هدف .

والذي يبعث اليأس حقا أن كل هذا الجهد ، كل هذه الحياة الزاخرة تتبدد فيما لا طائل فيه . إن قلب الأرض يخفق بلا أمل . ومن كل هذا الالتطام وهذا الطحن في الموج لا يخرج إلا زبد تنفيه الريح .

قالوا وكرروا « لا يوجد شيء عبثا » . وهذا صحيح إذا فصّلنا . فحبة القمح وظيفتها إنتاج حبات قمح أخرى . إننا لا نتصور حقلا غير مخصاب . ولكن الطبيعة في مجموعها وكلياتها ليست مضطرة لأن تكون ذات إخصاب . إنها التوازن الكبير بين الموت والحياة . ولا شك أنَ في الطبيعة سحرا وشعرا . وربما كان أجل سحرها وشعرها في عظمة جَدْبها . ولعمري أين حقل القمح من المحيط ، المحيط لا يعمل ولا ينتج ولكنه يتحرك ويضطرب ، ولا يكترث للحياة والموت . هو الأرجوحة السرمدية الكبرى التي تترجح بالكائنات . ولقد يرى الانسان حين يلق البصر في أغواره حشود الحياة الحاشدة . ولا توجد نقطة واحدة منه غير مسكونة . وكل السكان في حرب وطراد . يتحامى بعضها بعضا . وماذا يهم في النهاية . ؟ ماذا يهم المحيط العميق من أمر تلك الشعوب التي تحملها أمواجه الضارية شرقا وغربا .

هذه العاصفة في الأمواه ليست إلا استمرارا ونتيجة لعاصفة الأهوية . أليست رعشة البحر آتية من رعشة الرياح ؟ أليست أمواج الهواء بدورها تجد ما يفسر حركاتها في تموجات النور والحرارة ؟ مما لا شك فيه أنه لو أمكن عيوننا الاحاطة بسعة الأثير لما شاهدنا في كل مكان إلا اصطدام الأمواج العتية ، واقتتالا لا نهاية له ، لأنه بلا سبب . إنها حرب الجميع ضد الجميع .

لا شيء ينجو من هذه الزوبعة الهائلة : لا الأرض نفسها ، ولا الانسان ولا الذكاء البشري . وكل ذلك لا يتيح لنا شيئا ثابتا نستعصم به . وكل ذلك محمول في ثنايا تموجات

[illegible] ولكن لا أجد حلها . هنا تنشأ الشكوك [illegible] وحق الأقوى . وكلما فكرت خُيِّل لى أن المحيط فى مدّ وامتلاء حولى وأنه يطغى على كل شىء ويعرف كل شىء" انتهى .

بعد البيت المتقدم (كم فى تراق الموج ..) قال شـوقى :

كم آية لك لم يجحدها المشرك   غراء بالبصر المجـرد تُـدرك

فلك منـوط فى الفضاء مُحرك   هل ثار فيـه من الثوابت مبرك (١)

أم عىّ سـيار به سراء (٢)

ظاهر أن إيمان شوقى ، بعد إيمان الجماهير ، قد حماه من الشك ومن شقاوة الشك والارتطام فى أسرار الوجـود والموت والحيـاة والمذاهب المتضاربة الغامضة كالمـذاهب الفلسفية التى كانت سائدة إلى عهد سقراط فيما يتعلق بطبيعة الوجود ففريق كان يقول بوحدة الكائن ، وفريق بتعدده إلى ما لا نهاية ، كان البعض يرى أن الأجسام فى حركة دائمة ، والبعض الآخر أنها فى ثبات مطلق . هذا يدعى أن كل شىء يولد ويموت ، وذاك أنه لا ينسل شىء لفناء محتوم ، لم يقل شوقى مثلا عند ذكر الفلك أن الأجسام فى حركة دائمة ولم يقل أنها ثابتة ولكنه استدار حول الأمر فقال أولا أن الفلك منوط محرك بمعنى أنه ثابت متحرك ثم قال إن الكواكب بين ثابت وسـيار .. والواقع أن العقل البشرى عاجز عن تحديد معنى الحركة والثبات أو الجمود خصوصا بعد أن ثبت علميا أن الجمادات الميتة أو الأجسام الجامدة تنطوى على حركة واسعة فى باطنها .

كان جـوتة يقول " من أراد أن يعتقد بالله فما عليه إلا أن يتأمل فى سمـاء مرصعة بالنجوم " . وقد أحسن جوتة لأنه لم يتكلم إلا عما يقع تحت الحس ويدركه عقـله الجبار فى الحدود التى رسمتها الطبيعة له . وترى بلاغة القرآن فى التمثيل الحسى لآيات الله فى ملكوت السموات والأرض : « وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون . وهـو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون » وقال تعالى : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهـم كيف بنيناها وزيناها وما لهـا من فروج » وقال : « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح » وقال : « وترى الجبـال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب » وقال عن أعمال

---

(١) منوط : معلق . ثار نهض . برك البعير : استناخ وحقيقته وقع على بركه (بسكون الراء) أى صدره و [illegible] كل شىء بالمكان : ثبت . ومبرك : ثابت .

(٢) السيار : الكثير السير والسراء الكثير السرى وهو سير عامة الليل . الإشارة هنا إلى الكواكب .

الكفار : « أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج ، من فوقه سحاب . ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها » .

* * *

تكلم شوقى بعد ذلك عن سير النجوم بنظام (ذو الرح فيه على وداد الأعزل) وذكر الشمس والبدر (ويد الغزالة فوق أشرف مغزل ..) ولكنه لم يرتفع فى بيانه إلى السقف ، ثم حوّل بصره من السماء إلى الأرض وآياتها فأبدع :

النمل يجهد فى المعاش ويتهم   عن أى رأس أو فؤاد يفهم

لب يضل مكانه المتوهم   لولا يد تحدو وهادٍ ملهم

لم يبد منه الحزم والنكراء [١]

وهذا أفضل من قول الآخر الذى زعم محمد المويلحى فى فاتحة الكتاب (نهج البردة ١٩١٠) أنه « يقول فى مناجاته لربه ما لم يقله أعظم مشرح من أطباء الافرنج ممن يتناولون الشعر اليوم » :

يا من يرى مد البعوض جناحه   فى ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى عروق نياطها فى نحرها   والمخ فى تلك العظام النُّحَّل [٢]

اغفر لعبد تاب من فرطاته   ما كان منه فى الزمان الأول [٣]

إن عظمة الخالق والخليقة يتمثل فى حياة النمل وفى مساكنه . روى أن نبيا نزل تحت شجرة فقرصته نملة فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله إليه «أفى أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم» وهذا تعبير جامع . والنمل من أدق المخلوقات وأصغرها جرما وأعظمها شأنا كالنحل . وقد نظم شوقى قصيدة فخمة فى (مملكة النحل) نشرتها (الأهرام) فى ٢٧ فبراير سنة ١٩٢٣ .

مملكة مدبرة   بامرأة مؤمَّرة

وأوجه الشبه عظيمة بين النمل والنحل ، وحياتهما عجب . وإنا نجتزئ هنا بذكر ما جاء فى (لاروس) فى مادة النمل : « معظم النمل أناث عقيمات أو عاملات تسمى بالمحايدات .

(١) حزم (بضم الزاى) حزما : ضبط أمره وأخذه بالثقة . من الحزم وهو الشد بالحزام والحبل استيثاقا من المحزوم . والحازم هو العاقل المميز ذو الحنكة والمتحرز فى الأمور المستظهر فيها . وقد وصف الجاحظ النمل بالحزم فى مواطن كثيرة فقال أنه لا يبلغ من تفقدها والنظر فى عواقب أمرها أنها تخاف على الحبوب التى ادخرتها للشتاء فى الصيف أن تعفن وتسوس وإقبلها بطن الأرض فتخرجها إلى ظهرها لتيبسها وتعيد إليها جفوفها ، وليضرب بها النسيم وينفى عنها اللخن والفساد . فهى على هذا الوجه مجاوزة لفطنة جميع الحيوان ، حتى ربما كانت فى ذلك أحزم من كثير من الناس » . والنكراء : الدهاء والعقل .

(٢) النياط عروق ممتدة فى الصلب تحت المتن .

(٣) الفرطة : المرة الواحدة من الخروج والتقدم . (اللهم اغفر لى فرطاتى) ما فرط منى .

والباقى الذكور والإناث المجنحة ، ولا يعيش الذكور إلا الزمن الضرورى لتوالد النوع . ولا تكاد الإناث تعود إلى بيوتها بعد بضع ساعات من الطيران حتى تجردها العاملات من أجنحتها وتسوقها إلى الأروقة حيث تنقطع للبيض . وفيما خلا بناء الأعشاش وتربية الصغار وكفالتها يناط بالعاملات الدفاع عن "المستعمرة" — وإطعامها . إن مساكن النمل تؤلف مدينة حقيقية . سكانها متفاهمة مطاوعة تتقاسم العمل فيما بينها وتعيش عيشة راضية لا تنازع فيها ولا فوضى وإن كان لا أسرة لها ولا سيد . قانونها الوحيد هو الصالح العام » .

ألا يحق بعد ذلك لشوقى أن يتساءل حين يذكر النمل (عن أى رأس أو فؤاد يفهم) ثم يقول ، وما أفصح بيانه :

لب يضل مكانه المتوهم لولا يد تحدو وهادٍ ملهم

والواقع أن شوقى لم يقل فى سر الوجود وماهية النفس غير ما قاله علماء التوحيد ولكن شوقى قلب نظراته فى الوجود وأفاض خياله الرائع على الباس آرائه صورا جديدة ترفل فيها وتزهــو .

قال أحد أولئك العلماء :

والله لا موسى ولا عيـ ـسى المسيح ولا محمدْ

علمــوا ولا جبريــل وهـ ـو إلى محــل العرش يصعدَ

كلا ولا النفــس البسيـ ـطة لا ولا العقــل المجرد

من كنـه ذاتــك غير أنـ ـنك واحدىّ الذات سرمد

وجـدوا إضافات وسلـ ـبا والحقيقــة ليس توجد

ورأوا وجــودا واجبـا يفنى الزمانُ وليس ينفــد

فلتخســأ الحكماء عن حرم له الأفلاك تسـجد

من أنت يا رسطو ومن أفلاط قبلـك يا مبلّد[1]

ومن ابن سـينا حين قـرّ ر ما هُــديتَ له وشـيد

هـل أنتم إلا الفـرا ش رأى الشهاب وقد توقد

فــدنا فأحرق نفســه ولو اهتدى رشَدًا لأبعـد

وقد نشر محمد المويلحى هذه القصيدة أيضا فى كلامه عن الشعر فى فاتحة (نهج البردة) وقال إن ناظمها من علماء الكلام والتوحيد وأنه قال « ما لم يقل مثله فلاماريون حكيم

(١) أفلاط أفلاطون . ومبلد يقال بلّد (بتشديد اللام) لم يهتد لشىء وتكس فى العمل وضعف حتى فى الحركة .

الفرنساويين اليوم وشاعرهم الفلكى فى سر الوجود وخفاء ماهية النفس " وهذه أول مرة نسمع فيها أن فلامارويون العالم الفلكى كان حكيما وأنه كان شاعرا .. ثم ما الذى قاله صاحبنا ولم يقله غيره؟ حسبنا أن ننظر إلى هذه القصيدة بإزاء قصيدة شوقى ليبين بجلاء البون الشاسع بين العالم الشاعر والشاعر الحكيم .

قصيدة شوقى

الحق مجته هى الغبراء ... هيهات فى فلق الصباح مراء
لا يطلبن الغاية الشعراء ... لو نال كنهه جلالك الكبراء
آبت به سيناء والإسراء

الوهم يبعد فى الظنون ويقرب ... والعقل فيك مسافر متغرب
والفكر يهرب حيث أنت المهرب ... والنفس غايتها إليك تقترب
وقصارها فى عفوك استذراء

العقل أنت عقلته وسرحته ... وأحرت فيك دليله وأرحته[1]
آتيته الحجر الأصم ونحته ... والنجم يعبد فوقه أو تحته[2]
ما توهم الغبراء والخضراء[3]

بالهند هلكى فى الهيا كل سبح ... وبمنف كهان لكنهك سبحوا[4]
والروم تغرق فى المحبة سبح ... سقراط مغتبق عليه مصبح
فيك الزعاف ومنه الاستمراء

حيران يذهب فى السماء ويبحث ... ويثير وجه الأرض عنك ويبحث
ويلوذ بالأنواء حين تحثحث ... ويحس ما هالوا التراب وما حثوا
بيد تميت العالمين وراء

سأل السماء إلى سنائك معرجا ... والأرض نحو كريم سرك مدرجا
والوهم فيك إلى الحقيقة مخرجا ... علمته أخذ الأمور تدرجا
أصل الحقائق كلها استقراء

---

(١) أحرته بالشك وأرحته باليقين . (٢) والنجم يعبد . النجم هنا بمعنيين النبت لا ساق له والكوكب فيعود الضمير فى (فوقه) إلى النبت ويعود فى (تحته) إلى الكوكب . (٣) الغبراء والخضراء الأرض والسماء .

(٤) فى الهيا كل سبح أى نائمون ساكنون . وسبحوا قالوا سبحانه . والروم سبح فى البيت الثانى عائمون أو سابحون . والمراد من الجزء الأخير أن سقراط قد حكم عليه بالسم فى سبيل الإيمان بك فاستساغه .

فى المهد إذ هو ناهض لم يَشْرُخ   وإذ القدامى فى حلوم الأفرخ (١)

لمح الشيخ يد العناية والرضى   خفضا الجناح لمستغاث مُصْرِخ (٢)

يُشكَى البلاء إليه والضراء

موسى على سيناء أعشى أرمد   هو والجبال وأرض مَدْيَن همد

وما [illegible] إلى [illegible]   [illegible] سليمان ووجهك سرمد

[illegible] والأمراء

[illegible] أضحى الجمال [illegible]   ومضا الجمال على الجلال استحوذا

يأوى إلى سُبُحاته [illegible] وذا   ويطيف أصناف المحامد لوذا (٣)

ما [illegible] المدح والإطراء

يعيك الملك التى لا [illegible]   [illegible] الممالك دونه والأعصر

و[illegible] من العرب [illegible]   [illegible] وهارون الرشيد وقيصر

[illegible]

ولك القضاء غراره وحسامه   لا شيء فى هذا الوجود يعزه (٤)

[illegible] به [illegible]   [illegible] حين تهزه (٥)

وتمزق [illegible] والخضراء (٦)

أما الملائكة الكرام فقبس   لبسوا الحلى الحسنى وأنت المُلبِس

وعلى التحية والثناء تهمسوا   خشعوا فلم يجروهما أو ينبسوا

إلا [illegible]

ينزون بين مجنح ومريش   نزو الفراش وما هو بالطُيش (٧)

حول الضياء الناشد التجيش   ويجرون من الغلائل ما يشى (٨)

من [illegible] السراء

---

(١) نهض قام، ونهض من مكانه ارتفع عنه، ونهض الطائر بسط جناحيه ليطير، شرخ الصبى صار شارخا والشارخ الشاب، وهو فى شرخ الشباب أى فى أوله . (٢) المصرخ المغيث . (٣) السبحة بضم السين الدعاء، وسبحة الله جلاله [illegible] سبحات وجهك الكريم» أى بما تسبح (بفتح الباء) به من دلائل عظمتك . (٤) [illegible] . (٥) تهزه تحركه وتزعجه . (٦) الشهباء الكتيبة [illegible] السلاح والخضراء الكتيبة التى [illegible] سواد [illegible] . (٧) ينزون يثبون . (٨) التجيش المتوهج، يشى من الوشى بسكون الشين .

عرش على أم العلى منصوصه (١) ... من جوهر الحق المبين فصوصه

جبريل وهو به القديم خصوصه (٢) ... ملق الجناح إزاءه مقصوصه

والرسل من أن يدّعوه براء

فى منزل فوق الحساب وفرضه (٣) ... عال على مسرى الخيال وقرضه

فى طوله يفنى المكان وعرضه ... ما فى سماء الكون أو فى أرضه

مرداء تشبهه ولا شجراء (٤)

وكأنه نون يراعك خطها ... قد وُفّيت من حسن صوغك قسطها

لما أراد لك ابتداعك نقطها ... أعلاك فى السمت الأتم وحطها

قلم فأنت النقطة الزهراء (٥)

العلم ثمّ ضنائنا وحفائظا (٦) ... والعز ثم حقائقا وحفائظا

بجلد أمات بك المكابر غائظا (٧) ... فأتاك مبذول المقادة فائظا

حيران ليس لدائه إبراء

عن هذه الأنوار يمشى يوشع ... فمن الرئيس وعلمه المتشعشع

أو من أرسطو والمشاة الخشع ... عصفت بهم ريح البلى فتقشعوا

ورحت رحاها فيهم الغبراء

لبسوا النبوغ من العناية مسبغا ... فتخيّلوا وزها الذكاء النُّبغا

ما من أدلّ بما وهبت كمن بغى ... والناس ذو رأى وآخر ببغّا

تحكى وتُنقل عندها الآراء

يا ربّ مدنّى من حماك مشنّف (٨) ... ورهين إذن دون بابك مدنف

حارا من السر الخفى بنفنف (٩) ... سرّ جلالك صانه فالسين فى

يمنى يديه وفى الشمال الراء

---

(١) منصوصه مرفوعه . (٢) خصوصه العلاقة الخاصة . (٣) فرضه : فرض فرضا سار يعتل فى سيره عنة وبنزة . (٤) المرداء الأرض الخالية من النبات . والشجراء الأرض ذات الشجر والكثيرته . والشجر الملتف كالأجمة ومنه « كما فى الشجراء » ويقابلها المرداء أى التى لا شجر بها ومنه قولهم « قطعت كل شجراء ومرداء » . (٥) الزهراء النيرة . (٦) الحفائظ جمع حفيظة وهى أولا بمعنى الحرز وثانيا بمعنى الذود عن الحرمات . (٧) فاظ مات . (٨) المشنف المحلى والغرض هنا المقرب الموهوب . دنف المريض دنفا ثقل ودنا من الموت . ودنفت الشمس (بكسر النون) دنت للغروب واصفرت . ودنف الأمر دنا .

(٩) النفنف كل مهوى بين جبلين . والنفنف البعيد .

بحر المحبة فوق باع الزورق   والفلك إن تذهب ذراعا تخرق

فاجعل شراعك فيه عينك والفرق   كم فى تراق الموج من يد مغرق

قُبِلت وأخرى حظها الإصراء

كم آية لك لم يجدها المشرك   غراء بالبصر المجرد تدرك

فلك منوطة فى الفضاء تحرك   هل دار فيه من الثوابت مبرك

أم عيّ سيّار به سراء

ذو الرمح فيه على وداد الأعزل   والفرقدان عن اللداد بمعزل (١)

ويد الغزالة فوق أشرف مغزل   والبدر كلّ سلاوة فى منزل (٢)

حتى تحمل شراكه العفراء (٣)

الخلق يجهد فى المساعى وهمهم   فى أى رأس أو فؤاد يفهم

لهم يضل مكانة المتوهم   لولا يد تحدو وهاد ملهم

لم يبد منه الحزم والنكراء

والرزق سر لم ينل مكنونه   علقت به كاف السماح ونونه

كذب الحريص وحرصه وفنونه   ستموده سوداؤه وجنونه

ما دامت البيضاء والصفراء (٤)

فرعون لم يخلد ولا أشباهه   لم يغن عنه من البناء نباهه (٥)

ملا أتاك عتيه وسباهه (٦)   زلت على حكم التراب جباهه

وكذا يكون الحكم والإجراء

---

(١) ذو الرمح والأعزل هما السماكان والمراد أن هذه النجوم كلها تسير بنظام واتفاق .

(٢) الغزالة هى الشمس لأنها تمد حبالا كأنها تغزل . والمغزل إسم الآلة من الغزل والمراد بالغزل هنا كما هو ظاهر إرسال الأشعة . والسلاوة البرهة من الدهر .   (٣) الأعفر من الظباء الذى تعلو بياضه حمرة وقيل الأعفر منها الذى تعلو سراته حمرة وأقرابه بيض . وبنا عنزة عفراء خالصة البياض وأرض عفراء بيضاء لم توطأ . وفى الحديث يحشر الناس يوم القيامة على أرض عفراء . والعفر من ليالى الشهر السابعة والثامنة والتاسعة وذلك لبياض القمر . وفى الحديث ليس عفر الليالى كالدآدى أى الليالى المقمرة كالسود ، وقيل هو مثل . وقد أسرف شوقى فى هذا المخمس فى استعمال الجناس والبديع على غير عادته ، مما حبط بمعانيه قليلا .   (٤) البيضاء والصفراء الفضة والذهب .

(٥) النباه بفتح النون الشرف الرفيع .   (٦) العتيه المتكبر .

بالموت أذللت النفوس وبالهوى ... وقهرت من وطئ التراب ومن هوى (١)

والنجم لو سرت الحياة به هوى ... وانحط عن أوج الهواء إلى الهُوى (٢)

يبكي عليه الأهل والعشراء

لم يأل داود الصلاة مثانيا ... ويسوع دمعا والبشير مثانيا (٣)

وتنوّر الوادى ربىً ومثانيا ... فسما الكليم فما توسم ثانيا (٤)

أنّى لك الشركاء والنظراء

مايو سنة ١٩٢٤ ... شوقى

---

(١) هوى ذهب فى الأرض . (٢) الهوى (بضم الهاء ونصب الواو) جمع هوة ولعلها جمع قياسى ككرة وكرى . وقد جاء فى اللسان أن هوى بكسر الواو وتشديد الياء جمع هوة . (٣) المثانى الأولى مزامير داود والثانية آيات التنزيل . (٤) المثانى هنا معاطف الوادى . والكليم سيدنا موسى .

إذا رشد المعلم كان موسى

وإن هو ضلّ كان السامريا

« رثى أمير دولة البيان شوقي بك فقيد العلم والعاديات المغفور له علي بهجت بك بهذه اليتيمة العصماء التي ستتلى اليوم في حفلة تأبينه ، وهي كما يراها القراء أُخذة من أخذ السحر، ومعجزة من معجزات الشعر » قال :

أحقٌّ أنهم دفنوا عليّا ؟ ... وحطّوا في الثرى المرء الزكيا ؟

فما تركوا من الأخلاق سمحا ... على وجه التراب ولا رضيا

مضوا بالضاحك الماضي وألقوا ... إلى الحفر الخفيف السمهريا

فمن عرف اللغات يصل إليهم ... أصاب فصيحها والأعجميا

لقد فقدت مصارفها (حنينا)[1] ... وبات مكانه منها خليا

ومن ينظر إلى الفسطاط يبكي ... بفائضة من العبرات ريا

ألم ينبش الثرى عنها عليها ... وكانت ركابها نحو الثريا

فنقّب عن مواضعها عليٌّ ... فجدد دارسا وجلا خفيا

ولولا جهده احتجبت رسوما ... فلا دمنا تريك ولا نؤيا[2]

تلفتت الفنون وقد تولى ... فلم تجد النصير ولا الوليا

سلوا الآثار من يغدو يسائل ... بها ويروح محتفظا حفيا

ويقفوها الرفوف بجوهري ... يصفف في خزائنها الحليا

وما جهل العتيق الحر منها ... ولا غبي[3] المقلد والدعيا

فتى عاف المشارب من دنايا ... وصان عن القذى ماء المحيا

أبيّ النفس في زمن إذا ما ... عجمت بنيه لم تجد الأبيا

تعوّد أن يراه الناس رأسا ... وليس يرونه الذَّنَب الدنيّا

وبعض العلم لا يحمي هوانا ... ولا يغني عن الأخلاق شيا

---

(١) من أدباء الدولة العباسية وهو الملقب بشيخ المترجمين . (٢) النؤيّ بضم النون وكسر الواو وتشديد الياء الحفائر حول الأخبية . (٣) غبي الشيء جهله .

ولم أر فى السلاح أضل حدا ... من الأخلاق إن صحبت غبيا
هما كالسيف لا تنصفه[1] يفسد ... عليك وخذه مكتملا سويا

* * *

غدير أترع الأوطان خيرا ... وإن لم تمتلئ منه دويا
وقد تأتى الجداول فى خشوع ... بما قد يعجز السيل الأتيا
حياة معلم طفئت وكانت ... سراجا يعجب السارى وضيا
سبقت القابسين إلى سناها ... ورحت بنورها أحبو صبيا
أخذت على أريب ألمعى ... ومن لك بالمعلم ألمعيا
ورب معلم تلقاه فظا ... غليظ القلب أوفدما غبيا
إذا انتدب البنون لها سيوفا ... من الميلاد ردهم عصيا
إذا رشد المعلم كان موسى ... وإن هو ضل كان السامريا
ورب معلمين خلوا وفاتوا ... إلى الحرية انساقوا هديا[2]
أناروا ظلمة الدنيا وكانوا ... لنار الظالمين بها صُلِيّاً[3]

* * *

أرقت وما نسيت بنات بوم ... على « المطرية » اندفعت بكيا[4]
بكت وتأوهت فوهمت شرا ... وقبلى داخل الوهم الذكيا
قلبت لها الحُذَىَّ[5] وكان منى ... ضلالا أن قلبت لها الحذيا
زعمت الغيب خلف لسان طير ... جهلت لسانه فزعمت غيا
أصاب الغيب عند الطير قوم ... وصار البوم بينهمو نبيا !
إذا غناهمو وجدوا سطيحا[6] ... على فمه وأفعى الجرهميا[7]
رمى الغربان شيخ تنوخ[8] قبلى ... وراش من الطويل لها رويا
نجا من ناجذيه كل لحم ... وغودر لحمهن به شقيا

---

(١) نصف الشىء أخذ نصفه . (٢) هديا : ضحايا . (٣) صلى جمع صال من صلى النار يصلاها .

(٤) كتب حسين شوقى فى كتابه (أبى شوقى) عن تفاؤل أبيه وتشاؤمه قال : « وكما كان يتفاءل ، كان أيضا يتشاءم ، فكان إذا تراءى له من بعد أحد معارفه الذين اشتهروا بنحوس الطالع ، ركب سيارته من فوره وأمر السائق بالانطلاق : كذلك كان يتشاءم من صوت البوم . وقد أشار إلى ذلك فى رثائه للرحوم الصلاحة على بك بهجت ، وكنا يومئذ لا نزال نقيم فى ضاحية المطرية ... » . (٥) الحذى تصغير حذاء . (٧ ، ٦) سطيح وأفعى كاهنان من كهان العرب . (٨) المعرى ، وتنوخ قبيلته .

[illegible] | [illegible] على المناحة مقلتيا
فقدت نـظيرة وبلاغ صـادق | وصدق لم يفاجئ مسـمعيا
ولكن الذى بكت الورى لى | جليل عز مصرعه عليا
ومن [illegible] | [illegible] المنية عبقريا
ومن [illegible] | من الأحباب لا يحص الثعيا

* * *

[illegible] | [illegible] حديثك العذب الشهيا
فلم أعـدم إذا ما الدور تمت | سميرا بالمقابر أو نجيا
يذكرنى الدجى ليـنة حيها | هنالك بات أو خـلا وفيا[1]
[illegible] | فلم [illegible] زخرف الدنيا فـريا
عرفت الموت معنى [illegible] لفظا | تكلم واكشف المعـنى الخبيا
[illegible] | أكنت تمـوت لو لم تلف حيا
ولا [illegible] | تصير إذا صبرت لها مليا
وينقلب النجوم إلى سكون | من الدوران يطوين طيا
[illegible] عن الماضين إنى | شـددت الرحل أنتظر المضيا
وصف لى منزلا حملوا إليـه | وما لحـوا الطريق ولا المطيا
وكيف أتى الغنى له فقيرا | وكيف ثوى الفقير به غنيا
لقد لبسوا له الأزياء شتى | فلم يقبل سوى التجريد زيا[2]
سواء فيه من وافى نهارا | ومن قذف اليهود به عشيا
ومن قطع الحياة صدى[3] وجوعا | ومن مرت به شبعا وريا
وميت ضجت الدنيا عليـه | وآخـر ما تحس لـه نعيا

---

(١) [illegible] (بكسر الواو وسكون اللام) .
(٢) بيت رائع من التخيل الحسى وحكمة بالغة . (٣) الصدى الظمأ .

(الكشكول) فى ١٨ يونية سنة ١٩٢٤ :

تعـزية أمـير الشـعراء [1]

للدكتور محجوب عن سقوطه فى الانتخابات

أعـزيك أبا مكسى [2] وإن لم تبتئس نفسى
لقد صرت لنا اليو م كما كنت لنا أمس
فلا عقلك فى الحكـ م ولا «روحك» فى الكرسى
ولا تمشى «على» بولا ق من عُرس إلى عرس
وقد دقت لك العو د ومدت بسط الفرس [3]
إذا ما (بلغ) المجلس أمثالك فى النطس [4]
فمن نطلب للطب ومن ننـدب للدرس
ومن يسمر فى النا دى ويحيى مجلس الأنس
ومن (للنفخة) الكبرى من الرجل إلى الرأس
فلا السودان فى حزن ولا العمال فى يأس [5]
فكل عنه يستغنى وكل فى غد منسى
تأمل حالة الدنيا بعين الفهِم الندس [6]
ترى الدولاب دوّارا وتلق الفلك لا تُرسى [7]

---

(١) هذه القصيدة على الرغم من أنها هزلية الأسلوب ، قد اختتمت بثلاثة أبيات من جيد الشعر ورصينه .
(٢) مكسى مكسور هو اسم حصان الدكتور محجوب . (٣) بسط الفرس يريد البسط العجمية .
وقد كان الدكتور محجوب "رئيسا" لنقابة العمال فى بولاق ، وكانت بولاق ميدان مجاملاته وحفلاته الانتخابية
وقد رشح نفسه ليكون نائبا عنها . (٤) النطس بضمتين الأطباء الحذاق . وقد سكنت الطاء للضرورة .
(٥) كان الدكتور محجوب يشتغل بشؤون السودان والعمال ، وله فيها جولات عظيمة على صفحات الأهرام .
(٦) الفهم ككتف السريع الفهم والندس الفهم الكيس . (٧) الفلك : السفينة يؤنث ويذكر .

رثاء أمــير الشعراء

لمكسويني

" كان صاحب السعادة أحمد شوقى بك أمير الشعراء قد عزى الدكتور محجوب ثابت فى سترلمفقود الأفندى البالتكى بقصيدة وقعنا عليها عند بعض الأصدقاء فنشرناها فى عدد ماض[1]. ونقول اليوم إن أمير الشعراء لما اتصل به وهو فى باريس خبر انتحار "مكسويني" أرسل إلى الدكتور محجوب هذه المرثية عزاء عن فقيده . قال حفظه الله " :

يا مكس دنياك عاره[2] والموت كأس مداره

والدهر يوما ويوما والحال طورا وتاره

والعيش زهر ربيع قصير عمر النضاره

إذا بلغن التراقى[3] فكل ربح خساره

يا "مكس" قل لى أحقا قد وسدوك الحجاره

وغيبوك طويلا أشم مثل المناره

عن أبيض الهند سلوا الا حريش والجراره

ألم تكن وطنيا بكل معنى العباره

فكم شهدت قتالا وكم توردت غاره

وكم لبست صليبا على الجبين وشاره

وكم نقلت جريحا فتات بالاستشاره

* * *

يا "مكس" عشت نقيا ومت خدن طهاره

ما هج منك زقاق ولا اشتكت منك حاره

وما عضضت بجار ولا همت بجاره

ولا اشتملت جلالا[4] على الخنا والدعاره

---

(١) عدد ١٨ يوليه سنة ١٩٢٤ (أمز بك أبا مكس) . (٢) عاره : الشيء المستعار .

(٣) التراقى أعالى الصدر حيثما يترقى فيه النفس . بلغت روحه التراقى أى شارف الموت إذا بلغن أى إذا بلغت الأرواح التراقى . (٤) جمع جل وهو غطاء الفرس .

قد عشت في البيت عمرا   وليس في البيت فاره

في الهند كل فقير   هد الصيام فقاره [١]

في الجو تخفى عليه   طريقك المختاره

لما جفاك (ابن سينا) [٢]   وهام بالسياره

تفر منه وتجري   كالنحلة الدواره

فلا إلى البوق تصغي   ولا إلى الزماره

وقد تهتك فيها   حتى أضاع وقاره

حلت من ذاك غما   أذاب منك المراره

حتى انفجرت بريئا   والانفجار جساره

أرسلت رأسك يهوى   من ربوة لقراره

---

(١) الفقارة ما تنضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب وهو خرزات الظهر . الواحدة فقارة . وذو الفقار لقب سيف الامام على .

(٢) لقب للدكتور محجوب .

(المصور) في ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٦٠

تقريظ ديوان أبا النجاة

تحت عنوان (مع قراء [illegible]) نشر الشاعر الأديب صالح جودت في المصور الرسالة الآتية وعلق عليها :

« في أكتوبر سنة ١٩٢٤ صدر ديوان الشاعر « أحمد أبا النجاة » وقدم أمير الشعراء أحمد شوقي لهذا الديوان بهذه الأبيات :

أدر جام البيان أبا النجاة ... وهات سلافة الألباب هات

قصائد ، قالب الفصحى عليها ... على شرف المعاني المفرغات

قصرن فكن من [illegible] ... وطلن فكن سبع معلقات

والسؤال : هل لهذا الشاعر دواوين أخرى ؟ وهل هو مازال على قيد الحياة ؟

رمضان أبو المعاطي : بورسعيد

أفادك الله يا أخي .. والله ما سمعت باسم هذا الشاعر ولا بديوانه قبل اليوم . وأخشى أن يكون شوقي — وطالما اشتهر بالمجاملة — قد ألمح إلى المعاني الفارغة في الشطر الثاني من البيت الثاني .

(الكشكول) فى يوم الجمعة ٥ يونية سنة ١٩٢٥

غن يا عبد الوهاب

" أقام صاحب السعادة أمير الشعراء أحمد شوقى بك مساء الاثنين الماضى حفلة أنس عقد فيها قران نجله النبيل على شوقى بك بصاحبة الصون كريمة المرحوم يحيى بك علمى . وكانت الحفلة قصيدة من قصائد شوقى بمن اجتمع فيها من الأدباء ، وغنى فيها الشاب النابغة محمد افندى عبد الوهاب على تخت شيخ المطربين محمد افندى العقاد ، . ومن آيات هذه الحفلة أن محمد عبد الوهاب المبدع المطرب عضو نادى الموسيقى الشرقى قيلت فيه كلمة تسمعها من فم القائل كأنك تسمع الناى يصدح به أمين بزرى . وتراه يكتبها وكأنه العقاد يمر باصابعه على قانونه فى أبدع ألحانه بقلم كابرة فونوغراف على ورقة كأسطوانة لعبده الحمولى ، يخط عليها بمداد هو الخمر . فهى كلمة طرب قالها مطرب الأدب فى مطرب الغناء . قال أضاف الله أعمارنا إلى عمره "[1] .

* * *

غرد عبد الوهاب ! غرد يا كنارى النادى . واصدح ياهزار الوادى . واحدُ الركاب وهزها ياحادى .

أهذا يا بلبل النادى تغريد ، أم هذا وسواس[2] الحلى على الخرد الغيد . وجرجرة[3] الوشى من الهيف الرعاديد[4] . أم هذا همس الجداول فى سمع الأماليد[5] .

غن من الكبد آلاماً ، ومن القلب أحياناً . وقل عاطفة ووجداناً .

غن نر العشاق كيف يبكون ، وحملة الأشواق مم يشكون . ونر المغنين كيف يمثلون ويحكون . آمنت ببيان الحناجر وباللهى[6] الساحر ، والعصب الشاعر . وشهدت أن وترا

---

(١) مقدمة طويلة لكلمة شوقى فى المغنى عبد الوهاب . ولا شك أن هذه الكلمة جيدة من الناحية الأدبية . أما من ناحية الموضوع فمسألة فيها نظر وكل ما نستطيع أن نقوله أن علاقة شوقى بعبد الوهاب لم ترتفع إلى مستوى علاقته بكبار المطربين أمثال عبده الحمولى ومحمد عثمان وسلامة حجازى وعبد الحى الذين كانت بينه و بينهم واشجة العبقرية .

(٢) وسواس الحلى والقصب : صوت . (٣) جرجر الشراب فى حلق شاربه : صوت . والوشى نوع من الثياب الموشية تسمية بالمصدر . (٤) الرعاديد جمع رعديد وهى الجارية الناعمة . (٥) امرأة أملود وأملودة أى ناعمة والأصل فى الأغصان . (٦) فى الأصل (واللهم) . وقد أكد لنا أديب أنه سمعها (وباللهم) فلعل شاعرنا فى ذلك إلى أن اللهاة (بفتح اللام) كما جاء فى معاجم اللغة هى اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . ولكننا مع ذلك لانستسيغها ونفضل عليها كلمة (اللحن) خصوصا وأن شاعرنا ذكر بعد ذلك العصب واللهاة . مما يجعله فى غنى عن ذكر الفم . . .

خلقه الله . يشد به اللسان إلى اللهاة . لايصنع الناس له مثيلا . و إن ألفيتهم صنعوا جليلا .
وسعوا صنعهم فنا جميلا .

وقد وهب الله لك عبد الوهاب [illegible] . وخلق لها ألين الأوتار ، وخلق منها أرخم الأصوات . وولاك على الصوت تنشره وتطويه . وتميته ثم تحييه . وتقلبه وتنظر فيه ، كأنما صوتك فى يدك . وكل مغن صوته فى فيه .

حفظ الله ناديا أووا الطائر صدقه ، ورباك بين أيكه وغرفه . وبللك بجلال الفن وشرفه . (١)

شـــوقى

---

(١) يقصد ما يحمله [illegible] معروف مدح الملك قواه وليست لها قيمة أدبية .

تفضل الشاعر الأديب السورى أنور العطار فدلنا إلى القطعتين الآتيتين :

(١)

دفتر الغزل

لأمين نخلة — تصدير لأمير الشعراء

كأن شعر أمين ... من نفح بان ورند
أو من عناق التصابى ... وقرع خدة بخد
أو من حديث ابن هانى ... يعيد فيه ويبدى
أو من حنين الهوادى ... إلى العرار ونجد

" فى سنة ١٩٢٥ "

(٢)

تقريظ كتاب (حديقة الإنشاء)

للأستاذين الأديبين على الجندى وحسن علوان

مازلت أنزل بالحدائق والربى ... حتى نزلت حديقة الإنشاء
فسلوت بالفردوس كل أنيقة ... أُنُف وكلّ بجوده غناء
العلم فى ظل البيان حيالها ... مثل الأزاهر فى ظلال الماء
بوركتما من صاحبين تعاونا ... إن التعاون أس كل بناء
لولا التعاون فى الحضارة لم تطر ... بِعنان أرض أو جناح سماء
ما أنتما للنشء إلا صورة ... من ألفة وتعاون وإخاء
وخلائق الكتاب يظهر حسنها ... ولربما انتقلت إلى القراء

" فى سنة ١٩٢٩ "

(أهرام) ١٣ [illegible] ١٩٢٦

تأبين عبد اللطيف الصوفاني

شأنك والدمع والبكاء   لا تدخرى الشؤون ماء

لا تذكر الصبر في مصاب   تجاوز الصبر والعزاء

لا خير في الصبر والتأسى   إذا هما عارضا الوفاء

أبك الأخلاء في ديار   من أنسهم أصبحت خلاء

من حق إخوانك القدامى   أن تسق العهد والإخاء

إن البكى فاسترح إليه   يصرف للراحة العناء

من خلق الحزن كان أحرى   بأن يخلق الدمع والبكاء[(١)]

تبارك الله من طبيب   قد خلق الداء والدواء

رب خليل بكيت أربعه   يلحقه بالبكى قضاء

ولو يرد القضية دمع   طاولت أدمعى القضاء

ومثل عبد اللطيف يبكى   ويتبع الذكر والثناء

فتى كلدن القنا اهتزازا   ومرهفات الظُّبى مضاء

صوره الله [illegible]   وصاغ أجزاءه حياء

وزاده ما حبا أباه   متانة الدين والإباء

وأضلعا لا تقاس طهرا   بها الغوادى ولا نقاء

ما كان قسا ولا زيادا   ولا بسحر البيان جاء

لكن إذا قام قال صدقا   وجانب الزور والرياء

سبحان من قاته غدوا   وكف عن قوته عشاء

ومن أتانا بالشمس صبحا   ومن تولى بها مساء

يا لك دنيا لذت نعيما   للقوم واستعذبت بلاء

إذا انتهينا منها تساوى   ماسر من حالها وساء

الطفل يحبو إليك حبا   والشيخ يمشى لك انحناء

---

(١) قال ابن الرومى :

لم يخلق الدمع لامرئ عبثا   الله أدرى بلوعة الحزن

إليك عبد اللطيف دمعا ... ألفت منثوره رثاء
قوافيا كنت تنشيها ... واليوم تبدى لها جفاء
كم قمت من موقف لمصر ... وكنت من دونها وقاء
ونبت عنها فى مجلسيها ... نيابة كانت الفناء
ألست من فتية شهام ... ستوا المحاماة والرماء (1)
فتابهم بالشباب يحيى ... ما أعظم الذبح والفداء (2)
ومات أبطالهم جياعا ... فى غير أوطانهم ظماء
ولو أرادوا متاع دنيا ... لأدركوا الحكم والثراء (3)

* * *

قضية الحق منذ قامت ... لم تسأل أركانها بناء
تحذو على مصطفى وتبنى ... جيلا من الحق أقوياء
شرعتمو للشباب دينا ... كدينهم بينا سواء
لما أتيتم به جعلتم ... رأس تعاليمه الجلاء
جمعتم مصر ثم سرتم ... فكنتم الجمع واللواء
وما عرفتم لغير مصر ... وغير أحبابها ولاء
لم تمسحوا للعميد رأسا ... ولا تقضتم له حذاء
وعابث بالرفات يحيى ... حوادث الأمس كيف شاء
يقول كنتم للترك حزبا ... وعاهل الترك أولياء
ويشهد الله ما أتيتم ... إلا هدى الرأى والدهاء
دار يتمو فى سبيل مصر ... سيادة أصبحت هباء
سيروا الى الله فهو أولى ... بكم وأوفى لكم جزاء
لا غبن بالحق إن ذهبتم ... فإن للفكرة البقاء

---

(1) كان نص الشطر الأول من هذا البيت (ألست من فئة سهام) ولا شك أنه محرف. حامى عنه محاماة وحماء: منع عنه، وراماه مراماة ورماء: رمى أحدهما الآخر وفى المثل «قبل الرماء تملأ الكنائن» ورامى الخصم دافعه. ورامى الخصم عن قومه ناضل. والشهام جمع شهم.

(2) و (3) الحزب الوطنى كان حزب مصطفى كامل، حزب المبادئ السامية وفى مقدمتها الجلاء، حزب التضحية، وقد ظمىء وجاع من أبطاله فى أوروبا محمد فريد، وفى مصر أمين الرافعى الذى عرضت عليه فى أيام المرحوم ثروت باشا أكبر الوظائف الحكومية فأبى واستمر فى كفاحه العنيف وهو يعانى من قسوة الحياة المادية ألوانا. ولقد ثبت فى النهاية أن مبادئ الحزب الوطنى كانت أسلم المبادئ وأكثرها اعتدالا لا تطرفا.

عصماء أمير الشعراء

« منذ أقصى الأتراك الخليفة من الآستانة وأقروا فى أنقرة جمهورية زمنية فكر المسلمون فى مسألة الخلافة والخليفة تفكيرا جديا، ولمسائل كثيرة تقتضى [illegible] دقيقة لوقوع كثير من الدول الإسلامية تحت نفوذ دول غير إسلامية واستقلال كل بشئونها استقلالا يحول دون تمكن الخليفة من أن يكون [illegible] كانت الخلافة تحتاج جدا كل ما تحتاج إلى قوة مسلحة للذود عن حياض المسلمين، ولأن كلا من الدول الإسلامية تفكر كثيرا قبل أن تقبل إقرار الخلافة فيها. وقد أحاط أمير الشعراء شوقى بك بهذه الشئون فى القصيدة العصماء التى ننشرها اليوم إحاطة دقيقة وأبدى فيها من صائب الآراء ما يحسن بكل مسلم أن يعنى بالوقوف عليه أتم عناية »

بعثوا الخلافة سيرة فى النادى	أين المبايع بالإمام ينادى
من بات يحلم بالخلافة فى الكرى	لم يلق غير خلافة الصياد (١)
ومن ابتغاها صاحيا فسبيلها	بيض القواضب والقنا المياد (٢)
أو فى جناحى عبقرى مارد	يفرى السماء بجنة مراد (٣)
اليوم لا سمر الرماح بعدة	تغنى، ولا بيض الظبا بعتاد (٤)
هيهات، عز سبيلها وتقطعت	دون المراد (٥) وسائل المرتاد
حلت على ذهب المعز طلاسم	وعفت على سيف المعز عوادى
أين الكرامة والوقار لخطبة	نبشوا عليها القبر بعد فساد
وليت أقرب سلوة من غائب	يرجى فلا يزداد غير بعاد
قل: فيم يأتمر الرجال؟ وما الذى	يبغون من دول لحقن بعاد
ما لم يصد منها على يد أهله	أخنى عليه تطاول الآباد
لم تنتظم للقوم خلف عواصم	هل تستقيم بهم بغير عماد

---

(١) يشير إلى قصة خليفة الصياد فى كتاب ألف ليلة وليلة. (٢) القواضب السيوف.

(٣) مراد جمع مارد، ويفرى السماء يشقها، يشير فى البيت كله إلى سلاح الطيران.

(٤) الظبا جمع ظبة حد السيف. (٥) المراد (بفتح الميم) المكان الذى يذهب فيه ويجاء.

غلبوا عليها الراشـدين وضرجوا ‏ أم الكتاب بجبهـة السـجاد [١]
وبنوا على الدنيا (بجلق) ركنها ‏ وعلى عتـو الملك فى بغـداد [٢]
جعلوا الهوى سلطانها ودعوا لها ‏ من لا يسد به مكان الهادى [٣]

* * *

وأنا الذى مرضتها فى دائها ‏ وجمعت فيه عواطف العُـواد
غنيتها لحنـا تغلغل فى البـكا ‏ يارب باك فى ظواهر شادى
ونصرتها نصر المجاهد فى ذرا ‏ (عبد الحميد) وفى جناح (رشاد) [٤]
ودفنتها ودفنت خير قصائدى ‏ معهـا وطال بقبرها إنشادى
حتى اتُّهمت فقيل تركىّ الهوى ‏ صدقوا هوى الأبطال ملء فؤادى
وأخو القريب وإن شقيت بظلمه ‏ أدنى إلىّ من الغريب العادى
والله يعـلم ما انفردت وإنما ‏ صورت شعرى من شعور الوادى
كنا نعظم للهـلال بقيـة ‏ فى الأرض من تُكن ومن أجناد
وسنّ رضـوان الخليفة خطة ‏ ولكل جيـل خطة ومبادى
وبه القضـية غيرته حوادث ‏ أعطت بأيد غير ذات أيادى
من سيد الأمس نتـكر قوله ‏ صرنا لفعّـال من الأسـياد [٥]
إنى هتفت بكل يوم بسالة ‏ للـترك لم يؤثر من الآسـاد
فهززت نشئًا لا يحرك للعـلا ‏ إلا بذكر وقائـع الأنجاد [٦]
عصف المعلم فى الصبا بذكائهم ‏ وأصار نار شـبابهم لرماد
ولو أن يوم (التل) يوم صالح ‏ لحماسـة لجعلتـه (إليـادى) [٧]
فى يوم (ملونا) ويوم (سقاريا) ‏ ما ليس فى الأذكار والأوراد [٨]

* * *

وفـد الخـلافة لا أبهـكم على ‏ بـلد حـفى بالـنزيل جـواد
تنسـون فى واديه لوئُسى الحمى ‏ ماقد هجـرتم من هوى ووداد

---

(١) السجاد عثمان بن عفان . (٢) جلق دمشق . (٣) الهادى النبي صلى الله عليه وسلم .
(٤) الذرا الملجأ . (٥) سيد الأمس سيادة الأتراك وكانت ضعيفة واهية . (٦) الأنجاد الشجعان .
(٧) يوم (التـل) يعنى التل الكبير والعجيب أن شوقى لم يذكر إلا هذا اليوم من أيام مصر ، مع أن للصريين أياما أخر فى قونية ونصيبين حيث هزموا الأتراك وهددوا الآستانة وفى رشيد حيث طردوا الإنجليز ومثلوا بهم وألقوهم فى البحر . و (الألياد) إشارة إلى إلياذة هوميروس التى ترجمها البستانى وهى مملوءة بقصص البطولة اليونانية .
(٨) إشارة إلى أن عرابى كان مشغولا بالذكر ليلة موقعة التل .

إن الخلافة يحنا قبلة رفعت   فكأن صورتها من الميلاد

جرح الليالى فى ذمام الشرق فى   حبل العقيدة فى ولاء الضاد

لولا الأمور لسارت القرى   وجرى بحاوز غاية الأرفاد (١)

ماق بلاد أنتم زلازها   إلا قضية أمة وبلاد

أتحاولون بلا جهاد خطة   لم يستطعها الترك بعد جهاد

نقضوا القنا المتصور من تيجانها   والظافرات الحمر فى الأغماد

كانت هى الداء الدخيل فأدبرت   فتماثلوا من كل داء بادى

نزعوا من الأعناق نير جبابر   جعلوا الخلافة دولة استعباد

من كل فضفاض الغرور ببرده   (نمرود) أو فرعون ذو الأوتاد

تروى بطانته ويشبع بطنه   والملك غرثان الرعية صادى

مضت الخلافة والإمام فهل مضى   ما كان بين الله والعباد

والله ما ذى الشهادة بالخبر   فى المسلمين ولا تردد بادى

خرجوا إلى الصلوات كل جماعة   تدعو لصاحبها على الأعواد (٢)

والصوم باق والصلاة مقيمة   والحج ينشط فى عناق الحادى (٣)

والفطر والأضحى كعادتيهما   يترديان بشاشة الأعياد

إن الحضارة فى اطراد جديدها   خصم القديم وحرب كل تلاد (٤)

لا تحفظ الأشياء غير ذخائر   للعبقرية غير ذات نفاد

هى حسن كل زمان قوم رائح   وجمال كل زمان قوم غادى

تمشى القرون بنور كل مكرر   منها كمصباح السماء معاد

كم من محاسن لا يرث عتيقها   فى الهجرة اجتمعت وفى الميلاد

أخذت أحاسنها الحضارة واقتنت   روح البيان وكل قول سداد

لم تحرم البؤس العزاء ولا الألى   ضلوا الرجاء من الشعاع الهادى (٥)

القيد أفسح من عقول عصابة   زعموا فكاك العقل فى الإلحاد

سنن الزمان إذا جرت فى وجهها   ظفرت بكل بلادة وعناد

فاشفوا الممالك من قضاة صيد   قعدوا لصيد ولاية أو زاد

---

(١) القرى : الضيافة . الأرفاد : العطاء .   (٢) الأعواد : المنابر .   (٣) عانقت الإبل صارت العنق (بالفتح) .   (٤) التلاد القديم .   (٥) البوس والبؤس جمع بائس .

وتداركوها من عمائم صادفت ... مرعى من الأوقاف والأرصاد
وخذوا سبيل المصلحين وأقبلوا ... ووح الزمان هوامد الأجساد (١)
رقوا إلى الإيمان أجمع مِلّة ... وإلى مراشده أضل سواد (٢)
أم كلموم القطيع ترى لهم ... شمل الجميع وفرقة الآحاد
يُدعون أبناء الزمان وإنما ... جمدوا وليس أبوهمو بجماد

* * *

(الأهرام) في ٦ نوفبر سنة ١٩٢٦ :

تأبين أحمد لطفي وكيل الحزب الوطني ونقيب المحامين سابقاً

في الأوبرا في مساء ٥ نوفمبر

هو مأتم الأخلاق قاتل رثاءها ... وتولى أسرتها وولى عزاءها
لا تنهين الثاكلات عن البكا ... فلعل في ذرف الدموع شفاءها
خل الشئون تفض غرب قصيدة ... لم تغن في الرزء الجليل غناءها
ولمثل نار الثكل وهي شديدة ... خلق الرحيم لنا الشئون وماءها
أوحى إلى الحزن اللجوج شبوبها ... وإلى الدموع سوا كبا إطفاءها

* * *

نَاعٍ من الاسكندرية هاتف ... راع الكنانة أرضها وسماءها
سُدّت مسامعها لأول وهلة ... دون الرزية تتقي أنباءها
هيهات تلك رسالة محتومة ... حملت عن الموت الحياة أداءها
في عالم شد الرحال نزيله ... وخيال دنيا ذاهب من جاءها

* * *

إن المروءة غودرت في حفرة ... كالليل نور الصالحات أضاءها
ذهبت على أثر الفقيد شهيدة ... إن كنت في ريب فسل شهداءها
الرافعين إلى السماء سريرها ... والساحبين على النجوم رداءها
والحاملين على الرقاب جلالها ... والمنزلين إلى التراب سناءها
حطوا على الأرض السرير وغيبوا ... قمر السماء ووسدوا جوزاءها

---

(١) أقبل فلاناً الشيء جعله يلي قبالته أي دعوا هوامد الأجساد تلق روح الزمان . (٢) علية القوم : جلتهم . (٣) قال شوقي تضمن هذا المعنى في بيت من قصيدة سابقة (وليس يضمهم في الجهل شمل) وهو حكمة رائعة .

* * *

أتوسد الصحراء ثم أبد الكرى   وأنس الحياة أو اذكر صحراءها

ما كان أفتن في الشروق صباحها   وألذ في ظل الغروب مساءها (١)

أتراك كالماضين تبكي ظلها   تحت التراب وتشتهي رمضاءها (٢)

وتود لو ردت عليك سرابها   وهجيرها وزئيرها وعواءها

إن التي جاوبت [illegible] من   لسموم الحياة أديمها وفضاءها

[illegible]   حسد النفوس وحقدها ورياءها

* * *

يا أحمد الخيرات ما أنا بالغ   تلك الخلال وإن لمست رثاءها (٣)

لم لا أبكيك الشباب منارة   وسبيل خير يسلكون سواءها

إني لأرثي كل خل ماجد   وأطيل ذكر خلاله وبكاءها

وأحب ذكراه وأكره أن أرى   بيد السلو دثورها وعفاءها

[illegible]   ونظمت أبيات الخلود وعاءها

في كل مشهود رأيت [illegible]   تهدي المكارم والعلا قراءها

ودع صديقك إن ملكت وداعه   واقض الحقوق إن استطعت قضاءها

ورع الصداقة لا تمل عهودها   بعد الصديق ولا تضع أشياءها

وإذا وداد أخيك مات بموته   فاندب وفاء النفس وابك إخاءها

* * *

رفقا أبا عُمر بأنفس صبية   قطعت عوادي اليتم منك رجاءها

ناموك فامتنع الجواب وطالما   لبيت من أقصى البلاد نداءها

ثنا أشد على قوائمك في الهوى   وأعز من نفس لفظت ذماءها (٤)

---

(١) هذا البيت والبيتان التاليان من أروع ما نظم شوقي في جمال الحياة والتعلق بها على الرغم مما تزخر به من [illegible] وأحزان . (٢) الظل من القيظ شدته . والظل من النهار لونه إذا غلبته الشمس . الرمضاء : شدة الحر . والرمضاء : الأرض الحارة الحامية من شدة حر الشمس قال الشاعر :

المستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

تلميح إلى قصة كليب حين طعنه عمرو الملقب بجساس وألقاه على الأرض فقال كليب يا عمرو أغثني بشربة ماء فأجهز عليه فقيل البيت وسار مثلا يضرب لمن يستنجد بمن يزيده المستجير بلية على بليته .

(٣) يريد [illegible] في قوله (وإن لمست رثاءها) . ولعل هناك تحريفا من الناشر الذي وضع (رثاءها) بدلا من ([illegible]) . الرثاء بالكسر [illegible] وبذلك يتمشى الشطر الأول (يا أحمد الخيرات ...) .

(٤) الثنا : جمع ناشئ . والذماء : بقية النفس وفي المثل « أطول ذماء من الضب » لأنه إذا قتل يبطئ كثيرا تمام موته . ويقال « تجابذ مائه وما بقي إلا ذماء يتردد في خياله » .

مالوا على نعمى الحياة وطيبها ... حتى ذهبت فصابروا ضراءها

كم لام فيهم لائم فدفعته ... والنفس تتبع شحها وسخاءها

انظر وراءك هل تركت من الغنى ... إلا المروءة ذكرها وثناءها

لك ذمة لم ينصر الحق امرؤ ... ألا تمنى برها ووفاءها

علمت مكانك حرفة أنهضتها ... وجررت فوق الفرقدين قباءها

أنتم بنوها الأولون حذوتمو ... فى حلمهم وعفافهم آباءها

ملئت بكم خُلُقًا وكانت لا ترى ... خلق الرجال ولا تحس إباءها

يا رب يوم للمحاماة احتمت ... فيك الحقوق به فكنت وفاءها

ناصرت فيه من تلفّت لم يجد ... من حوله الدنيا ولا أُجراءها

وأخذت من عدل القضاء لفتية ... ذاقوا السجون عذابها وبلاءها

نفس الكريم ترى العدالة حزبها ... وترى المضيمة والأذى أعداءها[1]

وإذا رأيت النفس بالحق اعتلت ... فاعرف لها إقدامها وحياءها

فى ذمة الوطن الكريم عصابة ... لم ينس فى جد الجهاد بلاءها

حملت تكاليف الحقوق وأنهضت ... شعب الرجال ليحملوا أعباءها[2]

كانت إذا دعت الديار لخطة ... لم تحص عليتها ولا دهماءها

هى من قنا الحق المبين طليعة ... عرفت جموع الظالمين مضاءها

خير الطلائع سيرت فى نورها ... خير الكتائب جندها ولواءها

أسستموا وبنى رجال بعدكم ... خططا يتم آخرون بناءها

دول متقلة وحق ثابت ... دول السياسة ما أقل بقاءها

تمضى دعاة بالقضية نُهّض ... وأتى دعاة يحملون عناءها

بلغوا إلى الدستور فى خطواتهم ... تحدوه مصر لأن فيه دماءها

هم تؤدى مصر واجب شكرها ... للعاملين ولا تضيع جزاءها

وإذا البلاد تذكرت خدامها ... لم تنس موتاها ولا أحياءها

إن الشعوب كيانها حرية ... تحيا عليها أو تموت فداءها

---

(١) هضم فلانا : ظلمه وغصبه والاسم المضيمة .

(٢) الشعبة : الفرقة .

(الأهرام) و(السياسة) فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٢٦

آية شوق فى ذكرى الجهاد الوطنى

خطونا فى الجهاد خطى فساحا   وهادنّا ولم نلق السلاحا

رضينا فى هوى الوطن المفدّى   دم الشهداء والمال المطاحا

ولما سلّت البيض المواضى   تقلدنا لها الحق الصراحا

فحطمنا الشكيم سوى بقايا   إذا عضت أريناها الجماحا (١)

وقمنا فى شراع الحق نلقى   وندفع عن جوانبه الرياحا

نعالج شدة ونروض أخرى   ونسعى السعى مشروعا مباحا

[illegible]   [illegible] النجم والقمر اللّياحا (٢)

قضيناها حيال الحرب نخشى   بقاء الرق أو نرجو السراحا

تركن الناس بالوادى قعودا   من الإعياء كالإبل الرزاحى (٣)

[illegible] السلم لا ظفر [illegible]   بما صبروا ولا موت أراحا

فلا تلق سوى حى كميت   ومنزوف وإن لم يسق راحا (٤)

ترى أسرى وما شهدوا قتالا   ولا اعتقلوا الأسنة والصفاحا (٥)

وجرحى السوط لا جرحى المواضى   بما عمل الجواسيس اجتراحا

* * *

صباحك كان إقبالا وسعدا   فيا يوم الرسالة عِمْ صباحا

وما نألو نهارك ذكريات   ولا برهان غرتك التماحا

تكاد حلاك فى صفحات مصر   بها التاريخ يفتتح افتتاحا

جلالك عن سنى الأضحى تجلى   ونورك عن هلال الفطر لاحا

هما حق وأنت ملأت حقا   ومثلت الضحية والسماحا

بعثنا فيك هارونا وموسى   إلى فرعون فابتدآ الكفاحا

وكان أعز من روما سيوفا   وأطغى من قياصرها رماحا

يكاد من الفتوح وما سقته   يخال وراء هيكله فتاحا

---

(١) جمع شكيمة: حديدة اللجام. (٢) [illegible] (٣) رزحت الناقة: ألقت نفسها إعياء أو هزالا. وإبل رزاحى: مهزولة ساقطة. (٤) من قولهم نزف الرجل (مبنى للمجهول) أى سكر. (٥) تقلدوا الرماح والسيوف.

ورُدّ المرسلون فقيل خابوا فيالك خيبة عادت نجاحا[1]
أثارت واديا من غابتيه ولأمت فرقة وأست جراحا
وشدّت من قوى قوم مراض عزائمهم فردّتها صحاحا
كأن بلال نودى : قم فأذّن ! فرجّ شعاب مكة والبطاحا
كأن الناس فى دين جديد على جنباته استبقوا الصلاحا
وقد هانت حياتهم عليهم وكانوا بالحياة هم الشحاحا
فتسمع فى مآتمهم غناء وتسمع فى ولائمهم نواحا

* * *

حواريين أوفدنا ثقاةً إذا ترك البلاغ لهم فصاحا[2]
فكانوا الحق منقبضا حيِيّا تحدى السيف منصلتا وقاحا
لهم منا براءة أهل بدر فلا إثما تُعد ولا جُناحا
نرى الشحناء بينهم عتابا ونحسب جدهم فيها مزاحا
جعلنا الخلد منزلهم وزدنا على الخلد الثناء والامتداحا
يمينا بالتى يسعى إليها غدوًّا بالندامة أو رواحا
وتعبق فى أنوف الحج ركنا وتحت جباههم رحْبا وساحا
وبالدستور وهو لنا حياة نرى فيه السلامة والفلاحا
أخذناه على المهج الغوالى ولم نأخذه نيلا مستماحا
بنينا فيه من دمع رُواقا ومن دم كل نابتة جناحا
وما ملأ الشباب كروح سعد ولا جعل الحياة لهم طماحا
سلوا عنه القضية هل حماها وكان حمى القضية مستباحا
وهل نظم الكهول الصيد صفا وألف من تجاربهم رداحا[3]
هو الشيخ الفتىّ لو استراحت من الدأب الكواكب ما استراحا
وليس بذائق النوم اغتباقا إذا دار الرقاد ولا اصطباحا
فيالك ضيغما سهر الليالى وناضل دون غايته ولاحى
ولا حطمت لك الأيام نابا ولا غضّت لك الدنيا صباحا

---

(١) إشارة إلى الوفد المؤلف من سعد زغلول ومحمد شعراوى وعبد العزيز فهمى الذين ذهبوا فى يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ وطالبوا ممثل بريطانيا ونجت باشا بالعمل على تغيير الوضع الراهن ومنح مصر الاستقلال التام . وقد اعتذر ونجت عن قبول مطالبهم حتى تصله تعليمات من حكومته .

(٢) إشارة إلى الوفد المصرى الذى ذهب بعد ذلك إلى باريس برياسة سعد زغلول لعرض القضية .

(٣) الرداح : الكتيبة الثقيلة الجرارة .

تأبين المرحوم عبده نور بك

سكرتير بنك مصر ووكيل نادى مدرسة التجارة العليا

الله أعلم والقبور ... النفس تخلد أم تبور
سر مضى الموتى به ... ومضت على الموتى الدهور
لم ينكشف عنه الحجا ... ب ولم تزح عنه الستور
هيهات [illegible] العقل ... [illegible] ريب القيام ولا الدثور
من كان يحيي أو يميت ... فليس يعجزه النشور

* * *

والله لولا عالم ... جعلته قبلتها الصدور
يحنى الفؤاد له الهوى ... ويخاف قاضيه الضمير
وإليه يفزع من أسى ... يطغى ومن ثكل يثور
ومن البلية ما تجن ... على البنين وما تجور
لقضى الحزين بحزنه ... ولمات بالكيف(1) الفقير

* * *

يبكى الشباب على فتى ... ملء الشباب، هو الأمير
يبكى شمائل كالسلا ... فة راضها العذب النمير
يبكى خلال البر في الأكفا ... ن سار بها السرير(2)
يبكى المروءة في الثرى ... ذهبت وغيبها الحفير
يبكى فتى ماء الحيا ... ء على أسرته غزير
فإذا استثير فضيغم ... دون الحقوق له زئير

* * *

يا نور هل في الأرض تطـ ... ـلع الأهلة والبدور
فتبيت وجهك في الثرى ... من ظلمة الأرماس نور
هجمت عليك منية ... هوجاء فاتكة جسور

---

(1) كلمة بالكيف هنا لا معنى لها ولعلها بالقفر .   (2) السرير النعش قبل أن يحمل عليه الميت .

ما آذنتــك ولا مشى ... فى عارضيك بها النذير
خفت عليــك زيارة ... والموت أثقل من يزور
مــوت كما أخذ الكرى ... لا نزع فيـه ولا حضور
منع التلفت فى الحيا ... ة وفاتك النظــر الأخير
مما يعــد لصيده ... قــدَر على المرمى قدير
المصميات من القوا ... صد فى كنانته كثير

* * *

يا نور كأس الموت من ... نفس إلى نفس تــدور
يُسق بهـا الشيخ الكبـ ... ـير ويشرب الطفل الصغير
لا السن عاليـة عصمـ ... ـت منها ولا العمر القصير
كالريح تقصف بالغصو ... ن بها وتقتلع الجــذور
إن التى تبكيك تعـ ... ـرفها المصاحف والخدور
مالى ثيـاب حدادها ... إلا مصــلّية صبور
طهر يزان به الحجـا ... ب ولا يشان به السفور
إن الإناث إذا صلحـ ... ـن بأمة صلح الذكور
لا يفتننك عهــدَها ... عين من الفردوس حور
فأديبهـا كأديبـ ... ـهن كلاهما النزه الطهور

* * *

يا نور حسبك بلغت ما ... بلغت من العمــر النسور
تُطــوى لك الأيام فى ... مهَل وينشرها السرور
هل كنت إلا كالذى ... بالأمس صرت له تصير
أحلام عيش لا يــدو ... م طويلهن ولا القصير

إن هذا الشعر في الشعر ملك

" هذه هي المعجزة البيانية التي أبدعها رب البيان ملكة أمير الشعراء ، ورافع الضاد إلى الجوزاء ، أحمد شوقي [illegible] الاحتفال الحسيني بدار العلوم في ملعب [illegible] في بيت من أبياتها عيان من فتات السحر ، وفي كل قطعة منها جوهر من أعلاق الجمال يختال على الدهر . وكان ملقيها ينشاد المرة بعد المرة في البيت بعد البيت فيزداد الشعر على الإعادة جدة ورونقا " .

هذا ما [illegible] من آيات أحمد . وقد تجلت فيها عبقرية الشاعر [illegible] ضرب على هذين الوترين [illegible] القصيرة . ولا أظن شاعرا [illegible]

[illegible] على الزمن [illegible] ... [illegible] سهلا وحزنا

من [illegible] تمرق [illegible] ... في [illegible] أو تقسم ذهنا

ولا أظن شاعرا وصف المصريين [illegible] تقليد الغربيين والجري وراءهم دون [illegible] بهم والاكتفاء من المدنية بصلفها وقشرها الزاهي بمثل ما وصفهم شوقي في قوله :

[illegible] الحضارة [illegible] ... [illegible] السماء ريحا ومزنا

وعصابة كالبنيان فلا [illegible] ... [illegible] ولا ركابا زمنا

ثم قوله بعد ذلك ، وهي صيحة [illegible] في أذن الوادي الحالم .

[illegible] ... [illegible] الدهر دينا

كم [illegible] بلحد ميت وكم ... [illegible] هادم ، ولم يبن ، منا

قد أتى [illegible] (نحن) بلا [illegible] ... [illegible] أبناؤنا يقولون كنا

[illegible] الشرق (لامرتين) عند زيارته لإيطاليا ، بلاد أرى فيها الا تراب أموات ، فكانت لصيحته ضجة بين الطليان الذين كانوا يفاخرون بعظمتهم وكانت نهضتهم الحديثة لا تزال في بدايتها .

وما أروع قول شوقى فى مبناه ومعناه « وكم نحمل من هادم » فإن حب الهدم تغلغل فى نفوسنا وأصبح من خصائص عبقريتنا وعلة من أكبر عللنا الاجتماعية . لذلك ما فتئ شوقى يكشف الداء ويصف الدواء بأفصح لسان وأعذب بيان :

أخذتِ السماء يا دار ركنا ... وأويت الكواكب الزهر سُكنى
وجمعت السعادتين فبانت ... فيك دنيا الصلاح للدين خِدنا
دَائما الدهر فى ذَراك وفضا ... من سلاف الوداد دَنا فدنا
وإذا الخُلق كان عقد وداد ... لم ينل منه من وشى وتجنى
وأرى العلم كالعبادة فى أبـ ... ـعد غاياته إلى الله أدنى
واسع الناح يرسل الفكر فيها ... كل من شك ساعة أو تظنى
هل سألنا أبا العلاء وإن قـ ... ـلب عينا فى عالم الكون وسنى
كيف يهذى بخالق الطير من لم ... يعلم الطير هل بكى أو تغنى
أنت كالشمس رفرفا والسماكـ ... ـين رواقا وكالمجرة صحنا
لو تسترت كنت كالقبة الغرا ... ء ذيلا من الجلال وردنا
إن تكن للثواب والبر دارا ... كيف إن تمت التلاوة قرنا
لا تمدى السنين إن ذكر العـ ... ـلم فما تعلمين للعلم سنا
سوف تفنى فى ساحتيك الليالى ... وهو باق على المدى ليس يفنى
يا عكاظا حوى الشباب فصاحا ... قرشيين فى الجامع لسنا
بثهم فى كنانة الله نورا ... من ظلام على البصائر أخنى
علّموا بالبيان لا غرباء ... فيه يوما ولا أعاجم لُكنا
فتية محسنون لم يخلقوا العـ ... ـلم رجاء ، ولا المعلم ظنا
صدعوا ظلمة على الريف حلت ... وأضاءوا الصعيد سهلا وحزنا
من قضى منهم تفرق فكرا ... فى بنى النشء أو تقسم ذهنا
ناد دار العلوم إن شئت (يا ما ... مش) أوشئت نادها (يا سُكَينا)
قل لها يا ابنة (المبارك) إيه ... قد جرت كاسمه أمورك يمنا
هو فى المهرجان حى شهيد ... يجتلى غرس فضله كيف أجنى
وهو فى العرس إن تحجب أو لم ... يحتجب . والد العروس المهنا
ما جرى ذكره بناديك حتى ... وقف الدمع فى الشؤون فأثنى

وب [illegible] ملئت [illegible] سرورا ... ذكر [illegible] فاهتجت حزنا

أدرى ؟ إذ بناك أن كان يبنى ... فوق أنف العدو للضاد حصنا

حائط الملك بالمدارس إن شئـ ... ـت وإن شئت بالمعاقل يبنى

أنظر الناس هل ترى لحياة ... عطلت من نباهة الذكر معنى

لا الغنى في [illegible] ... [illegible] وسلطانه ، ولا الجاه أغنى

[illegible] ... [illegible] إن أقام أو سار وزنا

عاش لم [illegible] بعين [illegible] ... [illegible] لم تهب لناعيه أذنا

نظم الله ملكه [illegible] ... عبقريين أورثوا الملك حسنا

[illegible] من المحدود [illegible] ... إنما يحمد العظيم ويثنى

من ذكى الفؤاد [illegible] ... أو بديع الخيال يخلق فنا

[illegible] كم قديم [illegible] ... لم يقل له الجديدان شأنا

[illegible] ... [illegible] الزمان قرنا فقرنا

[illegible] بالمخترعين [illegible] ... [illegible] بالذخائر يعنى

يا شبابا سقوني الود عذبا ... وسقوا شانئي على الغل أجنا

كلما سار الكهولة [illegible] ... [illegible] فعاد أمرد لدنا

أسرة الشاعر الرواة وربما [illegible] ... [illegible] والمرء بالقريب معنى

هم يضفون في الحياة بما قا ... ل ويلقون في الحياة أضنا

وإذا ما انقضى وأعلوه لم يعـ ... ـدم شقيقا من الرواة أو ابنا

[illegible] النبوغ حتى [illegible] ... [illegible] العلم كالهلال وأسنى

نحن في صورة الممالك ما لم ... [illegible] العلم والمعلم منا

لا [illegible] الحصون و السفن [illegible] ... [illegible] لكم حصوننا وسفننا

[illegible] الحضارة [illegible] ... من دمشق السماء ريحا ومزنا

واصبحناه كالنهار فلا رحـ ... ـلا شددنا ولا ركابا زممنا

دان آباؤنا الزمان مليا ... ومليا لحادث الدهر دنا

كم [illegible] ... [illegible] من هادم . ولم يبن . منا

قد آن أن نقول (نحن) ولا [illegible] ... [illegible] أبناءنا يقولون كنا

(عكاظ) في ٩ مارس سنة ١٩٢٨

الإنسانيـــة المهضـــومة

« قصيدة لأمير الشعراء شوقي بك ألقيت في حفلة جمعية مقاومة السل في بحدون » .

هـذه القصيدة من روائع أحمد وصيحاته التي تنبع من قرارة نفسه وتنفجر عذوبتها من صميم وجدانه . وهي كعقود اللآلئ في نحر الإنسانية البائسة :

يا من لإنسانية مهضـومة قطـع البنوة بظلمهم أرحامها

ومن أول بيت في القصيدة عرف شوقي كيف يبكي أيام الشباب ونضارته المولية :

ذكر الحداثة جهلها وغرامها وأعاد في خطـراته أحلامهـا

كما عرف بتصويره الحسي كيف يصف المسلول المحروم من لذائذ العيش وأطايبه :

لهفي عليه قشيب جلباب الصبا لم يلبس الدنيـا ولا هندامها

لفـظ الحيـاة نفاثة فنفـاثة مثل الزجاجة قد قلبت فدامها

وكيف يصف السل الذي يخترم الشبيبة :

لص الشباب إذا سرى في مهجة وردت على شط الحياة حمامهـا

يغتر حرص الشيـخ نحو وليده ويسل من خدر الرؤوم غلامها

ويدب في ذيل العروس إذا مشت وينال قبـل فم الحليل لثـامها

على أن بيت القصيد والعلم الفرد في أبيات شوقي قوله :

ومشى على المتحطمين بصخرها من جدّ يجمع باليدين حطامهـا

هذا بيت تسكنه الحكمة . وتمتاز حكمة شوقي على حكمة المتنبي بأنها يرتسم فيها طابع العصر وملامحه كما يرتسم فيهـا طابع كل عصر . فمعنى الحكمة العـام الذي يصلح لكل عصر هو أن الحيـاة صخرة يصطدم بهـا ، بمتاعبها وشقاواتها ، كل حي وأن اللاحقين يعيشون من حطام الذاهبين . والمعنى الخاص هو أن كل فرد في الإدارة أو في الحياة الحرة وزيرا كان أو كاتبا أو مهندسا أو طبيبا أو محاميا أو مقاولا أو رأسماليا يسـعى جهده في معـركة تنازع البقاء للتخلص من مزاحميه وخصومه . حتى أن بعض الشركات المـالية الكبرى أو التجارية أو الصناعية ينقلب التنافس بينها إلى صراع عنيف جبار قد يودي بإحداها فتخرب بيوت وتحـدث مآسي لتقوم الأخرى على أنقاضها وتدعم . ولا شك أن التزاحم الجمـاعي والفردي

[illegible] كل عصر ولكن لم يكن التزاحم ذلك الطابع البشع القتال إلا منذ أواسط القرن التاسع عشر ، عصر [illegible] والاستعمار . الإنسان ذئب للإنسان وكذلك الجماعات والأمم بعضها لبعض [illegible] بصخرها . .) . وما أشبه قول شوقى بقول شوبنهاور :

" إن حياة الإنسان ليست [illegible] صراع على الوجود ، مع يقينه أنه لا بدّ مهزوم . . الحياة طراد مستمر ، والموجودون [illegible] يطلب صيدا وطريد . وهم يتنازعون كل يوم [illegible] كلاب [illegible] الفظيعة " .

La Vie de l'homme n'est qu'[illegible] avec la certitude d'etre vaincu. La vie est une chasse incessante où tantôt chasseurs, tantôt chassés, les êtres se disputent les lambeaux d'une horrible curée.

[illegible] جملا [illegible]   [illegible] فى خطراته أحلامها
ولبس الدنيا الكعاب [illegible] (١)   [illegible] لياليها ولا أيامها
[illegible]   [illegible] فاشتهى قُلّامها (٢)
[illegible]   [illegible] الوجوه سكوتها وكلامها
[illegible] الشيبة فى [illegible]   [illegible] الأعنة لا ترد لجامها
كانت عليه من المتالف زحمة   واليوم قد فض السقام زحامها
[illegible] الأتراب [illegible]   كانوا لبانة (٤) روحه وجمامها (٥)
[illegible] عليه قشيب جلباب الصبا   لم يلبس الدنيا ولا هندامها
[illegible] الحياة نُفاثة نفاثة (٦)   مثل الزجاجة قد قلبت فدامها (٧)
لا [illegible]   [illegible] الحياة من الغيوب أمامها
إن الذى جعل الحياة بكفه   والموت صرّف كيف شاء زمامها

(١) الكعاب كسحاب الجارية [illegible] . (٢) أذال ماله : ابتذله بالإنفاق ومنه « أذل مالك يصن [illegible] » . (٣) [illegible] (بضم القاف الثانية وتشديد اللام المنصوبة) . قال أبو العلاء :
[illegible]   لم يمسك بالطيب على الزند
(٤) [illegible] . (٥) الجمام (بفتح الجيم) الراحة . (٦) النفاثة (بضم النون) : من [illegible] ونفثت الحية السم [illegible] أو هو كالنفخ . ونفثت الحية السم [illegible] النفاثة [illegible] وهو (ينفث على غضبا) أى كأنه ينفخ من شدة غضبه . (٧) الفدام [illegible] . يقال : قلب [illegible] قلب فلانا : أصاب قلبه .

يا رب متروك يموت بدائه ... لو عاش أفسد أمة وأقامها

ومضيع لشفائه لو لم يضع ... بلغت على يده البلاد مرامها

الصدر من غرف الحياة دعامها[١] ... فإذا أطاح السل هدّ دعامها[٢]

لص الشباب إذا سرى في مهجة ... وردت على شط الحياة حمامها

ينسى حرض الشيخ نحو وليده[٣] ... ويسل من خدر الرؤوم غلامها

ويدب في خدر العروس إذا مشت ... وينال قبل فم الحليل لثامها[٤]

يا مرض لإنسانية مهضومة ... قطع البنون بظلمهم أرحامها

زادوا بنسيان الشقى شقاءها ... وبجفوة الدنف السقيم سقامها

قالوا : هي الزاد الحرام وأحرجوا ... من أكلهم مال اليتيم حرامها

وبنى على المتحطمين بصخرها ... من جدّ يجمع باليدين حطامها

كمادل الذهب استقل بتبرها ... قوم وزوّد آخرون رغامها

إلا ملائكة بزى أوادم ... تدعوهم لخشوعهم خدامها

يسعون في إكفائهم فقراءها ... ويظللون بعطفهم أيتامها

قد أنفقوا الساعات من أعمارهم ... يتعهدون دموعها وكلامها[٥]

هبوا على الأمراض لما أعضلت[٦] ... فسعوا عسى أن يكسروا آلامها

بالظهر من (حمدون) أو (زحالة) ... بيت تمل النفس فيه مقامها

لا تملك المرضى به أرواحها ... سأما وإن ملكت به أجسامها

نسبت قوازين المهاجر[٧] جنة ... لترع الشباب وعادها وأكامها

دار هي المهد الكريم ومنزل ... حضن الأصول رفاتها وعظامها

قل للمهاجر[٨] تعط فضلة مالها ... وتؤدّ واجبها وتقض ذمامها

وتقل لا أحصى المهاجر ثروة ... وأقول لا يحصى الرجاء كرامها

---

(١) الغرفة العلية (لام مشددة مكسورة) . (٢) الدعام (بالكسر) عماد البيت — الخشب المنصوب المعروض . والدعم الشيء دعما : أسنده لئلا يميل أو لئلا يميل و — فلانا : أعانه وقواه . (٣) أغر فلانا الأمر على غرة . وأغتر الرجل (بفتح اللام) طلب غرته (بكسر الغين) أى غفلته .

(٤) اللثام : ما كان على الفم من النقاب . وفي المحيط اللثام رد المرأة قناعها على أنفها . (٥) الكلام بكسر اللام جمع كلم وهو الجرح . (٦) في الأصل حتى أعضلت . وأعضل الأمر : اشتد واستغلق . وأعضل في الأمر : ضاقت على فيه الحيل . وأعضل الداء الأطباء : أعياهم . (٧) قوازين : جمع قارون وهو رجل يضرب به المثل في الغنى . (٨) المهاجر : جمع مهجر . يقال شعراء المهجر أى الشعراء الذين نزحوا وهاجروا من بلادهم (سوريا ولبنان) إلى أمريكا . ومعروف أن معظم رجال الأعمال من السوريين المهاجرين فيها جمعوا بكدهم ثروة طائلة في المهجر . والشوقي يعنى هنا بالمهاجر أهل المهاجر كما يعنى القائل بالمدينة سكانها . وحافظ إبراهيم شعر كثير عدد ذكر فيه سكان المهجر وأشاد بكفاحهم وجلدهم وحسن بلائهم في الحياة .

نشيد الشبان المسلمين

[illegible] الوجود
[illegible] السعود

[illegible] الفاروق
والخلق [illegible] والسنة الظليلة
[illegible] وغابة الأسود

[illegible] في ضيائه
[illegible] الظلم
[illegible] [illegible]

* * *

الظلم من أسرته وعصر نور غرته
من هاله [illegible] ويشرق الجهاله
ويهزم الضلاله ويحطم القيود

* * *

ملائكة [illegible] [illegible] الشرب
[illegible] [illegible] ودنه
فليس بين [illegible] [illegible] حدود

شوقى

شوقية الشبان المسلمين

« نظمها أمير الشعراء لحفلة جمعية الشبان المسلمين التي أقامتها ليلة ١٤ شوال الجاري (٢٦ مارس) في دار الأوبرا الملكية »

حبذا الساحة والظل الظليل ... وثناء في فم الدار جميل
لم تزل تجزي به تحت الثرى ... لجة المعروف والنيل الجزيل
صنع إسماعيل جلت يده ... كل بنيان على الباني دليل
أترابها سدة من بابه ... فتحت للخير جيلا بعد جيل
ملعب الأيام إلا أنه ... ليس حظ الجد منه بالقليل
شهد الناس بها (عائدة) ... وتجلى الأجيال من (فردى) المديل
وانتقلنا في ذراها دولة ... ركنها السؤدد والمجد الأثيل
أينعت عصرا طويلا وأتت ... دون أن تستأنف العصر الطويل
كم ضفرنا الغار في محرابها ... وعقدناه لسباق أصيل
كم بدور ودعت يوم النوى ... وشموس شيعت يوم الرحيل
رب عرس مر للبر بها ... ماج بالخير والسمح المنيل
ضحك الأيتام في ليلته ... ومشى يستروح البرء العليل
والتقى البائس والنعمى به ... وسعى المأوى لأبناء السبيل
ومن الأرض جديب وندى ... ومن الدور جواد وبخيل

* * *

يا شبابا حنفاء ضمهم ... منزل ليس بمذموم النزيل
يصرف الشبان عن ورد القذى ... ويحميهم عن المرعى الوبيل
انهجوا فيه وحيوا إخوة ... بعضهم خدن لبعض وخليل
لا يضرنكم قلته ... كل مولود وإن جل ضئيل
أرجفت في أمركم طائفة ... تبع الظن عن الإنصاف ميل
اجعلوا الصبر لهم حيلتكم ... قلت الحيلة في قال وقيل
أيريدون بكم أن تجمعوا ... رقة الدين إلى الخلق المزيل

[illegible]

ملك الأرض من أتى ومن [illegible] مرشد للنشء بالهدى كفيل

[illegible] الأسرة [illegible] قبساً من سُنَّة البر يسيل

[illegible] ع ، وكونوا السلسبيل

رب [illegible] روت الشيب ولم تنس النخيل

لا تماروا الناس فيما اعتقدوا لكل نفس بكتاب وسبيل

وإذا جئتم إلى ناديكم فاطرحوا خلفكم العبء الثقيل

* * *

حبذا ليلتكم في الأزهرا ليلة القدر من الشهر النبيل

مهرجان [illegible] يمشي بين يديه جبرئيل

[illegible] أو [illegible] الجهد من لجة الخير تسيل

فكأن الليل بالفجر انجلى أو كأن الدار في ظل الأصيل

* * *

أيها [illegible] لا [illegible] لله الخير من الخير بديل

[illegible] الأمة [illegible] جليل العمل العونُ الجليل

[illegible] أنشدتكم عهد الندى ألَّا تميل

(شـوق)

(الأهرام) فى ١١ أبريل سنة ١٩٢٩

تكريم عبد الحميد الرافعي

أقيمت فى طرابلس الشام حفلة تكريم للشاعر والأديب السورى الكبير عبد الحميد الرافعى تحت رياسة رئيس الجمهورية اللبنانية . وقبل أن نذكر قصيدة شوقى التى ألقيت فى الحفلة ننقل هنا بعض ما كتبه أنيس المقدسى أستاذ الأدب العربى بجامعة بيروت الأمريكية فى نوفمبر سنة ١٩٣٨ فى (المقتبس) عن " الحركات العربية المنظمة وأثرها الأدبى " ففى ذلك المقال العام خير تعريف بشخصية المحتفل به . قال :

« . . وظل الأمر كذلك حتى أعلن دستور سنة ١٩٠٨ فغمر البلاد العربية بموجة من الإخلاص والحماسة للوطنية العثمانية لكن تلك الموجة لم تلبث أن تراجعت وضعف أثرها فى النفوس . . فتح العرب عيونهم فإذا هم والأتراك وجها لوجه و إذا بينهم اختلاف مريب يثير الشكوك فى نيات الاتحاديين — وهم حماة الدستور ومنفذو أحكامه — فتملكهم التشاؤم . .

" ولم يكن غريبا أن يحصر الاتحاديون معظم السلطة فى أيديهم ، وأن يكون جل تعويلهم على العنصر التركى . . ويكفى أن نذكر على سبيل المثال ، للدلالة على الحالة ، كتاب " قوم جديد " لكاتب تركى اسمه عبيد الله ذهب فى الغلو كل مذهب حتى طلب من الأتراك أن ينزعوا أسماء كبار العرب من الصحابة والتابعين عن قباب المساجد و يضعوا محلها أسماء عظام الترك . . وطلب أحمد جودت محرر جريدة إقدام أن تنقح اللغة التركية من الكلمات العربية . والظاهر أن العرب أحسوا بهذا التنكر منذ أوائل العهد الدستورى (١٩٠٩ — ١٩١٤) وكانت النفسية العربية بادية الاضطراب بدليل ما نراه من نفثاتها الشعرية المعبرة عن خوالجها . .

" كان عبد الحميد الرافعى (طرابلس) قبل الدستور من مريدى أبى الهدى الصيادى شيخ السلطان عبد الحميد . فلما حدث الانقلاب وحدثت على أثره تلك المشادة العنصرية ثار ثائره على الاتحاديين فنظم عدة قصائد نارية مظهرا فيها فسادهم ومُهيبا بالعرب إلى النهوض . قال من قصيدة :

ما تصلح الدنيا ولا ناسها ... ما لم يسلِ الأقوام أجناسها
هبوا بنى العُرب إلام الكرى ... وقد دهى الآمال دسَّاسها

خشيتم الإصلاح من عصبة ... توتر بالإفساد أقواسها [1]

فكم تبيدون على قلة ... وروضة الصبر ذوى آسها

ألستم نسل القروم الألى ... تنتعل الهامات أفراسها

فجدّدوا العزم الذى طالما ... شق صدورا طال وسواسها

"وقس على هذه القصيدة كثيرا من أقواله" . انتهى .

قصيدة شوقى

أعرنى النجم أو هب لى يراعا ... يزيد "الرافعين" ارتفاعا

مكان الشمس أضوأ أن يحلى ... وأنبه فى البرية أن يذاعا

بنو الشرق الكرام الوارثوه ... خلال البر والشرف اليَفاعا

تأمل شمسهم ومدى ضحاها ... تجد فى كل ناحية شعاعا

قد اقتسموا ممالكه فكانت ... لهم وطنا من الفصحى مشاعا

هم زادوا القضاء جمال وجه ... وزادوا غُرة الفتيا التماعا

أبوا فى نهضة الأخلاق إلا ... لبانا فى العقيدة وامتناعا

أووا شيبا وشبانا إليها ... تخالهم الصحابة والتِّباعا

إذا أُسد الثرى شبعت فعفت ... رأيت شبابهم عفّوا جياعا

فلم تر مصر أصدق من (أمين) [2] ... ولا أوفى إذا ريعت دفاعا

فتى لم يعط مِقوده زمانا ... شرى الأحرارَ بالدنيا وباعا

عظيم فى الخصومة ما تجنى ... ولا ركب السباب ولا القذاعا

تمرّس بالنضال فلست تدرى ... أأقلاما تناول أم نباعا [3]

ويا ابن السابق المزرى ارتجالا ... برواض القصائد وابتداعا

أما يكفى أباك السبق حتى ... أتى بك أطول الشعراء باعا

شدا الحادى بشعرك فى الفيافى ... وحركت الرعاة به اليراعا [4]

وفات الطير ألفاظا فهامت ... على المعنى فصاغته صناعا

إذا حضر البلابلَ فيه لحنٌ ... تبادرت الحمام له استماعا

* * *

مشى لُبنان فى عرس القوافى ... وأقبل ربوة واختال قاعا

---

(١) أوتر القوس جعل لها وترا . (٢) أمين الرافعى . (٣) النباع السهام . (٤) اليراع المزمار أو الناى .

وهز المنكبين لمهرجان ... زها كالباقة الحسنى وضاعا [1]
وأقبلت الوفود عليه تترى ... كسرب النحل فى الثمرات صاعا [2]
غدا يزجى الركاب وراح حتى ... أظل دمشق وانتظم البقاعا
ترى ثم القرائح والروابى ... تبارين افتنانا واختراعا
ربيع طبيعة وربيع شعر ... تخلل نفح طيبهما الرباعا
كأنك بالقبائل فى عكاظ ... تجاذبت المنابر والتلاعا
بنت ملكا من الفصحى وشادت ... بوحدتها الحياة والاجتماعا
فسادت أمة عجبا وكانت ... رعاة الشاء والبدو الشعاعا
أمير المهرجان وددت أنى ... أرى فى مهرجانك أو أراعى [3]
عدت دون الخفوف له عواد ... تحدين المشيئة والزماعا
وما أنا حين سار الركب إلا ... كباغى الحج هم فما استطاعا
أقام بغبنه لم يقض حقا ... ولا بل الصبابة والنزاعا [4]
طرابلس آنثنى عطفى أديم ... وموجى ساحلا وثبى شراعا
كسا جنباتك الماضى جلالا ... وراق عليه ميسمه وراعا
وما من أمس للاقوام بد ... وإن ظنوا عن الماضى انقطاعا
ألم تسق الجهاد وتطعميه ... وتحمى ظهره حقبا تباعا
شراعك فى الفينيقيين جلى ... وذكرك فى الصليبيين شاعا
كأنى بالسفين غدت وراحت ... حيالك تحمل العلم المطاعا
صلاح الدين يرسلها رياحا ... وآونة يصففها قلاعا
أليس البحر كان لنا غديرا ... وكانت فلكنا البجع الرتاعا
غمرنا بالحضارة ساحليه ... فما عيا بحائطها اضطلاعا
توارثناه أبلج عبقريا ... ذلول المتن منبسطا وساعا [5]
ترى حافاته انفجرت عيونا ... ورفت من جوانبه ضياعا
فما زدنا الكتاب الفخم حرفا ... ولا زدنا العصور الزهر ساعا
قعدنا مقعد الآباء منه ... فكنا البهم قد خلف السباعا [6]

(١) ضاع فاح . (٢) صاع تتابع . (٣) أراعى : أسمع . (٤) النزاع : الشوق .
(٥) الوساع من الخيل الجواد أو الواسع الخطو والذرع . (٦) البهم : صغار الضأن .

كأن الشمس مشعلة أصابت ، حبيبا في طيالسه شجاعا
تحجّبُ عن بحار الله حتى ، إذا خطرت به نضت القناعا
وما رأت العيون أجل منها ، على أجزاء هيكله اطلاعا
فما كشروقها منه نصيبا ، ولا كغروبها فيه متاعا

* * *

[illegible] ١٩٢٩

قال حسين شوقي في كتابه (أبي شوقي) ص ١٣٩ : « وفي نوفمبر سنة ١٩٢٦ رزق أخي علي ولدا سماه أحمد تيمنا باسم جده لأبيه ، وقد أحبه أبي حبا جما ، وقد نظم فيه قصيدة في أحد أعياد ميلاده ضاع بعض أبياتها مع الأسف وإليك ما وجدته منها » :

روحي ولله حبيبي ، صونته بالحسنين
[illegible] ، [illegible]
[illegible] ، [illegible]
طفل حلبنا [illegible] ، مقبل الركبتين
رضاه غير قليل ، وغضبه غير هين
يمشي ويدنو بأيك ، [illegible] الراحتين
ويزدهي بخداع ، وقول زُوزُومين

* * *

الأهرام في ٢٩ يونية سنة ١٩٣٠

تقريظ

بمناسبة ظهور رواية « غادة حمّانا » تأليف الأستاذ طاهر حق نشرت الأهرام تقريظ أحمد شوقي للرواية بهذه القطعة شعرية موسيقية عالية من شعر الطبيعة والوجدان :

دع الأبرق (١) والبانا (٢) ، وخذ « وادي حمّانا » (٣)
هو الفردوس ، قد قام ، به الشاغور (٤) رضوانا (٥)
فهنا استرسل أو شعشع ، رأيت الحسن عريانا

(١) و(٢) الأبرق والبان واديان في جزيرة العرب . (٣) وادي حمانا (بتشديد الميم) من قرى المتن في لبنان .
(٤) الشاغور : شاغور (أي شلال) حمانا المشهور . (٥) رضوان خازن الجنة .

وإن صوت، أورنّ ‏ وجدت القـاع آذانا

تراه في الضحى، مابنا ‏ وفي الآصال: عقبانا

وطير العشق، لا يأوى ‏ سوى الشاعور بستانا

فما حلّق، أو صفّق[1] ‏ إلا اصطاد إنسانا

يحسّ القلب، للقلب ‏ صبابات، وأشجانا

ترى في منزل (ميّا)[2] ‏ وفي آخر (غيلانا)[3]

وذي سلمى[4] وذا جحدى[5] ‏ يشانك ما كانا

رواياتهما[6] زادت ‏ أحاديث الهوى شانا

---

(١) صفق الطائر بجناحيه: ضربهما فسمع لها صوت. وحلق الطائر ارتفع في طيرانه واستدار كالحلقة قال النابغة:

إذا ما التقى الجمعان حلّق فوقهم ‏ عصائب طير تهتدى بعصائب

(٢) و (٣) مي وغيلان عاشقان معروفان في العرب. ‏ (٤) و (٥) سلمى وجحدى بطلا الرواية.

(٦) رواياتهما أي رواية (قادة حماة).

قصيدة شوقي في تكريم سامي الشوا عازف الكمان

بعد عودته من أمريكا في مارس سنة ١٩٣١

الفن روض يمر العاطفون به ... والسارقون جماعات ووحدانا

أرق الرجال به في الدهر مخترع ... قد زاده جدولا أو زاد ريحانا

لا تسأل الله فنا كل آونة ... واسأله في فترات الدهر فنانا

يا واصف الفن في أرض [illegible] ... [illegible] أوان الغناء الفذ قد آنا

يا رب ليل سمرنا الراح فاختلفت ... على بنانك للسمار ألحانا

تلك [illegible] من عود ومن وتر ... لولا بنانك لم تجعل لها شانا

[illegible] الصدر [illegible] ... يجاذب الأذن تستوحيك شيطانا

كأنها مثل طير هاج [illegible] ... من كل ناحية ينساب أشجانا

[illegible] ... [illegible] إشفاقا وإحسانا

[illegible] ... [illegible] العود والمزمار ما بانا

حركتها [illegible] الروح [illegible] ... تبكي وتضحك أوتارا وعيدانا

[illegible] حين تشدوها [illegible] ... تكرم النحل أرواحا وألوانا

مصرية النبر [illegible] ... [illegible] ونوحا وترجيعا وتحنانا

ذكرت خلقا وراء البحر مغتربا ... ما لنا وصبابات وأوطانا

لقيتهم بأماني المهد فالتمسوا ... في ملتقى القوس والأوتار (لبنانا)

[illegible] ... الشم القلوب وإن صادفت آذانا

[illegible] ... عليهم المهد أحنايا وألبانا

فن تطل منه الشرق آونة ... وكان شغل بني العباس أزمانا

قصيدة ألقيت فى الحفلة الختامية لمؤتمر الموسيقى

فى دار الأوبرا فى ٣ أبريل سنة ١٩٣٢

اجتمع هذا المؤتمر بدعوة من مصر واشترك فيه العلماء من الشرق والغرب لدراسة «تطوير» الموسيقى الشرقية والنهوض بها . وقد نشر المرحوم الطيب الذكر قسطندى رزق فى الجزء الأول من كتابه (الموسيقى الشرقية والغناء العربى) آراء أعضاء المؤتمر الموسيقى فى الموسيقى العربية، وهذا أهمها :

قال جناب البارون كارا دى ڤو[1] فى حفلة اختتام المؤتمر : " إن الموسيقى الشرقية علم عظيم وليست موضوعا يمكن استيعاب البحث فيه فى يوم أو فى ثلاثة أسابيع . ويشعر الإنسان بذلك إذا ألقى نظرة على فهارس الكتب الموسيقية القديمة . إننا لم نواجه مبحثا أكثر أهمية وأعظم شأنا من مسألة تأثير الموسيقى الشرقية فى الموسيقى الغربية فى القرون الوسطى .

" إن جمع مجموعات الآلات الموسيقية لعمل شاق يستلزم السنين الطويلة . هذا ما يخص المسائل الواسعة المدى . أما المسائل الدقيقة بل الشائكة فأهمها اثنتان، تتابع المقامات وإمكان الامتناع بأرباع الأصوات بالتقريب وهنا لا يكفى العلم وحده بل تدخل عناصر فنية وبسيكولوجية .

" غير إننا نستطيع أن نبذل المعونة للموسيقيين الشرقيين ليجتنبوا المناقشات غير المنظمة بما نبت فى نفوسهم من طريقة البحث والتحليل على النمط الأوروبى . وإنى أذكر مثالا لذلك الصوت المعروف بالسيكاه الذى أثار مناقشات حادة وهو الصوت الثالث من ديوان المقام . ويظهر أن الموسيقيين الشرقيين يريدون أن يثبتوا سيكاه وحيدة مطلقة أو مثلا أعلى للسيكاه ، وقد قال لهم العلماء الغربيون حللوا وميزوا لأن سيكاكم يمكن تغييرها مع المقامات حتى أن المقامات نفسها تختلف باختلاف البلدان. ولقد وجدنا بعد التجارب أن مقام الرست والسيكاه على حسب العزف عند كبار المغنين مرتفعين قليلا فى سوريا عن مثيلهما فى مصر. وهما فى تركيا أكثر ارتفاعا منهما فى سوريا . وعلى العموم تحققنا أن فى مصر استعدادا فطريا لدى المغنين والعازفين للاقتراب من الصواب " .

---

(١) فرنسى له مؤلفات كثيرة فى الإسلام ورجال الفكر فى الإسلام .

وقال الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب : " وأكبر مزية سيخلدها لمصر تاج الفنون الجميلة القرار الاجماعى الصادر من أعلى منبر المؤتمر بحماية الألحان العربية من العجمة التى كادت تبلعها وتقضى عليها القضاء الأخير " .

وقال الدكتور هنرى فارمر : " إن سماع الموسيقى الرائعة التى وضعها أسلافنا الموسيقيون الذين قضيت سنين عدة فى الكتابة عنهم أدخل على قلبى السرور عظيما : لقد كان هناك تضارب فى الآراء ولكنا نستطيع مع شىء من الصبر والتسامح أن نجد طريقا أمينا للمستقبل . وهناك أمر واحد لاريب فيه وهو أن الموسيقى العربية لا تستطيع أن تقف جامدة ، فالمدنية المصرية مع تياراتها الجارفة ستدفع الموسيقى العربية إلى التقدم . وعلينا أن نحرص على أن تسلك الموسيقى طريقا يحفظ روحها الوطنية وطابعها لأن فقدانها ذلك الميراث المجيد يعدّ كارثة عظيمة ويجب أن تعنى مصر بالمحافظة على ذلك المجد : فهى التى أنبتت الحسين بن على المغربى والمسيحى فى القرن الخامس بعد الهجرة ، وقد وضع كل من هذين المؤلفين كتبا على طراز كتاب الأغانى العظيم لمؤلفه أبى الفرج . ومصر هى التى أهدت إلى العالم الإسلامى الفلكى الشهير ابن يونس الذى وضع أيضا كتابا خاصا فى تمجيد العود بعنوان « العقود والسعود » . ومن أرض النيل المبارك خرج ابن الهيثم الذى وضع الشروح الوافية والنقد الصحيح لنظريات إقليدس الموسيقية . وفى هذه البلاد عاش أيضا أبو الصلت أمية . وقد كانت رسالته فى الموسيقى على جانب من الخطورة إذ ورد ذكرها واستشهد بها فى الكتب العبرية . وقد كان البياسى المعدود من أخصاء الفاتح العظيم صلاح الدين موسيقيا بلغ شيئا من الإجادة . وعلم الدين قيصر الذى كان من أبناء مصر كان أشهر أهل عصره فى نظرياته الموسيقية . ثم ابن الطحان ، وهو مصرى آخر ، وضع مؤلفا فى الموسيقى ربما كان أهم ما وضع من نوعه لأنه يبحث فى تاريخ الموسيقى ونظرياتها جنبا إلى جنب . وجميع هؤلاء عاشوا قبل القرن السابع للهجرة " .

وقال الأستاذ جوستو راميرى : " إن التبادل المستمر فى الشعور والأفكار بين الأمم الغربية والنائية قد حصل فى أغلب الأحيان بواسطة الفنون لأن الفن له مزية قائمة بنفسها وجدت بوجود الإنسان وجعل لها الأقدمون صبغة روحية فقد قال القديس أوجستان : " إن الفن موطنه الروح فلا ينفصل عنها " . وقد اهتم علماء إيطاليا بفنون الشعوب كلها ، والفن الشرقى له صبغة شخصية فى غاية الطلاوة . ففى الفنون الحسية نرى الخطوط والدوائر مرسومة على ألوف من الأشكال البديعة التى أحدثت فى الغرب تأثيرا فنيا مهما . ولما اكتست هذه

الفنون بالأنغام الشرقية التى تمكنت من استعمال أدق الأبعاد التى بين صوت وآخر وأتقنتها ولدت فى الغرب حاسة الخيال المبدع . وقد كان فى إيطاليا فى العصور الوسطى نزعة قائمة على نقض الأنغام الكروماطيقية والهارمونية والاقتصار على الدياطونيقية ولكنا نشاهد فى العصور الحديثة حركة يقصد بها العود إلى الأنغام المهملة فاتجهت لذلك الأفكار إلى الشرق . . «يا أيها العرب الأماجد إن معرفتكم لتاريخ هذا الفن وعلومه التى لا تزال غامضة علينا بعض الغموض سيكون له شأن عظيم فإن نهضتكم الموسيقية وأعمال سلفكم ومؤلفات علمائكم كشرف الدين هارون وغيره مما لم ينشر بعد سيكون لها فوائد عظيمة فى البحث والتنقيب فى هذا المؤتمر الذى دعوتم إليه علماء أوروبا » .

وقال الأستاذ الدكتور كورت زاكس : " إن الغرض هو توسيع نطاق فن الموسيقى العربية دون التورط فى تقليد أوروبا تقليدا أعمى . فعلينا أن نسعى فى هدوء إلى الرقى الذى ننشده لأن الطفرة بعد انقضاء ألف عام كثيرة الضرر كما يجب علينا أن نضع أسلوبا جديدا دون أن نهمل شيئا من التراث النفيس الذى خلفته لمصر هذه الأجيال الكثيرة " .

وقال الأب كولانجيت : " إن للسعادة مظاهر تنم عنها ، والموسيقى واحدة منها ، لا يجوز إغفالها لأن الشعب الذى يغنى لهو شعب سعيد . وفى عرفنا أن الترفيه والتجديد لا يستلزمان حتما هدم القديم ، بل نحن نعد جرما كل مساس بهيكل الموسيقى العربية القديم ، ونريد هذا الفن الجميل الذى ازدهرت به عصور الخلفاء الأقدمين وتناقله الخلف عن السلف " .

وقال وزير المعارف ورئيس المؤتمر فى حفلة الاختتام : "يسرنا أن أعضاء هذا المؤتمر أرادوا بفن الموسيقى العربية أن ينهض وينشط فى دائرة الاحتفاظ بطابعه ومميزاته الخاصة . . ولقد قدمت لجنة التاريخ الموسيقى والمخطوطات بيانا وافيا للمخطوطات العربية الهامة التى تجب العناية بدراستها والرجوع إليها لمعرفة تاريخ الموسيقى العربية وأصلها وتحقيق الغاية التى ينشدها المؤتمر بإحياء مجد الموسيقى العربية " انتهى .

* * *

ولخص الأستاذ أحمد أبو الخضر منسى فى كتابه (الموسيقى الشرقية بين القديم والجديد ١٩٤٩) نتائج المؤتمر . قال : " انعقد المؤتمر فى ١٤ مارس سنة ١٩٣٢ ومكث إلى الخامس من أبريل من تلك السنة . وقد كنا فى عداد القائمين بالترجمة فى ذلك المؤتمر . فكان إجماع آراء أولئك الأفاضل من علماء الموسيقى جميعا ، والأوروبية منهم خاصة ، أن الموسيقى الشرقية لها طابعها الخاص ، وكذلك آلاتها ، فما من الخير فى شىء إدماجها فى الموسيقى الغربية ،

إذ أن لكل منهما مزاجا وطابعا خاصا ، ولابدّ من صون الموسيقى الشرقية من كل مزج وخلط وإدماج ، أنغاما وألحانا ، وآلات بمثلها فى الموسيقى الغربية . ولعمرى لقد كان عبد الوهاب زعيم هذا المزج والإدماج ومن تلا تِلوه من المقلدين ، حاضرى المؤتمر يومئذ وعلموا ما قاله العلماء الموسيقيون ، ولا سيما الأوروبيون منهم ، وقرروه فما زادهم هذا إلا تماديا ".

* * *

ظاهر أن المؤتمر اجتمع فى جوّ مشوش غير مهيأ للمهمة التى دعى للانعقاد من أجلها . لقد أعلن العلماء الأوروبيون الذى انقطعوا لدراسة الموسيقى الشرقية القديمة أنها لا تزال غامضة . كما أننا لم نعن من جانبنا بدراسة المخطوطات والألحان القديمة التى نجهلها كما لم نعن بدراسة الموسيقى الشرقية الحديثة فى جميع البلاد العربية وخصوصا فى مصر وتركيا . ونحن نعلم مثلا أن عبده الحمولى فى أثناء زيارة خاطفة للاستانة أعجب بالألحان التركية وحاول إدخالها فى موسيقانا . وهى موسيقى شرقية قريبة منا . كما لم نعن بدراسة الموسيقى الأسبانية التى تأثرت بالروح العربية منذ احتلال الأندلس . ومن الخير أن نفهم البيئة العربية القديمة التى كان يطربها ويثير كوامن إحساساتها ومشاعرها الحداء والغناء بالشعر ، فكان فى الشعر موسيقاه ونغمه . وعلى أية حال كانت الموسيقى فنا ملحقا بفن الغناء تابعا له . وكان يضرب على أوتار المزهر أو العود المغنى على المزهر أو العود . فهى موسيقى انفرادية بآلاتها ولاعبيها ، إنها موسيقى صغرى مهما بلغ شأوها وجمالها . وتوجد إلى جانب الموسيقى الصغرى فى الغرب الموسيقى الكبرى السنفونية التى بلغ بها فاجنر وبتهوفن أعلى مراتب الفن . وهى موسيقى جماعية مفخمة متنوعة الآلات والنغم والأفانين . . فيها جلالة المبنى والمعنى . وهى كالشعر لابدّ لتذوقة من دراسة طويلة واستعداد خاص ، وثقافة واسعة . فنحن لا نعرف من الموسيقى الجماعية الدوّاحة إلا اصطحاب جوقة الزفة والتخت .

وليس أدل على الخلط بين الموسيقى الكبرى الغربية وبين الغناء الشرقى والتلحين مع بيانهما الكلى باعتبارهما فنين مختلفين لا فنا واحدا قول خليل مطران حين سأله سركيس (مجلة سركيس فى ١٥ فبراير سنة ١٩١٣) عن أى المغنين يفضل فكان جوابه (عبده . عثمان . فردى . واجنر) . فمتى كان واجنر إمام الموسيقى فى الغرب مغنيا أو ملحنا للمغنين ؟ .

وهذا الخلط بين الغناء والموسيقى وبين الموسيقى الصغرى والكبرى يبدو أيضا فى حديث الأستاذ أحمد صدقى . . الموسيقار الفنان (جريدة المساء فى ١٨ مارس سنة ١٩٦٠) :

قال — رداً على سؤال : هل ترى الموسيقى العربية تطوّرت ؟ .. "تطوّرت فقط فى العزف والإخراج .. أما الفنان الشرقى الأصيل فقد تقهقر .. الموسيقى الشرقية فى دم الشعب لأنها تعبر عن حياته و بيئته .. ولا مانع من إدخال الآلات الأورو بية والتكتيك الأورو بى بشرط الاحتفاظ بالطابع الشرقى " . — ما رأيك فى أم كلثوم ؟ .. — " كأنك تسألنى هل الشمس تطلع من الشرق " . وعبد الوهاب ؟ .. — أفضل عبد الوهاب القديم فقد كان شرقيا فى موسيقاه التى يطعمها ببعض الجمل الموسيقية الغربية .. أما الآن بجملته خفيفة فى أدائها .. فهو يستعين كلية بالموسيقى الغربية " .. وسيد درويش ؟ .. — " هو نقطة التحوّل من مجرّد الطرب إلى الغناء الذى يعبر عن حياة بيئاته .. الصيادين والعمال والفلاحين " انتهى .

٢

نظم شوقى قصيدته ولم يشر بطبيعة الحال من قرب أو من بعد إلى مشاكل المؤتمر وقد خلط هو أيضا بين الموسيقى والغناء ولكن هذا الخلط لا يستكره من شاعر . بدأ قصيدته بذكرى الربيع (نزل المنازل والربى آذار) وهى مناسبة طيبة لأن بين ازدهار الربيع والموسيقى نسبا قديما .

حيته بالنغم الهواتف فى الضحى   وترنمت بثنائه الأوتار
والماء يطفر جدولا ويفيض من   عين ويخبط فى القنّى ويحار

وليس بعد هذا سحر . هذا من أجمل ما قاله شوقى فى تصوير منظر من مناظر الماء فى الطبيعة . وقد وصف ضجيج موسيقاها الحلو بعد وصف الماء .

جر الإزار فكل روض حامل   مسكا وكل خميلة معطار
فى كل ظل مزهر مترنم   ووراء كل نضارة مزمار
وعلى ذؤابة كل غصن قينة   الصنج خلف بنانها والطار

* * *

وفى القسم الثانى من القصيدة خاطب شوقى ضيوف المؤتمر بخاءت القطعة الأخيرة من هذا القسم التى تبتدئ عند قوله :

مصر ترى الفن الجميل ومهده   تنبيكمو عن ذلك الآثار

وتنتهى عند قوله :

لو عاد ذلك كله لقى الهوى   حتى كأن لم تطوه الأعصار

ثمانية عشر بيتا تؤلف وحدة متماسكة من خير ما جادت به قريحة شاعر ، وآية من آيات أحمد . إنها من شعر الفسق .

أما القسم الثالث والأخير الذى يبتدئ عند قوله :

(عبدين) ركنك موئل ومثابة — لا زال يُستذرى به ويزار

فهو قسم المجاملات « التقليدى » يحسن الإغضاء عنه والاكتفاء بالباقى وهو سبعة وثلاثون بيتا من الشعر الحر الذى يتضوع

* * *

نزل المناهل والربى آذار — يحدو ربيع ركابه النُّوار

يختال فى وشى الرياض وطيبها — وتزفه الربوات والأنهار

سمح البنان بكل ما زان الثرى — فالوشى يوهب والحلىّ يعار

ملأ الخمائل من تصاوير كما — ملأ الرفارف بالدُّمى الحفار

فى كل دوح دمية ومنصة — وبكل روض صورة وإطار

خدجته بالبصر الخمائل مثلما — خدجت بعينيها العروسَ الدار

لبست له الآمال بهجة شمسها — وتزينت للقائه الأسحار

حيته بالنغم الهواتفُ فى الضحى — وترنمت بثنائه الأوتار

والماء يطفر جدولا ويفيض من — عين ويخبط فى القنى ويحار

جرّ الإزار فكل روض حامل — مسكا وكل خميلة معطار

فى كل ظل مزهر مترنم — ووراء كل نضارة مزمار

وعلى ذؤابة كل غصن قينة — الصَّنج خلف بنانها والطار

والنيل فى الوادى نجاشىّ مشى — فى ركبه الرؤساء والأحبار

سحبوا الطقوس ورتلوا إنجيلهم — فتعالت الصلوات والأذكار

* * *

نزلاء مصر حللتمو بفؤادها — وحوتكمو الأسماع والأبصار

ضيفا على البلد الكريم وطالما — هتف النزيل به وغنى الجار

تاج كقرص الشمس ملء إطاره — عتق ومجد تالد ونضار

وكأن كلتا صفحتيه من السنا — ومن التلبس بالشموس نهار

نحن الكرام إذا مشى فى أرضنا — ضيف ونحن بأرضنا أحرار

مصر ثرى الفن الجميل ومهده — تنبيكمو عن ذلك الآثار

غُمرت بموسيقى الجمال تلالُها ... وتفجرت عن مائه الأحجار

وادٍ كحاشية النعيم وأيكة ... ما للبلابل دونها أوكار

من عهد إسماعيل لم تخل الربى ... منها ولم تتعطل الأشجار

مما يتيح الله جل جلاله ... لعباده وتسخّر الأقدار

فى كل جيل عبقرىٌّ نابغ ... غرد اللهاة مفنن سحار

قضّى على الشوك الحياة وكم دعا ... للسير فى الورد الرفاقَ فساروا

أمنا الغناء فلذة الأمم التى ... طافوا عليها فى الحياة وداروا

يا طالما ارتاحوا إليه وطالما ... حمسوا على النغم الشجىّ وثاروا

وتر تعلق فى النعيم بآدم ... غنى عليه بنوه والأصهار

الخمر والسحر المبين وراءه ... والشجو والزفرات والتّذكار

وعلى تغنى النفس فى وجدانها ... خلت العشىّ ومرت الأبكار

ألحان كل جماعة وغناؤهم ... لغة ونجوى بينهم وحِوار

نغم الطبيعة فى مغانيهم وما ... تملى الرياض وتنشئ الأزهار

لا تعشق الآذان إلا نغمة ... كانت عليها فى المهود تدار

فرعون فى الوادى وصاحب بوقه ... وقيانه والناى والقيثار

وترنمات الشعب حول ركابه ... وطلاسم الكهنوت والأسرار

لو عاد ذلك كله لقى الهوى ... حتى كأن لم تطوه الأعصار

* * *

عابدين ركنك موئل ومثابة ... لا زال يُستذرى به ويزار

ثبتت أواسى العرش فى محرابه ... وأوت إليه أمة وديار

وعلى مطالعه وفى هالاته ... بزغت شموس العز والأقمار

للعلم منه وللثقافة حائط ... يؤوَى إليه وللفنون جدار

أنزلت فى ساحاته شعرى كما ... نزلت رتاج الكعبة الأشعار

ونظمت فيه وفى وضاءة ليله ... ما لم تزل تجرى به الأسمار

ورحابك الربوات إلا أنها ... أرض الندى وسماؤه المدرار

أفريقيا فى ظلك اجتمعت على ... صفو فلا نزلت بها الأكدار

فى المهرجان العبقرىّ تسايرت ... أعلامها وتلاقت الأنوار

لما دعا داعى المعز إلى القرى   شدّت صحارٍ رحلها وقفار
سفر إلى الوادى السعيد وملكه   حسدت عليه وفودها الأمطار
رفعوا شراع البحر يستبقونه   ولو أنهم ملكوا الجناح لطاروا
أمم من الإسلام يجمع بينها   ماضٍ وأحداث خلون كبار
وحضارة الفصحى وروح بيانها   وقريشُ العالون والأنصار
وحوادث تجرى لغايتها غدا   ولكل جارٍ غاية وقرار

* * *

فى معهد الوادى ودار غنائه   فرح تسير غدا به الأخبار
بعثت به الدنيا كرائم طيرها   من كل أيك بلبل وهزار
وحوى النوابغ فيه حول نواله   شعب على حرم الفنون يغار
جلب السوابق كلها فتسابقت   حتى كأن المعهد المضمار
إحسان مجبول على الإحسان لا   تحصى صنائعه ولا الآثار
ياشعب وادى النيل عشت ولا يزل   يجرى بيمن أمورك المقدار
أنت الرشيد على كريم بساطه   تستعرض الآراء والأفكار

(المنار وحارس المنار ودلفين[١])

(لسعادة أمير الشعراء أحمد شوقى بك)

هذه القصيدة مؤلفة من قسمين : القسم الأول صوّر فيه شاعرنا (المنار) أدق تصوير . والقسم الثانى تكلم فيه بأسلوب قصصى عن حياة (الحارس والدلفين) . وكان حريا بالشاعر الملهم أن يكتفى بالقسم الأول الذى بلغ فيه أعلى مراتب البيان .

المنار

سما يناغى الشهبا ... هل مسها فالتهبا
كالديدبان ألزمو ... ه فى البحار مرقبا
شيِّع منه مركبا ... وقام يلقى مركبا
بشّر بالدار وبالأ ... هل السُّراة الغيبا
وخط بالنور على ... لوح الظلام مرحبا
كالبارق الملِحِّ لم ... يولِّ إلا عقبا
مشى على الماء وجا ... ب كالمسيح العببا
وقام فى موضعه ... مستشرفا منقِّبا
يرمى إلى الظلام طر ... فا حائرا مذبذبا
كنمِر أدار عيْـ ... ـنًا فى الدجى وقلبا

(١) لا أدرى لماذا لم يقل شوقى (حارس المنار والدلفين) بدلا من دلفين . . وقد ذكر البحترى الدلفين فى قصيدة البركة قال يصف السمك :

صور إلى صورة الدلفين يؤنسها ... منه انزواء بعينيه يوازيها

وجاء فى (معجم الحيوان) لأمين معلوف : التخس والدخس (بضم التاء أو الدال وفتح الخاء) .

Dolphin (بالإنجليزية) دلفين (يونانية معربة) جنس من الحيتان الصغيرة طوله نحو عشرة أقدام . زعم القدماء أنه ينجى الغريق ، كنيته فى البحر الأحمر أبو سلام .

وجاء فى « اللسان » (مادة دلفين) إن الدلفين دابة بحرية قيل إنها تنجى الغريق (معرب) ومرادفه فى العربية الدخس كصرد . وجاء فى مادة (الدخس) أنها دابة فى البحر تنجى الغريق تمكنه من ظهرها ليستعين على السباحة وتسمى (الدلفين) . وجاء فى قاموس (لاروس) الفرنسى الكبير أن الدلفين من فصيلة أكلة الحوم وأنه فى العصور الوثنية القديمة كان يعتبر صديقا للانسان . وكانوا يزعمون أنه أنقذ الكثيرين من الغرق . . وكان الفنانون القدماء يصوّرون النفوس الطيبة مستعلية على الدلفين ماخرة فى العباب إلى جزر السعادة والهناء .

كبصر الأعشى أصا ب فى الظلام ونبا
وكالسراج فى يد الـ ـريح أضاء وخبا
كلمحة من خاطر ما جاء حتى ذهبا
مجتنب العالم فى عزلته مجتنبا
إلا شراعا ضل أو فلكا يقاسى العطبا

(حارس المنار ودلفين)

وكان حارس المنا ر رجلا مهذبا
يهوى الحياة ويحـ ـب العيش سهلا طيبا
أتت عليه سنوا ت مبعدا مغتربا
لم ير فيها زوجه ولا ابنه المحببا
وحين عيل صبره مل القضاء عتبا
وقال ربى كم أعيـ ـش عانيا معذبا
ولا أرى أهلى ولا أرى صحابى الغيبا
ولا أرى فوقى ولا تحتى إلا غيهبا
والناس فوق الأرض فى ظل القصور والربى
وكان «دلفين» من الـ ـحارس ثم اقتربا
أتى من الشط فدبـ ـب فى الصخور وحبا
وكان قد راعى الخطيـ ـب ووعى ما خطبا
فقال ياحارس خل الـ ـسخط والتعتّبا
من يسعف الناس إذا نودى كلٌّ فأبى
وضاق بالإسعاف من كان لذاك انتُدبا
ما الناس إخوتى ولا آدم كان لى أبا
انظر إلى كيف أقـ ـضى لهمُ ما وجبا
قد عشت فى خدمتهم ولا ترانى تعبا
كم من غريق قمت عنـ ـد رأسه مطبِّبا
وكان جسما هامدا حركته فاضطربا

وكنت وطّأت له   مناكبى فركبا
حتى أتى الشط فبشـ   ـش من به ورحبا
وطاردونى فانقلبـ   ـت خاسرا مخيبا
مانلت منهم فضة   ولا منحت ذهبا
وما الجزاء لا تسل   كان الجزاء عجبا
ألقوا علىّ شبكا   وقطعونى إربا (١)
واتخذ الصناع من   شحمى زيتا طيبا
ولم يزل إسعافهم   لى فى الحياة مذهبا
ولم يزل سجيتى   وعملى المحببا
إذا سمعت صرخة   طرت إليها طربا
لا أجد المسعف إ   لا ملكا مقتربا
والمسعفون فى غد   يؤلفون موكبا
يقول « رضوان » لهم   هيا ادخلوها مرحبا
مذنبكم قد غفر الله   ـه له ما أذنبا

(١) الإرب : العضو — وكان المرحوم صادق عنبر فى تصحيح الأغلاط الشائعة يقول (قطعونى إربا إربا) ولعل الضرورة الشعرية هي التى حالت دون تكرار كلمة « إربا » .

الجهاد فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٣٢

نفحـــة شـــوقية

« يرسلها أمير الشعراء ، عظة الماضى ، وعبرة الحاضر . وقد اجتمع له فيها البيـان ، إلى سمو الموضوع ، حتى لهى معنى من معانى الخلود ، تثير الأسى ، وتحرك الشجن وتحفز إلى المجـد » .

فى كلمات قليلة جامعة قدم الأستاذ توفيق دياب هذه القصيدة ، وقد كان صاحب (الجهاد) من خلصاء شوقى وعشرائه فى آخر أيامه . والقصيدة من شعر الغسق الهادئ الحزين . شعر الوداع للوطن المصاب ، الذى لا يزال الاحتلال عاثيا فى دياره .. وقد أعمل شاعرنا قلمه فى الاحتلال طول حياته . وهو أول من ندد " بحمر الثياب " فقال موجها القول إلى عرابى بعد عودته من سيلان فى سنة ١٩٠١

أفرق بين سيلان ومصر　　　وفى كلتيهما حمر الثياب

وقد اقتفى أثره حافظ فى (ليالى سطيح ١٩٠٨) فى صيحته المشهورة . « ولو شاء لابس الرداء الأحمر . لدفع عنكم هذا الموان الأصفر . وأمتعكم بالحياة فى أعطاف العيش الأخضر . ولكنه تركم نهبا للامتيازات . وغادر صدوركم ميدانا للحزازات .. » .

ومن أروع أبيات هذه القصيدة قوله :

قد أقبل التاريخ فى محرابه　　　يجزى الرجال وينطق الأحكاما

وقوله بعد ذلك عن موقف الآباء فى يوم الحساب :

رفقا على الآباء إن لهم غدا　　　يوما ينسى حره الأياما

يُجزون فيه عن التقاطع بينهم　　　إن انشقاق الأهل كان حراما

وعن الوثوب جماعة بجماعة　　　يتنازعون ولاية وحطاما

حتى أتت سفن المغير وخيله　　　فتفرقوا فى الضفتين نعاما

مأساة تاريخية ضخمة أجملها شوقى فى أربعة أبيات بأسلوب لا يوازيه من أساليب العرب فى صفائه وعذوبته وبيانه إلا أسلوب أبى عبادة .

* * *

أعطى العهود وأقسم الأقساما　　　أن لا يطول مقامه فأقاما

خمسون عاما فى البلاد يسوقها　　　بالعنف عاما والهوادة عاما

مستعمر جعل الخلاف ذريعة ... ليهز رمحا أو يسل حساما
لما أتى الوادى وعبّأ جيشه ... وجد الرعية والرعاة نياما
ومشى يقلّب فى المعسكر عينه ... فيرى الصفوف ولا يحس إماما
قد أقبل التاريخ فى محرابه ... يجزى الرجال وينطق الأحكاما
اليوم يُتّهم الأبوة فى البلى ... ويُناقشون جماجما وعظاما
رفقا على الآباء إن لهم غدا ... يوما ينسّى حره الأياما
يُجزَوْن فيه عن التقاطع بينهم ... إن انشقاق الأهل كان حراما
وعن الوثوب جماعة بجماعة ... يتنازعون ولاية وحطاما
حتى أتت سفن المغير وخيله ... فتفرّقوا فى الضفتين نعاما

***

يا أيها الجيل الذى يبنى غدا ... كن فى بنائك حازما مقداما
واجعل أداتك فى البناء محبة ... وتعاونا وتآلفا ووئاما
وإذا بنيت الملك فآبن حقيقة ... لا تبن أوهاما ولا أحلاما
وانظر إلى الماضى فإن المهتدى ... من يجعل الماضى هدى وزماما

مجلة (الرسالة) فى ١٥ أبريل سنة ١٩٣٣

شـــوقية لم تنشـــر

« نظم شاعر الخلود المغفور له شوق بك هذه القصيدة فى منفاه ولم يتمها . فننشرناها للأدب والتاريخ » .

قالت وقلت [1]

وسقيمة الأجفان لا من علة   تحيى العميد بنظرة وتميته

وصلت كَتَرْبَيها الحديث بضاحك   ضاح كمؤتلف الجمان شتيته

قالت تغربت الرجال فقلت فى   ضيم أريد بجانبي فأَبَيْتُه

قالت نفيتَ فقلت ذلك منزل   وردَته كل يتيمة ووردته

قالت رماك الدهر قلت فلم أكن   نِكسا ولكن بالأناة رميته

قالت ركبتَ البحر وهو شدائد   قلت الشدائد مركب عُوِّدته

قالت أخفت الموت قلت أمفلت   أنا من حبائله إذا ما خفته

لو نلتُ أسباب السماء لحطنى   أجل يحل لحينه موقوته

قالت لقد شَمِتَ الحسود فقلت لو   دام الزمان لشامت لحفلته

قالت كأنى بالهجاء قلائدا   سارت ، فقلت هممت ثم تركته

أخذت به نفسى فقلت لها دعى   ما شاءت الأخلاق لا ماشئته

من راح قال الهُجْر أو نطق الخنا   هذا بيانى عنهما نزهته

الله علمنيه سمحا طاهرا   نزه الحلال وهكذا علمته

---

(١) هذا الحوار (قالت وقلت) يذكرنا بأرق حوار فى الشعر القديم ، وهو لوضاح اليمن :

قالت ألا لا تلجن دارنا   إن أبانا رجل غائر

قلت فانى طالب غِرة   منه وسيفى صارم باتر

قالت فان القصر من دوننا   قلت فانى فوقه ظاهر

قالت فان البحر من دوننا   قلت فانى سابح ماهر

قالت فحولى إخوة سبعة   قلت فانى غالب قاهر

قالت فليث رابض بيننا   قلت فانى أسد عاقر

قالت فان الله من فوقنا   قلت فربى راحم غافر

قالت لقد أعييتنا حجة   فأت إذا ما هجع السامر

واسقط علينا كسقوط الندى   ليلة لا ناه ولا زاجر

مجلة (الرسالة) فى أول يونية سنة ١٩٣٣

شوقيـــة لم تـــتم

« ننشر اليوم (مشروع قصيدة) كان شاعر الخلود شوقى بك يريد أن ينظمها فى الصحراء ثم بدا له فتركها على حالها الأولى قبل أن تتم ، فأثبتناها بخطه كما هى »

يا مصـــلَّى أيمـــه   من بنى آدم طَهُـــر
سبِّح الرمـــل والحصى   فى نواحيـــه والحجـــر
وعلى ظهـــر جـــوّه   صلّت الشمس والقمر
جمعـا عزلة المـــدار   إلى عـــزلة المـــدر [1]
ســـبّحا ثم ســـبّحا   بالعشـــايا وبالبـــكر

* * *

وخضما من الرمال   أواذيُّـــه الصـــخر [2]
مـــا له ساحـــل ولا   من نُجَـــاءاته وزر [3]
فيه من كل حاصب   جَلَّل الجـــو وانهمر [4]
هب من كل جـــانب   كالدَّبى اشتد وانتشر [5]
رب أكفان مصـــحر   منـــه هيئن أو حفـــر [6]
وفضـــــاء كأنـــه   حـــلم رائع الصـــور
العـــشايا ســـواحر   فى حواشيـــه والبـــكر
كل ســـار وسـامر   . . . .

ثم استبدل شوقى بالأبيات الثلاثة الأخيرة الأبيات الآتية :

يـــافضـــاء بســـحره   دَلَّه الركب بالســـحر [7]

---

(١) المدار : مدار الكوكب . والمدر : المدن والقرى . (٢) الخضم : البحر . الأواذى جمع الآذى وهو موج البحر . (٣) الوزر : الجبل المنيع والملجأ والمعتصم . (٤) الحصباء : الحصى . والحاصب : ريح شديدة تحمل التراب والحصباء . وقيل هو ما تناثر من دقاق الثلج والبرد وفى القرآن « إنا أرسلنا عليهم حاصبا » . والحاصب : العدد الكثير من الرجالة وهو معنى قول الأعشى « لنا حاصب مثل رجل الدبى » . (٥) الدبى : أصغر الجراد من قبل نبات أجنحته يقال « أقبل الخيل كالدبى فبلغ السيل الربى » . (٦) أصحر القوم : برزوا إلى الصحراء لا يواريهم شىء . وأصحر المكان : اتسع أى صار مثل الصحراء .

(٧) دله كعلم دلها ودلوها : ذهب فؤاده من هم ونحوه . ودلهه الحب (بتشديد اللام) : حيره وأدهشه .

فتنتهم وجوهه واستخفتهمو الصور
وشجاهم سكونه بالعشايا وبالبُكر
لا تلمهم فانما قائد الأنفس الفِطر
كل نفس لها هوى كل نفس لها وطر
كم جمال ومنظر فرّقها لذة النظر
كل حسن ومنظر فيهما للهوى نظر

مجلة (الرسالة) فى أول يوليه سنة ١٩٣٢

كليوبطرة تناجى القصر[1]

« قطعة نظمها شاعر الخلود شوقى بك فى رواية كليو بطرة، ثم بدا له فأسقطها منها فلم تنشر. بعث بها إلينا الشاعر الرقيق وصفى القرنفلى بحمص » :

أيها القصر أترعى عهدنا ... وتفى إن عز فى الناس الوفى
لا تُضع عندك أسرار الهوى ... واختزنها فى الزوايا والحِنِى[2]
واتخذ ختما على أشيائه ... إن أشياء الهوى كنز سنى
ذكريات كلما حركتها ... ضاع من جدرانك المسك الزكى[3]
قُبَل لم يحصها إلا الهوى ... طِبن بالصبح وطيبن العشى
يجد الجسم لها همسا كما ... خفق السنبل أو رن الحلى
وعناق كالجفون اشتبكت ... والغصين التف باللدن الطرىْ
أيها القصر انقضى عُرس الهوى ... وطوى الإصباح ليل الأنس طى
وقديما فى الليالى لم تدم ... بهجة العرس ولم يبق الدوِى

---

(١) ظهرت هذه الرواية فى سنة ١٩٢٩ ، وقد كتب عنها الأستاذ أنيس المقدسى أستاذ الأدب العربى بجامعة بيروت الأمريكية فى (المقتطف) عدد أكتوبر من تلك السنة بحثا انتقاديا جاء فيه ” الحق أنى لم أر فى شعر شوقى ما هو أدل على قوة شاعريته من هذه الرواية ، قد تخالفنى فى ذلك وتشير إلى بعض قصائده الرائعة المشهورة فأقول إن تلك القصائد على بلاغتها هبات نفسية تثيرها عادة وقتية فلا غرو إذا بلغت أوج البلاغة الشعرية أما أناشيد هذه الرواية فشعر عادىٌ مفكر مقرون ببلاغة وجمال . هى معرض لتحف شعرية نادرة فيها المدح والفخر والعتاب والهجاء والحكم والسياسة والحب والخمر والظرف . يمتاز (الشاعر) إذا استطاع أن يخرج عن نفسه قليلا إلى الكون فيريك جماله ومعانيه وإلى الحياة فيوقفك على منازعها وأحوالها وذلك مافعله شوقى فى هذه الرواية ينطق الملك والكاهن والخادم والعاشق والقائد والماجن وسواهم . . وقد كنت أحيانا أشك فى تفوقه أو فى سمو خياله حتى قرأت روايته هذه “ .

(٢) الحنى (بضم الحاء وكسرها) جمع الحنو وهو كل ما فيه اعوجاج من البدن ومن غيره كالقف والحقف .

(٣) ضاع المسك تحرك فانتشرت رائحته .

مداعبات شوقية لم تنشر

« ظفرنا بثلاث قصائد من الشعر [illegible] للشاعر الخالد شوقى بك نظمها ولم يتمها فى (الدكتور محجوب ثابت ومكسويني) . ومكسويني هـذا كان حصانا بائسا يجر مركبة الدكتور ولا يزور الاصطبل الا لماما[1] [illegible] بالتعب والنصب حتى لصب جلده ووهن جلده فمات . وكان فى حياته [illegible] الكثير من الشوقيات الغر، نشر بعضها ولا يزال البعض الآخر سطوريا . ونكتفى اليوم بهذه القصيدة التى قالها الشاعر على لسان خالقه بعـد موته . وكان الدكتور محجوب يومئـذ معتقلا فى قصر النيـل عقب الثورة مدة الخلاف بين الزعيمين سعد وعدلى » :

سيوف أبيه من خمسين عاما   [illegible] بغير سـل

ملاها العنكبوت [illegible] [2]   على [illegible] قديم العهـد حل

[illegible]   [illegible] فيـه ظـلى

عملنا (باو الفداء) [illegible] [3]   ومصطفى النيرى الشيخ الأجل

من المرشال[4] أطلب ردّ روحى   وصودة فارسى وفكاك خـلى

وأنـذر إن تعضل صـوم عام   ومثـل من يصوم ومن يصلى

وإلا مت دون الحق جوعا   كذلك مكسويني مات قبـلى

ويا كينبود[5] فيم كسرت قلـبى   وأمس الحادثات كسرن رجلى

وما الدكتور مجنـون بسعد   ولا هـو بالمدلّل شتم عـدلى

ولكن [illegible] الدكتور [illegible]   [illegible] يرام لها كظـل

بقصر النيـل بات وكل سجن   وإن كان الخورنق لا يسـلى

أقضّى الليل حول السجن شوقا   [illegible] أناجيها : أطـلى

[illegible]   [illegible] ذات دل

ولولا الليدبان دنوت منهـا   وكنت أنا المشبط والمفـلى

---

(١) اللمام (بكسر اللام) جمع لمة (بفتح اللام وتشديد الميم) فى الأحاديث منه « ما تزورنا إلا لماما » .
(٢) [illegible] (٣) المرحوم إبراهيم باشا سعيد رئيس لجنة الوفد المركزية إذ ذاك .
(٤) اللورد اللنبى وكانت الأحكام العرفية مطلقة . (٥) فى الأصل كبوت : يريد كين بويد مدير الأمن العام للقسم الأوربى .

مجلة (الرسالة) في أول أكتوبر سنة ١٩٣٣

جبـــل الدروز

« مشروع قصيدة لم تتم كان ينظمها المرحوم شوقي بك، وهو بعالية من لبنان، في أسود الجبل وقد أخرجوا من ديارهم فقروا بحريتهم وكرامتهم إلى الصحراء » .

ألا بديارهم جن الكرام ... وشفهم بليلاها الغرام

بلاد أسفر للبلاد عنها ... وصرحت الرضاعة والفطام

وخالط تربها وارفض فيه ... رفات من حبيب أو عظام

بناه من أبوتنا الأوالي ... يتمم بالبنين ويستدام

توالى المحسنون فشيدوه ... وأيدي المحسنون هي الدعام

وأبلج في عنان الجو فرد ... كمنزلة السموأل لا يرام

يبيت النجم يقبس من ضياه ... ويلبسها فيرتجل الجهام

له في الأعصر الأولى سمي ... إذا ذكر اسمه انقسم التمام

كلا الجبلين حر عبقري ... لدى محرابه ملك همام

أزيلوا من معاقلهم فأمسى ... لهم في معقل الصخر اعتصام

في [illegible]

« أبيات مبعثرة نظمها أمير الشعراء في الأندلس »

ويوم من صبا آذار حلو   [illegible] وما بلغ الشبابا

تصوّر من حلى الفيروز وجها   ووشّى من [illegible] زخارفه إهابا

فَرَاق صباحه صحوا ورهوا   وله ضحاه حاشية وطابا

تناثر في [illegible] [illegible]   على [illegible] فانتظم الهضابا

وسالت شمسه في البحر تبرا   إلى [illegible] الأمهد حين ذابا

كأن لسبه غمس الندارى   بلحن الشهد أو فقق الحبابا

تمناه ابن عباد صبوحا   [illegible] المزاهر والشرابا

* * *

وما قدّرت أن يجئ غيما   [illegible] القيامة لى حسابا

[illegible] [illegible] وجهها   وولى [illegible] واكفهر نابا

وبدل حسن ذلك السمت [illegible]   [illegible] به عذابا

وضج البحر حتى [illegible] موسى   أتى بعصاه أو فرعون آبا

وأبرق في العباب كأن سرا   بأسطول الجزيرة قد أهابا

* * *

كأن شعاعها في الثلج نار   لفارس حولها ضربوا القبابا

أو الحسناء يوم العرس جئت   فزفت الغلائل والنقابا

فمن [illegible] السماء فأمطرتنا   فكان الدر والذهب الذهابا

تروق العين من [illegible] [illegible]   [illegible] بالتبر الكتابا

مناديف [illegible] [illegible] بقطن   فما تألوه ندفا وانتهابا

وقطعن الثلوج لكل روض   وكل خميلة منها ثيابا

[illegible] [illegible]   [illegible] [illegible] جبابا

مجلة (الرسالة) في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٤

شـــوقيتان لم تنشرا

قصيدة لم تتم للمرحوم شوقي في سعد والثورة

يا شباب اقتدوا بشيخ المعالي ... فالمعالي تشبُّه وتحدّي

قد تصدى لنائبات حقوق ... غير سهل لمثلهن التصدّي

حزّته بلاده وهي صيد ... بين نابي مظفّر الناب ورد

أمة من غرائب النصر نشوى ... تسلب الملك من تشاء وتسدي[1]

أخرست أفصح القياصر سيفا ... بأساطيل في الخصومة لُدّ

جاءها سعد شاهر الحق يدعو ... سيفها المنتضى لخطة رشد

أعزل المنكبين إلا من الحقـ ... ـق ومن حجة كنصل الفرند

خاطب النار وهي في شفة المد ... فع والسيف وهو في غير غمد[2]

غمرة يشفق الضياغم منها ... خاضها لم يهب عواقب ورد

فنفوا فانتفى فصادف حظا ... حبذا الجد إن أعين بجد

وإذا مصر كاللبوءة غضبى ... لابنها تبذل الدماء وتفدي

(قصيدة أخرى لم تتم)

في موليير الشاعر الفرنسي[3]

وإن موليير نجم لا أفول له ... وأن تغيب في الأحقاب واحتجبا

شريعة من بيان الغرب صافية ... وإن يك الشرق أحيانا بها شربا[4]

وآية الأدب الرّوميّ في لغة ... لم تُخل من سرها عجما ولا عربا

لو استطاع ذووها من عنايتهم ... بنشرها علموها الجن والشهبا

فاحفظ لسانك واجهد في صيانته ... كما يصون الكريم العرض والحسبا

---

(١) هي بريطانيا العظمى في الحرب الكبرى الأولى . (٢) شفة الشيء جانبه وحرفه .

(٣) أغلب الظن أن هذه القصيدة نظمت في يناير سنة ١٩٢٢ . بمناسبة الاحتفال بذكرى ميلاد موليير في ١٥ يناير سنة ١٦٢٢ . وموليير أكبر روائي هزلي في القرن السابع عشر وقد ترجم له عثمان جلال رواية النساء العالمات ، والبخيل والطبيب رغم أنفه ، والشيخ متلوف . (٤) الشريعة مورد الشاربة .

كأنما كانت الدنيا [illegible]   تصور الناس منها كلما كتبا

إنما تمضي بعرض الأخلاق عارية   أراك من كل نفس صورة عجبا

بأي الضروب ينضو من طهائها   ستنا ويهتك عن أهوالها الحجبا

فربما ازدحمت عليها البخيل به   تلقاه تلقاء جدا أو تراه أبا

وقد يريك بالكذاب مرة   وأنت تضحى وتمسي تسمع الكذبا

[illegible]   وأنت تخلف الإخوان منتقبا

متفـــــرقات

سألت حبيبيَ فى قبلة | فمانعنيها بحكم الخجل
فلازمت صبرى حتى غفا | وملت على خده بالقبل
فنضّى عن الجفن ثوب الكرى | وعما جرى بيننا لا تسل[1]
وقال جرحت بوقع الشفاه | خدودى وذنبك لا يحتمل
فقلت وأنت جرحت الحشا | وأدميته بسهام المُقَل
وفى الشرع أن المجروح قصاص | جُرح بجرح حكم عدل[2]
فأبدى الحبيب ابتسام الرضا | ومال كغصن النقا واعتدل
وقال وحق سواد العيو | ن التى علمتك رقيق الغزل
لتستهدفنّ لنبل الحاظ | إذا عدت يوما لهذا العمل

النجـــوى

أمسى وأصبح من نجواك فى كلف | حتى ليعشق نطق فيك إصغائى
الليـل ينهضنى من حيث يقعدنى | والنجم يملأ لى والنـور صهبائى

هذان البيتان وردا فى قصيدة مطلعها :

سويجع النيـل رفقا بالسويداء | فما تطيق أنين المفـرد النائى

وهى منشورة فى الجزء الأول من الشوقيات القديمة ثم أعيد نشر البيتين فى باب النسيب، مع أبيات أخرى، فى الجزء الثانى من الشوقيات صفحة ١٤١ والذى دعانا إلى إعادة نشرهما هو التعديل الذى أدخله شوقى فى الطبعة الأخيرة على نص البيت الثانى :

الليـل ينهضنى من حيث يقعدنى | والنجم يملأ لى و (الفكر) صهبائى

أبدل بالنور الفكر والكلمة الأخيرة لا تتسق مع سياق اللفظ والمعنى . لذلك استبقينا الصياغة القديمة (والنجم يملأ لى والنور صهبائى) فهى من السحر الحلال .

شـعار « الجهاد »

صدرت (الجهاد) للصحفى الكبير توفيق دياب فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣١ وكان شعارها:

قف دون رأيك فى الحياة مجاهدا | إن الحياة عقيدة وجهاد

(١) نضى ثوبه عنه تنضية كنضاه نضوا خلعه .   (٢) عدل ككتف : عادل .

البخيلة

هـذه رواية قديمة بدأ كتابتها شوقي في سنة ١٩٠٧ أو بعد ذلك بقليل ثم حاول إتمامها وبناءها من جديد في أواخر حياته ، كما فعل في روايته على بك الكبير التي ظهرت طبعتها الأولى سنة ١٨٩٣ وفي رواية (أميرة الأندلس) التي كتبها في المنفى ، ولكنه لم يوفق . لذلك لا نرى فيها بصيص العبقرية إلا في فقرات متفرقات ، وهي ككل أثر لشوقي يجب الحرص عليه لأنه يكشف لنا من شخصية المصنف ونواحي القوة والضعف فيها . وقد تفضل علينا الدكتور الأديب سعيد عبده فأعارنا « مخطوطة » البخيلة فاخترنا منها الفصل الأول بجميعه وقطعتين من الفصول الأخرى :

تمهيد

زمن الرواية	سنة ١٩٠٧
مكان الرواية	القاهرة

أشخاص الرواية

الست لطيفة	(البخيلة)
جمال	حفيدها
حسنى	خادمتها
عبد السلام	طبيب
رشاد	سمسار
عزيز	من أبناء الذوات

الفصل الأول

(قهوة جميل بميدان لاظ أوغلى . جمال ورشاد على مائدة يتحادثان وآخرون متفرقون) .

يدخل صبي القهوة بصينية عليها الطلبات من المشروبات فيناول الزبائن ويقول : هنا سادة ، هنا القرفة ، هنا الشاي .

ثم ينتقل إلى مائدة جمال ورشاد ويقول : خشاف سيدي والبانزهير لمن ؟

جمال — البانزهير لي أنا

رشاد — وشيشتي يا مصطفى

الصبي		طلبتها يا سيدى

يمر بائع جرائد مناديا		اللـــوا

رشـاد		اللوا		تعال يا ولد

البـائع		أقرأوا حديث مصطفى . أقرأوا خروج المعتمد .

رشـاد — كومر ؟ خروجه متى ؟

البـائع — غدا أو بعد غد

رشـاد — من قال ذلك

البـائع — (ويمشى) — مصطفى

رشـاد — التفّت الأفكار حول مصطفى كالقائد

جمـال — وصارت الأخبار عند باعة الجرائد

رشـاد —		آمن معى بمصطفى		كفى تعنتا كفى

والعقــلا . .

جمـال —		كُلهمُو

رشـاد —		والأذكياء

جمـال —		أشَرَّبهمُو

رشـاد —		مـا أنت

جمـال —		لست منهمو

إنى أنـا مـع البـلـد		إن قام قمت أو قعـد

لم يرنى فيـه أحـد

(اثنان على مائـدة يتحادثان عن جمـال)

الأول :		تأمل المكثر من إعجابه		بنفسه ينظر فى ثيابه

تلفت الطاوس فى إهـابه

الثـانى : لله ما أظـرف . ياله فـتى		قـد أبدع البارى تعالى شكله

لوكان هـذا ولدى وواحدى		خرجت قبل الموت من مالى له

الأول : — من الفتى ياأخى ؟

الثـانى :		جمـال

هـــذا الذى يخلف البخيـلـه

فى الدكاكين والضياع والثروة الضخمة الجليله
هذا الذى يفترس الأجناسا ولا يرى الأحلام إلا ماسا
ولا صحا شكا لك الإفلاسا
يا أخى هذا وذلك بالربا يعطى نحاسا ليرد ذهبا
وقبل شىء فوق ذا . .

الأول — وما يقولون ؟
الثانى — [illegible]
الأول — ماذا
الثانى — بلاطينا
مركب على الذهب
الأول — وتلك الأخرى من ؟
الثانى — فتلك من السماسر
[illegible] بسبه وغامر
وكم وكم دفع أو طلق من حرائر
تلقاه فى كل طر يق كالغبار السائر
من قهوة (لبيئة) لمنتدى لساهر
ويدفع الشباب فى الـ وحول والمخاطر
فمن يدى مسلف إلى يدى مقامر
ومن عجوز حاكم إلى لباب عاهر
لا يبغض الله ولا رسوله ولا العباد كالمرابين فئة

الأول — أى ربا يشترطون ياترى ؟
الثانى — عشرون لم يتركوا [illegible]
انظر إلى السمسار يسحر الفتى وانظر إلى الغلام كيف استحسنه
عندى ألف ما ملكت غيرها من لى بها ألفين إن فاتت سنه
الأول — عندك ألف أنت ؟
الثانى — ألف ذهبا
الأول — تريد تعطيهما بفاحش الربا

إذن لقــد كنت ترائى يا أخى ولم تكن تقــواك إلا كذبا

جمال يرفع صوته

بالله من ذا الحــديث دعــنا وانظــر معى هــذه الكربــه

(ينظر إلى رجل وجيه ملفف بالثياب ومعمم) ويقول :

ومن يكون الوجيــه ؟

رشــاد — هــذا مقــاولٌ يكبرون كسبه

وكل يــوم عليــه نعــل وكل يوم عليــه جبــه

تراكم المــال فى يــديه من حبــة أمس صار قبه

جمــال — وما فتن الحظ بالكركدّن وما أعجب المال من تحته

رشــاد — ومن عجب بعد هذا المشيب بنى باثنتين على زوجتــه

ورام الزواج ببنت النقيب فما قبــلوه عــلى ثروته

جمــال — وماتلك من هى بنت النقيب ؟

رشــاد — فتاة هى البــدر فى ليلتــه

جمــال — وما بيتهــا ؟

رشــاد — قصــر آبائهــا

طويل العماد عريض الغُــرف

جمال — وما مالهــا ؟

رشاد — القصر عنوانه

أليس القصور (رموز) الترف

جمال — وما سمعة البيت ؟

رشاد — ماذا تقول

أما فى قــديم البيوت الشرف

جمال — ولم أبت الشيخ وهو الغنى

رشاد — وهل كل ما فى الزواج المهــور

وهل يمــلأ التيس عين المهاة

وهل تحمــل الكركدّنَ القصور (١)

---

(١) التيس : الذكر من الظباء والمعز والوعول . والمهاة : البقرة الوحشية وقيل نوع من البقر الوحشى وهى أشبه بالمعز الأهليــة وقرونها صلاب جدا تشبه بها المرأة فى سمنها وجمالها وحسن عينيها . والكركدن (بتشديد الدال) : حيوان وحشى غليظ يسكن الغاب . يريد شوقى أن الفتاة لايستهويها الشيخ ولو كان غنيا كما لا يستهوى المهاة التيس والقصور الكركدن .

جمال — رشادُ أهى جميلة ؟

رشاد — وذات قصر وكنى

جمال — ماضرلو أنى صاهرت الغنى والشرفا

أتعرف البنت يا رشاد

رشاد — وأعرف الأم يا جمال

جمال — كيف ومن أين ؟

رشاد — لى ببيت النقيب من نشأتى آتصال

أمى كانت إليه تغدو إذ أنا طفل . ولا تزال

جمال — ماذا ترى رشاد إن طلبتها ترى تردنى إذا خطبتها

رشاد — اصغ لى أنت مثل ما تمنى زينب تجمع الغنى والجمالا

جمال — الغنى يا رشاد . إنك تهذى

رشاد — أنا أتسلى ا

جمال — أجل مغالط

رشاد — لا لا

أنت فوق النقيب دخلا وربما بعد حين وأنت أكثر مالا

جدة تجعل الحديد على الما ل وتحمى الأبواب والأقفالا

جمال — لكنها يا صديقى أشد منى ومنكا

صبرا فما قليل سيفرج الله عنكا

جمال — وجمالى ؟

رشاد — (ويخرج مرآة) أفى جمالك شك خذ تأمل . انظره فى مرآتى

سوف تسبى فؤاد زينب

جمال — من زينب

رشاد — هذا يا صاحبى آسم الفتاة

جمال — رشاد اسمع عقدت العزم فاذهب وأنك فاخطبا لى اليوم زينب

رشاد — وهب لى ريالين تحت الحساب وبعد غد نلتقى ههنا

جمال — (يناوله الريالين) — قبلت خذ

رشاد — بعد أن ينظر أمامه — انتظر يا جمال بربك فالحظ قد أحسنا
فهذا أخو زينب مقبلا فسر حيث شئت ودعني أنا

(يجلس عزيز فيتقدم اليه رشاد)

رشاد — عزيز من . أهلا أخي منذ شهور لم أرك
عزيز — رشاد أنت ههنا ؟ منذا الذي كان معك
رشاد — انظر الى ثيابه والونها كيف آتحد
انظر الى حذائه من النظافة آتقد
والبنطلون مستو لم ينكسر لم ينعقد
أعرنيَ السمع أعر عندي لكم شيء يسر
عزيز — ما ذاك ؟ هات ما الخبر ؟
رشاد — هذا جمال وحيد جدّه بخيلة يا عزيز جلده
عزيز — وعمرها يا رشاد ؟
رشاد — يربو على الثمانين
عزيز — تلك مده
والمال ؟
رشاد — ما شئت من فدادين ومن بيوت ومن دكاكين
والذهب الصبّ كل ناحية في البيت من مخبًا ومدفون
عزيز — والآن ماذا تبتغي
رشاد — أريده لزينبا
عزيز — وكيف هل يقبلها ؟
رشاد — كلمته فما أبى
فامض الى أمك يا عزيز بلغها النبا
لقد وصفت القصر للـ أبله وصفا عجبا
ولم أزل أطري له الـ جد وأمدح الأبا
وأنعت المجد القديـ ـم وأحلّي النسبا
وقلت عن أمك خيـ ـرا وامتدحت زينبا

عزيز — وقد نسيتنى أنا

رشاد — لا . بل أطلت الكذبا

عزيز — وما الذى قلت [illegible]

رشاد — [illegible] ما أفاقا

بالليل يغشى الملاهى … وبالنهار السباقا

أنتم عزيز يا أخى فى أزمة … ولا يفك ضيقكم إلا الغنى

ق للمال فيه [illegible] … لا بدّ منه اليوم أو لا فغدا

عزيز — أجل بغير المال لا عيش لنا … وكيف من أين يجئ أفتِنا

رشاد — عما [illegible] … من الفتى . من موت جدّة الفتى

عزيز — وما الذى تصنع [illegible] … لا بدّ من مصيدة

رشاد — تلك أنا

اسمع أخى عزيز أنتم أسرة … لم يبق من وجودها إلا شفا

قصركم [illegible] … قد حاط فيه العنكبوت وبنى

سكنتموه [illegible] … كاليوم كل يومتين فى فضا

ملأتموه خدما أشداقهم … دائرة على الرغيف كالرحا

انظر إلى القصور كيف أصبحت … لم يبق من مقدَّم ولا أغا

احتجب القوم وراء ظلها … لا يسأل البواب إلا قال لا

عزيز — كفى رشاد صفقة … لبؤسنا كفى كفى

ولا تعذب مهجتى … ولا تهيج لىَ البكا

وامض اجتهد رشا … [illegible] تزويج أختى بالفتى

إذا كان لها أهلا

رشاد — ولِمْ لا يا أخى لِمْ لا

فتى لم يحكه الشبا … ن هندامًا ولا شكلا

ولم ينكر له الإخوا … ن لا ظرفا ولا عقلا

ومن بيت يرى النا … س عليه الخير والنبلا

أبوه كان [illegible]

عزيز — وهذا كله فضلا

عما وراء جدّته

رشاد — وعن عظيم ثروته ... يا ليتنى فى حالته

اسمع عزيز يا أخى ... أنا وأنت لا نرث

أملط يارب كما خلقتنى ... راض على قلة ما رزقتنى

عزيز — دعنا من الهزل هلا ... أخذت فى الجد ساعة

رشاد أنت صديق ... ماذا ترى فى البضاعة

أدخل بنا فى الجد يا رشاد ... متى تراه

رشاد — ... فى غد أراه

عزيز — لم تقل لى عن الفتى ما أبوه

رشاد — ... كان فخر الرجال كان مديرا

(ثم لنفسه) — كان والله يسكر الصبح والليـ ... ـل إلى كل حانة سكيرا

عزيز — والفتى كيف شغله

رشاد — ... فى الدواوين

عزيز — ... إذن قد نراه يوما وزيرا

رشاد — لم لا :

(ثم لنفسه) — قلتها ومن أين أدرى ... ربما صار حاجبا أو خفيرا

(ثم لعزيز) — لا تسلنى ما أبوه يا أخى ... أو من الأم وسل ما جدته

لا ولا ما شغله ما جاهه ... فى الدواوين ولا ملوثيته

بجمال فى غد أو بعده ... بوزيرين تُساوى ثروته

(بعد لحظة)

ولِمْ لا وجدْتُه نملةً ... إذا وقفت أو مشت حصَّلت

وتُدخل فى بيتها ما تصيب ... ولا يُخرج الدهر ما أدخلت

لو انقلبت من جميع الجهات ... على القش فى فمها ما انفلت (١)

ترى المال فى بيتها فى اللفا ... ف وتحت البلاط وحشو الشلت

عزيز — عجبت لأن البخيلَ المالُ وهو يرى ... أن البخيل إليه غير محتاج

وقلَّ ما جاء حرا ماجدا ومشى ... إلى الكريم الكثير الهم والحاج

آه ما أكثر حاجى ... من بحاجاتى أناجى

(١) هذه الأبيات الثلاثة عن النملة فيها لمسة من تصوير شوقى الرائع .

أزمـــة دُرْتُ فـــلم ألق لها وجه انفراج

رشاد — عزيز أنت مفـــلس

عزيز — ما شئت فى ذاك فقلْ

رشاد — على البـــلاط ياعــــزيـ ـز كلنا ذاك الرجـــل

عزيز — إذن (جمال) صفقة رابحـــة لنا كلينا قد فهمت مأربى

رشاد — ولست أنوي فضلكم حتى ولا ما طوّقت أمـــك أمى وأبى

عزيز — اذهب إذن رشاد فاخطبْه

رشاد — لمن ؟

عزيز — لى ولزينب وأم زينبِ

رشاد — للأم والابن والبنت أجل، وكل من متّ لنا بالنسبِ

رشاد — أصبت ياعـــزيز أنت فطن

عزيز — لا بل هو البؤس يفطن الغبي

رشاد — وزهكروبى باصحبى وكها بى وا يابى

عزيز — إمض أنفق مالنا واصـ ـبر إلى يـــوم الحساب

إنا لـــو يـــبع بفلس لم يجـــد سوقا جرا بى

كلانا رشاد على زورق كسير وموج عنيف شقِى

فإن ننج ننج بخير المنا ع و إلا غرقنا مع الزورق

* * *

(ثلاثة آخرون جلوس على مائدة بالقهوة أحدهم يقرأ جريدة)
(والآخران يتحادثان)

أحدهم — من ذلك الطفـــل من لحيته كالطفل من وراء مخلاة رنا

الثانى — تسال عن ذاك الذى اغفى على صحيفة يقــرأ وولانا القـــفا

الأول — أجـــل أجـــل هـــذا القفا

الثانى — هـــــذا هــــو الدكتور

الأول — من ؟

الثانى — عبـــد الســـلام مـــرتضى

يقرأ ما صادف من جــــريدة من سطرها الأول حتى المنتهى

وتستوى صحف الصباح عنده   وصحفٌ ظهرن من عام مضى
تذاكر الدفن التى يكتبها   فى الشهر أضعاف تذاكر الدوا
وعيبه البخل

الأول : فيه بخل ؟

الثانى : أبخل من جارتى نظيفه

الأول : من يا أخى هذه ؟

الثانى : عجوز . فى الخُط من أسرة شريفه
ليس لها فى الحياة إلا   عبادة المال من وظيفه
حتى لقد صارت حديث الحاره   وضحكَ الجار وسخر الجاره
كلهمو يحسُدها بمالها   ويتمنى حاله كحالها
وهكذا الأنفس فى ضلالها

الأول : ما غِناها يا أخى

الثانى : أكثر هذا الخُط مالا

الأول : ومن الوارث إن ماتت

الثانى : فتى يدعى جمالا

الأول : وذلك الدكتور

الثانى : هذا مادِر   الجوع يا أخى ولا الأكل معه
لقد دعانى للغذاء مرة   فقسم البيضة بين أربعه
وجىء بالشواء

الأول : ماذا جرى ؟

الثانى : أومى إلى خادمه أن يرفعه
رأى فيه عيبا وإن لم نجد   على اللحم عيبا سوى قلته
فقد كان أنضج لحم رأيت   وقد كان كالمسك فى نكهته
ومن بخله تفتح القهوات   وتغلق وهو على (شيشته)
يقضّى بها طرفى يومه   ويمضى بها طرفى ليلته
(غلام يدخل القهوة صائحا)

الغلام : أين هو الدكتور؟

الأول : وحرضاه ؟

الثانى : يلقاهـو فى الطريـ ـق حينا وحينا على قهوته

أحدهما : ذاك

الغلام (للدكتور) : سيدى أخى سقط

تحت (الترام)

الدكتور : فليكن . أو تحت وابور الزلط

فما الذى أصابه

الغلام : انفلق الرأس

الدكتور : فقط ؟

حبا ولو أنّ ما طلت فى الشارع قط

الغلام : الله فى عون الجريـ ـح منك جراحَ القطط

(ستار)

* * *

مشهد

من الفصل الثانى

من رواية البخيلة

فى منزل السيدة نظيفة

السيدة نظيفة — (بعد أن ترى حسنى الخادمة داخلة عليها و بيدها شىء) :

تعالى يا ابنتى جيئى بماذا جئتنى حسنَى

حسنى — لقد جئت بفنجان خذيه جربى البنا

السيدة نظيفة — وهذا شُبُكى هات

حسنى — أجل بالعود قد جيت

وفى الكيس مع الدخا ن زنهار وكبريت

السيدة نظيفة — سلمت حسنى يداك

حسنى — أنا مولاتى فداك

والآن هل آخذ نَرج النهار

السيدة نظيفة : إمضى خذيه إنه فى الكرار

حسنى : هيأته سيدتى

السيدة نظيفة : أجـل

حسنى : وما أخرجت لى

السيدة نظيفة : رأس من الثوم وأخـ ـرى من صغار البصلِ

حسنى : والسمن مولاتى ترى

السيدة نظيفة : كأمس لم أقلّلِ

أوقيـة

حسنى : والأرز

السيدة نظيفة : لا . لا يدخلنَّ منزلى

لقـد غلا سعرا ولا يعجبنى السعر الغَـلِى

حسنى : ليتـك بالزيت افتكر ت والدقيق والعسـلْ

السيدة نظيفة : ولِم يا حسنى؟ أراك اليو م عادك الخبـلْ

حسنى : قد اشتهيت لقمة القاضى

السيدة نظيفة : اشـتهتك عقـربه!

وما الذى اشـتريت يا حسنى لنا من الخُضَر

حسنى : (الباميا) كأنهـا الـ ـزمرد الخام الحجـر

السيدة نظيفة : (البـاميا) منـذ متى هذا الخضار قد ظهر

حسنى : جـديدة قلت عسى سـيدتى بها تُسـر

نادى المنـادون عليـ ـها منـذ أسبوع عبر

ترفُـل فى شـوكتها وفى شبابهـا النضـر

السيدة نظيفة : أجـل لقـد أكلتهـا فى منزل الشيخ عمـر

كالذهب الأبريـز والثـوم عليها كالدرر

حسنى : واليـوم تأكلينهـا

السيدة نظيفة : أمرّ من طعم الصـبر

اشـترِيت غـاليـة مثـل البواكير الأُخَر

حسنى : هـدية تلك

السيدة نظيفه : ومن ؟

حسنى : من قريب لى حضر

السيدة نظيفة : من أين جاء ومتى ؟

حسنى : من الصعيد قد بكر

السيدة نظيفة : وبمْ تُرى جزيته ؟ بقبلة مستعجله

امضى فتاتى واطبخى دقيقة مكمّله

كأنها خلية من عسل محمّله

والثوم فيها لؤلؤ وهى به مكلّله

والعظم . .

حسنى : واللحم

السيدة نظيفة : احذرى يتعبنى أن آكله

حسنى : اللحم ياسيدتى فى (البامبا) ما أسهله

السيدة نظيفة : حسنى انظرى

حسنى : سيدتى

السيدة نظيفة : على البلاط وسخ

حسنى : الآن أغسل البلا ط ثم أمضى أطبخ

مشهد

من الفصل الرابع

من رواية البخيلة

في منزل المرحومة الست نظيفة

« تظهر حسنى فى ثوب أسود » .

حسنى لنفسها : رحمة الله على سيدتى وسقى الله ثراها وجزاها

حرمتنى الشاش حتى ذهبت فكستنى الخز فى الموت يداها

وحمتنى الماء حتى احتجبت فَسُقِيتُ الشهد من فيض نداها

صار لى من بعدها منزلها والدكاكين وآلت ضيعتاها

ثروة قد نهض الجوع بها ومشى الحرمان فيها فبناها

(بعد لحظة)

لا . ذاك مال جمال تركته لجمال
وعدت ما كنت من قبل فوطتى هى مالى

* * *

سمعت حديث البخل حتى صحبته زمانا أراه كل حين وأسمع
يروح ويغدو بين عينىّ صورة ويأتى حيالى بالحياة ويرجع

* * *

سيدتى وبخلها فى الحظ سارا كالمثل
يرحمها الله فما أنسى لها تلك الجمل
فى غضب عند الحوا ر واضطراب (وزعل)
وما اختلفنا مرة فى حَمَل ولا جمل
لكن لأجل الثوم كا ن الخلف أو حول البصل
ولم نكن من الدقيق نذ تهى ولا العسل
يرحمها الله وإن لم تأت يوما بحسن
عاشت بثوب واحد كالميْت عاش بكفن
أما أنا فالشاش أو ما دون ذاك فى الثمن
ويذاتى وفوطتى طال عليهما الزمن
وأجرتى عشرون قرشا معَ كثرة المهن

* * *

البئر لا أبرحها خارجة وداخله
صاعدة كالدلو كلّ ساعة ونازله

* * *

طباخة أصنع من لا شىء شيئا نأكله
وأنحنى على البلا ط كل حين أغسله
وكل دكان علىّ أجرها أحصِّله

مجلة (الرسالة) فى ١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٣

آثار شـــوقية

منظر من رواية الست هدى

" السيدة هدى وجارتها زينب تتحدثان فى أحدى حجرات منزل السيدة هدى المطل على مسجد أبى الليف بحى السيدة زينب ، وقد أخذت السيدة هدى تقص على صديقتها حياتها مع أزواجها التسعة إلى أن قالت عن آخر زوج لازال معها " :

الست هدى :

ثم اقترنت بمحام عاطــل ... شريب خمر يحتسيها فى الضحى

قلت دعاويه وقــل ماله ... وأصبح المكتب منه قد خلا

« عبد المنعم المحامى زوج الست هدى وهو سكران يصعد السلم »

عبد المنعم : (مناديا)

هدى ! ضلال أين أنت ياهدى ؟ ... أين العجوز ؟ أين جدتى هدى

الست : وانكدا زينب ! واداهيتا ! ... أتى ولا أعرف من أين أتى

(يشتم فى السلم)

: زينب ! خليــه دعى ... لا تفرضيه غير سكران هــذى

زينب : رأيتــه

الست : وكيف ؟

زينب : من تحت وقد ... كان من السقف أطل وانحنى

وكانت الحارة منا امتلأت ... فأرسل القىء علينا ورمى

الست : القىء . ما ذا قلت ؟

زينب : قلت ما رأت ... عينى وما مر على رأسى وما . .

عبد المنعم : (وهو بالسلم)

هدى ! عجوز النحس ، أنت قردة ... خطوطك الوحل وكلك العمى

الست : سمعت يا زينب ؟

خليــه دعى ... لا تفرضيه غير سكران هــذى

زينب : ومرة جاء أبا الليف ضحى أذّن فى الناس يصلون العشا
فضيحة فى الخط

الست : وا فضيحتا ! ما شهدوا فى الحنفىّ مثلها

عبد المنعم : (ولا يزال بالسلم)
هدى تعالى ياعتيقة اظهري عندى لك النعل وهذه العصا

الست : سمعت يا زينب ؟

زينب : خليه دعى لا تفرضيه غير سكران هذى

الست : دعيه يهذى ما يشا غدا ترين ، زينب
فبى غد لى وله شأن . غدا يؤدّب

زينب : وما الذى عزمت يا حبيبتى أن تصنعى

الست : أقذف فى القسم به وأشتكى وأدّعى
إن رجال القسم والنا ئب والقاضى معى

الست لزوجها: لتَندَمَنَّ يا لُكع يا من يقوم ويقع

عبد المنعم : (وقد سمع صوتها)
ماذا سمعت ؟ صوتها ! أأنت بومتى هنا ؟
الآن يا جميزة الـ خط أريك من أنا

زينب : هدى حبيبتى اسمعى تعالَىْ اهزلى معى

الست : أنا ؟

زينب : اسمعى دعيه

الست : لا

زينب : دعيه يا هدى دعى
لا تغضبيه إنه ممتلئ ليس يعى

عبد المنعم : هدى ! هدى ! أين هدى ؟ أين العجوز الباليه
خداك ضفدعان قد أسنّا وأذناك عقربان من قِنا
وحاجباك والخطوط فيهما كدودتين اكتظتا من الدما
وبين عينيك نِفار وجفا عين هناك خاصمت عينًا هنا

الست : دعينى أُقَطّعْ عليه الحذاء وأجز الوقاح على ذنبه

دعني أضـربه حتى يفيق فلا بدّ زينب من ضـربه

زينب : قد جاء .. هيا نتـقى جنـونه وهوسـه

ففى يمينه العصـا وفى الشمال المكنسه

الست : سـكران بضـربْ إذن لنهرب . هـلمَّ زينبْ

هـذه حجرة نـومى أسـرعى زينب فيهـا

نحن يا زينب لانكـ ـبح سـكران سفيهـا

(وتدخلان الحجرة وتستتران وراء الباب وعبد المنعم يدخل مترنحا)

قصيدة لم تتم

فى ابنته أمينة

يا شبه سيدة البتو ... ل وصورة الملك الطهور
نسّى جمالك فى الإنا ... ث جمالَ يوسف فى الذكور
زينُ المهود اليومَ أنـ ... ـتِ وفى غد زين الخدور
إن الأهلّة إن سَرَت ... سارت على نهج البدور
بأبى جبين كالصبا ... ح إذا تهيّأ للسفور
بقيت عليه من الدجى ... تلك الخيوط من الشعور
وكرائمٌ من لؤلؤ ... زَيَّنَّ مرجان النحور
سبحان مؤتيها يتا ... ئم فى المراشف والثغور [1]
تَسِقِ وتُسقَى من لعا ... ب النحل أو طَلّ الزهور
وكأن نفح الطيب حو ... ل نضيدها أنفاس حور [2]
وغريبة فوق الخدو ... د بديعة من ورد جُور [3]
صفراء عند رواحها ... حمراء فى وقت البكور [4]
قبّلتها وشممتها ... وسقيتها دمع السرور

---

(١) اليتائم : الأسنان اليتيمة . (٢) يقال تنضدت الأسنان أى تراصفت .

(٣) جور بالضم مدينة بفارس واليها ينسب الورد الجورى . والفوف بالضم جمع فوفه . ابن الأعرابى : الفوف ثياب رقاق من ثياب اليمن موشاة, وهو الفوف بضم الفاء و برد مفوّف أى رقيق أو فيه بياض . وقول ابن الأحمر :

والفوف تنسجه الدبور وأتـ ... ـلال ملمعة القرا شقر

الفوف الزهر شبهه بالفوف من الثياب تنسجه الدبور إذا مرت به . وأتلال جمع تل . والملمعة من النور والزهر . والملمع من الخيل وغيره : الذى يكون فى جسده بقع تخالف سائر لونه .

(٤) صفراء أى الخدود .

الصياد والعصفورة

حكاية الصيَّاد والعصفوره ... صارت لبعض الزاهدين صُورَه

ما هزأوا فيها بمستحقّ ... ولا أرادوا أولياء الحق

ما كل أهل الزهد أهل الله ... كم لاعب فى الزاهدين لاه

جعلتها شعرا لتلفت الفطن ... والشعر للحكمة مذكان وطن

وغير ما يُنظم الأديب ... ما نطقته ألسُن التجريب (1)

* * *

ألقى غلام شركا يصطاد ... وكل من فوق الثرى صياد

فانحدرت عصفورة من الشجر ... لم ينَهَها النهى ولا الحزم زجر

قالت : سلام أيها الغلام ... قال : على العصفورة السلام

قالت : صبىٌ منحنى القناة ... قال : حنتها كثرة الصلاة

قالت : أراك بادىَ العظام ! ... قال : بَرَتها كثرة الصيام

قالت : فما يكون هذا الصوف ... قال : لباس الزاهد الموصوف

سَلى إذا جهلت عارفيه ... فابن عبيد والفُضَيل فيه (2)

قالت : فما هذى العصا الطويله ... قال لماتيك العصا سليله

أهشّ فى المرعى بها وأتكى ... ولا أردّ الناس عن تبرُّك

قالت أرى فوق التراب حبَّا ... مما اشتهى الطير وما أحبا

قال : تشبهتُ بأهل الخير ... وقلت أقرى بائسات الطير

فإن هدى الله إليه جائعا ... لم يك قربانى القليل ضائعا

قالت : فخُذ لى يا أخا النسك ... قال : ألقُطيه بارك الله لك

فصليَتْ فى الفخ نارَ القارى ... ومصرعُ العصفور فى المنقار

وهتفت تقول للأغرار ... مقالة العارف بالأسرار :

إياك أن تغترّ بالزهّاد ... كم تحت ثوب الزهد من صياد

---

(1) التجريب كالتجربة مصدر جرب . (2) عمرو بن عبيد صوفى معتزلى ولد سنة ٨٠ ه . وكان شيخ المدينة . ولما مات رثاه الخليفة المنصور . قال أبو جعفر المنصور لعمرو بن عبيد : أبا عثمان أعنى بأصحابك . قال : ارفع علم الحق يتبعك أهله . ثم خرج ابن عبيد فأتبعه أبو جعفر بصرة فلم يقبلها وجعل يقول :

كلكم خاتل صيد * كلكم يمشى رويدا * غير عمرو بن عبيد

أما الفضيل بن عياض فهو من أئمة الصوفية وشيخ الحرم المكى . كان عالما بالحديث وعنه أخذ الإمام الشافعى . ولد عام ١٠٥ ه وتوفى سنة ١٨٧ ه .

المضاربة

ضُربت بالمضاربين الطبول[1]   حيث كل بأمرهم مشغول

كلَّ يوم يمضى غنىٌّ وجيه   وعلى إثره سرىٌّ جليل

ويبيع الأثاث من ليس بالمثـ   ـرى ولكن حـدا به التطفيل

كان من ثروة البلاد قليل   بعـد عام يزول ذاك القليل

ذهب النقد والعقَار جميعا   يا سَراة البلاد أين العقول

لو يكون الغِنَى كما قد زعمتم   كانت الكيمياء لا تستحيل

يحسدُ البعض بالمكاسب بعضا   حسدا كلكم به مقتول

من يكن يطلب الخراب حثيثا   فالخراب الحثيث تلك السبيل

إن فيها لعبرةً لو عقلتم   ليس بعد الصعود إلا « النزول »

ليس بين الغنى الى الفقر إلا   قولة الشؤم من وسيط يقول

شوقى

---

(١) المضاربون المتاجرون فى المال . والمعنى غير واضح . يقال ضرب بالطبل والضارب بالطبل . وضرب الشىء بالشىء : خلطه . وضرب الشىء : تحرك . وضربت الأرض ، مجهولا : أصابها الضرب أى الصقيع . يريد أن ضجة كبرى كانت قائمة حول المضاربين بسبب ما جرته المضاربات من خراب وانتحار بعض التجار . وقد كتب مطران فصولا كثيرة فى هذا الموضوع فى (الجوائب المصرية) . ونظم حافظ ابراهيم قصيدة رائعة فى (البورصة) فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٠٤ (ببابك النحس والسعود * وموقف اليأس والرجاء) جاء فيها :

مضاربات هى المنايا   ورسلها أحرف البروق

صبوح أصحابها الرزايا   ومالهم دونها غبوق

هبوطها الموت . والصعود   ضرب من البؤس والبلاء

ومالها عندهم عهود   إلا كما تعهد النساء

(مقتطفات من الجزء الثانى من الشوقيات)[1] .

وكتب الى صديقه السرى الهمام محمد بك عرفى تهنئة ببكره مصطفى عرفى

مشـيئة الله كانت   وجاء خـير البنينا
مباركا لأبيـه   وآلـه أجمعينا
الله يلـقى عليـه   محبـة العالميـنا
ويجعل الخـير فيه   عمرا ودنيا ودينا
ويا ابن عثمان بشرى   بالبكر فى الصالحينا
إنا ولدنا وكنا   من قبلكم واجدينا
إن الأبوة عبء   يئـوء بالحاملينا
من العنـاية طورا   الى الرعاية حينا
وسوف نسأل عنها   فى العيش أو عابرينا
ربـوه بالله فيا   يشرف المسـلمينا
وخرجـوه علـيا   وأنشـئوه مبينا
وقوموه كريما   على الزمان معينا
لا يلفظ اللفظ طيشا   ولا يذيل اليمينـا
ولا يخون صديقا   ولا يمين قرينـا
ولا يصغر جنسا   ولا يحقـر دينا
ويصحب الناس راض   ين عنه أو جاهلينا
لعـل فيهم مفيدا   لعـل منهم ثمينـا
وأن يكون وفيا   وأن يكون أمينا
وأن يكون باوطا   نه حفيا ضنينـا
فإن أتى كل هـذا   حـذا مثالك فينـا

(١) إشارة إلى أن شوقى كان يفكر فى إصدار الجزء الثانى من الشوقيات .

قال أحمد شوقى بك شاعر الأمير مشيرا إشارة مزاح ومباسطة إلى صديقيه القاضيين حفنى ناصف وصدقى حسين حين نُقل أولهما إلى طنطا والثانى إلى محكمة أسيوط

ليلة الأمس قد ذهبت وماتذ هب رؤيا أقصها شر رؤيا
ذاك أنى حلمت بالمتنبي صار فى مصر قاضيا أهليا
خيروه فقال طنطا أحب المد ن فى هذه البلاد إليا
فوجدت الصواب فى الرأى أنى أهجر الشعر والقوافى مليا
هو قد بذَّ قائل الشعر ميتا كيف يلقاه قائل الشعر حيا
وتأملت فى مصيبة حفنى يوم للحكم يجلسان سويا
هو عادى كرسىّ كافور عمرا هل يصافى لناصف كرسيا
جاءنى صاحبى يقول ببلاء كنت والله عن بلاء غنيا
قلت نرجو من ناظر العدل يُقصيه بأسيوط مبعدا منفيا
إن فيها لشاعرا لك حرا وأراه بالذَّوْد عنك حريا
مُزْه يمسخ له ولو شطر بيت قال أخشى انقلاب ذاك عليا

* * *

أصبح الصبح زيد(صدقى)وقالوا ناصف عاد قاضيا جزئيا

(الظاهر والمواهب المصرية) فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤

رثاء منشاوى باشا (١)

قضى أريحى القوم والقوم من هو ... فكل لبيب بين جنبيه مأتم

غدا وغدونا والحياة تضمنا ... وَرُحنا وكم من ميِّت لا يقوّم

فهل خطب الأبرار بالليل ودّه ... فأصبح فيهم راضيا يتنعم

ألا إنما الدنيا نهار وليلة ... يذيعان ما تخفى الغيوب وتكتم

ولم تر منذ الدهر للناس عبرة ... إذا ضحك الباكى بكى المتبسم

أبا يوسف فى كل ناد مناحة ... أرامل تبكى أو عوائل تلطم

تغيّر للاحسان والجود معهد ... ونكّر للعرفان والعلم معلم

لئن مت فالإنسان لا بد ميت ... ولكن رزء الناس بالحر مؤلم

وما عاش مجهول المكان محقر ... وما مات مرفوع المنار معظم

وما المال إلا غصة فوق غصة ... إذا ما سقى المرء القضاء المحتم

وإن الفتى فى عيشه ما سعى له ... وإن الفتى من بعده ما يقدّم

فما كان عند الناس فالناس ألسن ... وما كان عند الله فالله أكرم

سراة بنى مصر طوى الموت حاتما ... فهل حاتم من جمعكم يتقدّم

خذوا الخير عنه وافعلوا مثل فعله ... فَلَلْخَيرُ فى الدارين زين ومغنم

أما وعظتكم ميتة زلزلت لها ... جوانب مصر والخلائق نوم

أما راعكم نعش حوى ذلك الغنى ... وما فيه دينار ولا فيه درهم (٢)

ويا أحمد الخيرات إنى ارتجلتها ... ودمعى ارتجالا خلف نعشك تسجم

بكيت على الحر الهمام وفقده ... وهل حيلتى إلا البكا والترحم

وما الشعر إلا رجع حس وخاطر ... فمن خانه وجدانه خانه الفم

نفثتها رثاء من وفى ولوعة ... يبثك إياها الفؤاد المكلم

---

(١) مات المحسن الكبير أحمد باشا المنشاوى فى يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩٠٤ . وشيعت جنازته فى يوم ٢٠ . ونشرت قصيدة شوقى فى يوم ٢٢ فيكون نظمها قد استغرق يومين . جاء فى (الواعظ) بتاريخ ١٣ ديسمبر : « وقف (المنشاوى) نحو أربعة آلاف فدان على كثير من وجوه الخيريين مساجد ومدارس ومستشفيات وملاجئ وجمعيات خيرية تشمل عنايتها غير هذا إعالة الفقراء وإعانة البيوت التى أضنى على مجدها الزمان » .

(٢) هذا بيت نجم .

لقد كانت الآمال فيك كثيرة ... وهل تنقض الآمال والله مبرم
وما ابنك إلا الخير من صلب خير ... فلِمْ لا يرجى فيه أو يُتوسم
ستعليك ذكرا فوق معن وحاتم ... أياد على هذا الأنام وأنعم

* * *

(قال فى النياشين الفرنسية)

يحمى فرنسا فتية ... ما منهمو إلا أسامه[1]
حاطوا الحمى الغالى كما ... حاطوا من الحق الدعامه
لما أصاروا النوط فى ... يوم الفخار هو العلامه
كانوا الحمائم قبل أن ... تحلو[2] من الطوق الحمامه
يا من يذود عن الحمى ... نلت العلامة والسلامه

(وقال فى الهلال العثمانى)

مررنا بالهلال على كريد ... وقد ملأ الفضاء بها جمالا
بدوا والركب فى شوق إليه ... يضىء لنا رُباها والجبالا
فهلل رفقتى واستقبلوه ... كما يُستقبل الملك احتفالا
فقلت رويدكم هلا ذكرتم ... شبيها كان أمس هنا فزالا
فلم أر فى وجوه القوم شيئا ... ولم أر مدمعا للقوم سالا
فقلت الأمر للمولى تعالى ... يصرف ملكه حالا فحالا

(وقال مقرظا ريشة صادق)

لله ريشة صادق من ريشة ... تزرى طلاوتها بكل جديد
كست الكتابة فى المشارق كلها ... حسنا وفكتها من التقييد
تهدى لحسن الخط كل مقصر ... وتمدّ فى الإحسان كل مجيد
أغلى لدى الكتّاب إن ظفروا بها ... من ريشة الألماس عند الغيد
وألذّ فوق الطرس إن خطرت به ... من ريشة الليثىّ فوق العود
وتكاد تحيي (مؤنسا) بصريرها ... وتقول أيام ابن مقلة عودى
لو لم يكن فى الأمر إلا أنها ... مصرية لأستوجبت تمجيدى

(١) أسامة من أسماء الأسد . (٢) حلا يحلو صار حلوا أو لذيذا فى الفم . وحلى (بكسر اللام) يحلى ، فى العين والقلب : أعجب . وحلى منه بخير وحلا : أصاب منه خيرا .

(الصاعقة) في ٢٢ فبراير سنة ١٩١٧

جزاء الإحسان بالكفران

" أسمعني سعادة شوقي بك وذاقه غربته هذه الأبيات، ولم أعلم أهي له أم هو يرويها، وقد قالها حين حدثناه بلئيم قابل الحسنة بالسيئة والإحسان بالكفران والعطية بالهجاء " :

رأيتُ على صخرة عقربا ... وقد جعلت ضربها ديدنا

فقلت لها إنها صخرة ... وطبعكَ من طبعها ألينا

فقالت صدقتَ ولكنني ... أردت أعرِّفها من أنا

* * *

(الجلة المصرية) — في ١٥ فبراير سنة ١٩٠٢

وقف بلا وقفية

لك يا عشور (١) مكارم ... عن الغيوث المظمئه

قالوا وهبت ولم تهب ... للعروة الوثقى مئه

من خير ما جمعت لك الـ ... ـبهم الغزاة من الفئه (٢)

فرأيت كل صحيفة ... سارت بذلك منبئه

وسمعت كل جماعة ... يتبادلون التهنئه

بَرِئَ نوالك يا عشـ ... ـور فذا أوان التبرئه

حسنات وعدك كلها ... في جنب خُلفك سيئه

النديم

(١) البدراوي عشور من كبار الأغنياء .

(٢) البهمة : الشجاع الذي يستبهم على أقرانه مأتاه ج بهم . الفئة : الطائفة .

شوقيـــة لم تتم

ثورة ســـــنة ١٩١٩

تفضل علينا الأستاذ الأديب محمد عبد الرحمن الجديلي بالقصيدة التالية التي نظمها شوقي في ثورة ١٩١٩ ولئن كانت هذه القصيدة غير كاملة كما يبدو لنا إلا أنها كأثر من آثار شوقي ، أو كقطعة من أثر ، أصبحت من تراثنا الأدبي الذي نعتز به . وقد نشر حسين شوقي في كتابه (أبي شوقي ١٩٤٧) أحد عشر بيتا من هذه القطعة .

قم الى الأهرام واخشع واطّرح ... خيـلة الصّيد وزهو الفاتحين [1]

وتمهّـل إنما تمشي على ... حـرم الدهر ونادى الأولين

وارتق الأحجار واصعد منبرا ... لم يُسخَّر لأمير المؤمنين

ادعُ قومي من ذرى أعواده ... لخـلال كالصباح المستبين

قل لهم عهدي فيكم أمةً ... عرفوا الحق وقوما صابرين

عطف الدهر على ثورتكم ... ولوى الناس عليها معجبين [2]

هزت الليث ولما يصح من ... دم فليوم وصيد آخرين [3]

فرأى ما لم يقع في وهمه ... مصر تستكبر والألمان دِين [4]

ثورة أقبلت السلمُ بها ... عجبُ الرائين سحرُ السامعين

قام رهط منكم فاقتحموا ... كبرياء الفاتحين الظافرين

جحدوا السيف وردّوا حكمه ... عُزّلا إلا من الحق المبين

همة تكتبها مصر لهم ... إن أبيتم أن تكونوا الكاتبين

استخف الليثُ إجماعكم ... وهو نابُ العَجم الداهي الرزين [5]

فزأرتم زأرة أقعى لها ... وأجال اللحظ فيهم يستبين [6]

---

(١) الخيلة بفتح الخاء وكسرها : الظن . والصيد جمع أصيد وهو الرجل الذى يرفع رأسه كبرا . والملك لأنه لا يلتفت من زهوه يمينا وشمالا .

(٢) الشطر الأول رواية حسين شوقي (عطف العصر على نهضتكم) .

(٣) صحا أفاق .

(٤) قوم دين (بكسر الدال) أي دائنون بمعنى خاضعين .

(٥) ناب القوم سيدهم يقال « هو ناب العجم والعرب » . والداهي الأسد والكلام عائد على الليث (الأسد البريطاني) وانجلترا سيدة الغرب .

(٦) أقعى الكلب والذئب والليث جلس على استه أو جلس على أليتيه ونصب فخذيه .

سعيدا منكم [illegible] ... أصبحوا الهند وتمسوا «الصين فين»[1]

[illegible] ... ووزير يتولى الثائرين

وشباب من [illegible] ... قال تحمل أوذنت بالمعتدين[2]

وجموع [illegible] ... [illegible] بالمواضي معلنين

زادهم [illegible] ... كطعام العضب والرمح السنين[3]

---

(١) (الصين فين) [illegible]

(٢) في [illegible] (أوذنت) بدلا من (أوذنت) ولعلها غلطة مطبعية .

(٣) [illegible]

بين يدى الرئيس

« (أمير) من أمراء البيان و (علم) من أعلام البلاغة ملك ناصية الشعر فاطاعته المعانى وقامت فى أبياته كالخدم، له علم بما فى نفس الدكتور محجوب ثابت من الخواطر ومعرفة بما يناجيه به نفسه حتى كأنه طبيب جراح ينظر فى قلبه و يقرأ فيه ضميره ويحيط بما يساوره من سانحة وما يصدر عنه من بارحة، تخيل أن الدكتور بين يدى الرئيس الجليل صاحب الدولة سعد باشا زغلول يفضى اليه بأسراره، و يشكو ما يجد من آلامه، و يبث ما يناجى من آماله، فترجم عن جنانه، وأطل هذا القمر من سمائه، وسطع هذا النور فى عليائه، وقال بلسانه أعز الله به دولة الأدب، ورفع شأن لغة العرب » :

بيت الأمة اعقل المطيا . وفى دهليزه أطرق مليا [1]
وألق سبال ذقنك فيه وانشق تراب الساحة الكبرى ذكيا [2]
وأد الى « الجزيرى » التحايا وسله ينل لك الإذن العليا [3]
وحملق فيه حين يهز عطفا تجد تحت الغلالة سمهريا [4]
وقل لم أدر أنت أم « الجديلى » ألذ تقمصا وأحب زيا
وإن يحصل اليك الإذن فاصعد تجد دَرَجًا يبلغك الرقيا
هناك دع التبهنس كابن سينا ولا تتبختَرَنَّ زمخشريا [5]
ولا ترقص إذا أنشدت شعرا فإن الرقص آذى البحتريا [6]

---

(١) الظاهر أن الدكتور محجوب يخاطب نفسه على طريقة الشعراء قديما . (٢) السبلة محركة : مقدم اللحية . وما أسبل منها على الصدر . ج سبال . (٣) الجزيرى : سكرتير سعد باشا .

(٤) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضا . والسمهرى : الرمح الصلب .

(٥) بهنس وتبهنس : تبختر ومنه قول ابن عوانة يصف الأسد :

تبهنس إذ تقاعس عنه مهرى محاذرة فقلت عقرت مهرا

(٦) قال الصولى : « حدثنى أحمد بن جعفر جحظة قال حدثنى أبو العنبس الصيمرى قال كنت عند المتوكل والبحترى ينشده : عن أى ثغر تبتسم وبأى طرف تحتكم

حتى بلغ الى قوله : قل للخليفة جعفر الـ متوكل بن المعتصم

أسلم لدين محمد فاذا سلمت فقد سلم

قال وكان البحترى من أبغض الناس إنشادا ، يتشادق و يتزاور فى مشيه . مرة جانبا ومرة القهقرى . ويهز رأسه مرة ومنكبيه أخرى . ويشير بكمه و يقف عند كل بيت . و يقول أحسنت والله ؛ ثم يقبل على المستمعين فيقول ما لكم لا تقولون أحسنت . هذا والله ما لا يحسن أحد أن يقول مثله . فضجر المتوكل من ذلك وأقبل على وقال : =

وقـــل يا واهب الرتب العوالى … متى وعسى تبلّغنى «النـديا»[1]

وراسك لا انفرت وان تراى … جش حلقى ما دمت حيـا[2]

ولا قرقرت أو بربرت يوما … كما هيجت ديكا مالطيـا[3]

ولا سمع الجماعة غير أنى … أبى السـودان قطرا أجنبيا

برئت اليك من خلطى وخلطى … وما لفـق الواشى عليـا

وجئت إليـك أشكو من هموم … مؤرقة فهـل تُصغى إليّـا

لقد ضاقت بى الدنيا فسيحى … فقـد تسع المنـافق والتقيا

فكم خصم عطفت عليه حتى … [illegible] فى ولايتك الوليـا

فهبنى كنت خصما أو صديقا … أليس الصفح مذهبك الرضيا

لعلك قد علمت وفاة «مكسى» … وكيف مضى وخلّف لى عليـا[4]

و (أوفرلند) أدركها كُساح … [illegible] كساحها فى ركبتيا[5]

وخطب الصيدلية كان أدهى … وأنكر موقعـا فى مسمعيا

[illegible] ما تسمع يا [illegible] ما أقول ، فقلت بلى يا سيدى [illegible] .. فقال عبادة أجد على هذا الروى أنشدنيه ، فقلت [illegible] أن يكتب ما أقول [illegible] ، وحضرنى على البديهة أن قلت :

أدخلت رأسك فى الرحم … وعلمت أنك تنهـزم

يا [illegible] [illegible] … [illegible] من تناقضة ضـخم

فلقـــد أسـلت بوادى … [illegible] من الحجا سيل العـرم

فبـأى عرض تعتصـم … وبهتكه جف القلـم

والله حلفـة صادق … [illegible] أحد والحـرم

وبحـق جعفر الإما … م ابن الإمام المعتصم

لأصيرنك شـهرة … بين المسيل إلى العلم

حيث الطلول بذى سلم … حيث الأراكة والخيـم … الخ .

قال فغضب وخرج يعدو وجعلت أصيح به :

أدخلت رأسك فى الرحم … وعلمت أنك تنهـزم

والمتوكل يضحك ويصفق حتى غاب عن عينه » .

(1) البرلمان . وقد انتخب الدكتور محجوب ثابت عضـوا فى مجلس النواب نائبا عن مينا البصل بالإسكندرية فى يناير سنة ١٩٢٧ [illegible] . (2) [illegible] (أقرب الموارد) : الفشار بضم الفاء : الهذيان وليس من كلام العرب [illegible] . جش رأسه : حلقه .

(3) بربر القـوم : أكثروا الكلام فى غضب وصاحوا . والبربار : الكثير الكلام بلا منفعة ، والصياح والأسد . وقرقر البعير : هـدر وصفا صوته . و [illegible] الحمامة : صاتت . و [illegible] الدجاجة : رددت صوتها . وقرقر الرجل فى ضحكه : استغرب ورجع فيه .   (4) على سايس الحصان . ومكسى : مكسويني حصان الدكتور .

(5) أوفرلند : سيارة الدكتور .

رحلت وفى العيادة كل شىء وعدت فما وجدت هناك شيا
خلت من كل ما فيها كأنى أقمت الفأر فيها صيدليا
ولى مرضى من العمال كُثر إذا الأسطى مضى بعث الصبيا
أحررها تذاكر ليس تُحصى وما من ذاك شىء فى يديا

* * *

(الكشكول) فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٢٦

كان الكشكول ينشر فى أغسطس وسبتمبر مقالات لاذعة تحت عنوان (حزب المرائين) . وقد نشر فى مقاله الرابع، عدد ٧ سبتمبر سنة ٢٦ ما يأتى :

" الدكتور محجوب ثابت — سأقول لكم قولا ما قلته لأحد قبلكم قط . الوظيفة قوام الحياة وقاعدة المعيشة ، ولا يقدر على فراقها من يقعد فيها . ومن فارقها فقد فارق قرة عينه وقُطعت قطعة من قلبه ، ولا يقوم مقامها إلا عضوية البرلمان . كان ذالق (يعنى ذلك) قضاء مقضيا وقدرا مقدورا .

نسيم باشا — والله صحيح الدكتور محجوب ثابت حقه يمسك وظيفة إذا كان مش يروح البرلمان .

الدكتور محجوب — أقبل قعر قندرة سعد باشا ويقعدنى فى مجلس الشيوخ أو يقبلنى فى وظيفة رئيسية . يافوم أنا حق ألق دقتور مستشفى .

محمود باشا سوسة — مدير مستشفى المجاذيب بدل وارينوك .

الشيخ بخيت — نعم نعم .

هذا هو الأمل المأمول قد برقا وحبذا لو يكون الحلم قد صدقا
وأن أعود إلى الإفتاء ثانية فأكتبنّ فتاوينا على الورقا "

وفى عدد يوم الجمعة ٢٤ سبتمبر نشر الكشكول القصيدة الآتية ومهد لها بما يأتى :

" جالت فى نفس الدكتور محجوب ثابت خواطر فى الرد على جلسة (المرائين) التى ورد فيها اسمه ففاضت تلك الخواطر على لسان ذلك الشاعر « الأكبر » حامل لواء الأدب فى بلاد العرب فقال » :

يمينا بالطلاق وبالعتاق [(١)] من الدنيا المعلقمة المذاق .

(١) العتاق : الخروج عن الرق .

ولا حارة من ظهره متكى له	بمستويات الإمام وعظم ساق
وتربته وكل الخبز فيها	وأصحابه الشريفة للسباق
وبالكتب الطوال وما حوته	وإن لم يبق في الأذهان باق
وكسرى الشرو إذا اشتدت شعرا	وطول القاف واسعة النطاق
وما لونت الدولات وجهي	ولم ألبس لها ثوب الرياق (١)
بوقت ضاعت الأخلاق فيه	وأصبحت السلامة في النفاق
أيشتمني سليمان بن تبوتي	وتخويه في يدي ومعي «تباق» (٢)
وتحت يدي من المال المجمع	بالصفر ذيله عند التلاق
ولسنا في البيان إذا جرينا	لأسبق غاية فرسي سباق
تُقاق ذقنه من غير بحبوحة	فلما رأى تبيض ولا تقاق (٣)
وتحلاق اللحى ما كان رأيي	ولا قص الشوارب من خلاق
أنا الطيار رجل في دمشق	إذا اشتدت ورجل في العراق
أنا الأسد الغضنفر يلد أني	لتسبيق الجآفر في الرباق (٤)
ألا «طز» على السيور «طزة»	وزان أبدى بهاملة الرفاق
بقارعة الطريق ينال مني	ويوسعني خناقا في الزقاق
وليس من الغريب سواد حظي	وبالسودان قد طال التصاق
نحست فلو دعيت لأجل فتق	وجدت «قليطة» تحت الفتاق
ألم تر أنني أعرضت عنه	وصار لغير طلعته اشتياق
أذم القبعات ولابسيها	وتمجيني الشوادن في الطواق (٥)
وأوعز بالطيالس والجلابيب	يحمله بهم إلى عصر التباق
فسبحان المفرق حظ قوم	قناطيرا وأقوام أواق
وقوم يرتقون إلى المعالي	وقوم ما لهم فيها مراق
وأصحاب القناطر والرياض	وأصحاب المزارع والسواقي

(١) الرياق : الرياء . (٢) البية والطباق . (٣) تقاق : تقول العامة عن الدجاج : تكاكي . وقد وجدنا في اللسان : النيق والنقنق والنقوق (بالفتح) : صوت الغرغرة إذا أرادت السفاد وهي الدجاجة النقاقة . والنقاقة : أصوات الغربان . والعامة تسمى ضربة الغراب كالكلك كالك . (٤) الرباق جمع ربقة (بكسر الراء) . والربقة : القربة من الربق ج ربائق والرباق : حبل فيه عدة عرى يشد به البهم كل عروة منه . يقال ربق الشاة والجدي (على وزن نصر وضرب) : شده في الربقة . (٥) الشادن : ولد الظبية .

وأيد لا تكاد تصيب خبزا   وأيد لا تُسل من الرقاق
وعيش كالزواج على غرام   وعيش مثل كارثة الطلاق
أمور يضحك (السعداء) منها   ويبكى البلشفىّ والاشتراق

* * *

تعقيب

أعادت (الأهرام) فى عدد ١٨ مايو سنة ١٩٥٥، أى بعد مرور أكثر من ثلاثين عاما على نشرها فى الكشكول، نشر القصيدة تحت عنوان (الدُّعابة فى شعر شوقى). قالت : « هذه شوقية لم تنشر (!) وافانا بها الأستاذ وهيب دوس أطال الله حياته، وقد كان من أصفياء أمير الشعراء أحمد شوقى طيب الله ثراه . وقد قالها شوقى على لسان الدكتور محجوب ثابت فى مناسبة خلاف بينه و بين الأستاذ سليمان فوزى صاحب الكشكول رحمهما الله، فقد جرى الثانى على أن يهاجم الدكتور فى (الكشكول) فاذا التقيا فى « صولت » حاول المرحوم شوقى والأستاذ وهيب مصالحتهما ، وكان الدكتور يثور لذلك و يقول « يشتمنى فى زفة ويصالحنى فى عطفة » . وقد حرص شوقى فى هذه القصيدة على التزام القافات المحجوبية ، وإن غير لذلك وضع الألفاظ ، وعلى الرغم من أنه نحا فيها نحو الفكاهة ، فانها لم تخل من صورة اجتماعية فى نهايتها » .

وقد ظهرت القصيدة فى (الأهرام) فى أعقاب المقدمة السابقة وفيها أخطاء كثيرة أهمها قوله (وبالدنيا) بدلا من (من الدنيا) فى الشطر الثانى من البيت الأول و (رزقا) بدلا من (خبزا) فى البيت الخامس والعشرين . كما أن البيتين السادس والسابع ، وفيهما صورة اجتماعية، لا أثر لها فى رواية الأهرام أو رواية الأستاذ وهيب دوس .

خير التهانى بمولد ولى العهد

« هنا حضرة نابغة شعراء العصر أحمد شوقى بك مولانا الخديوى ودولة الحرم المصون بقصيدة مطولة لم نقرأ حتى الآن منها إلا ثناء الأفواه عنها و إعجاب النفوس بها . ولكننا حظينا منه صباح اليوم بقصيدة جزلة وجيزة يهنئ بها حضرة صاحبة الدولة والعفاف أميرتنا والدة الخديوى المعظم بذلك للمولود الكريم . ووصف فيها الليلتين الزهراوين اللتين ازدانت بهما سراى عابدين » :

الله أعطى عهد مصر محمدا ... والله إن أعطى أعز وأيدا

شرف على شرف وسنة منعم ... ما كان يسديها إلى عبد سدى

وإذا أظل الله طفلا عرشها ... جعل الأسرة[1] مهده والمرقدا

صبح البنين إذا علوا فيها وهم ... فالأمهات وما يلدن له فدا

نرجوه [illegible] لعصر [illegible] ... ولربه عصر فى المهود تجددا[2]

ونعد منهم بعد حين ساعدا ... ونعد منه بعد حين مبتدا

ولئن تعذر أن نهيئ خيرهم ... فمن الأبوة أن نحب ونرشدا

للمرء فى الدنيا مقاصد جمة ... جُمعت فكان النسل منها المقصدا

فإذا وفدت على الوجود فكن أبا ... أو كن خيالا فى الوجود مشردا

فرحت قلوب الأمهات وفتحت ... لحفيدة الأمراء جدتهم غدا

للأصل طهرا والفروع كريمة ... والبر حقا والحنان مؤكدا

يا ربة التاجين عن آبائها ... عن ماجد عال عن ابنٍ أمجدا

يتألقان الدهر هذا بالعلى ... حالٍ وهذا بالفضيلة والهدى

جددت صفو الملك بالنعم التى ... صحبت ظهور الجود ميلاد الندى

وبليلتين أضاءتا [illegible] ... كانت لنا أفقا وعزك فرقدا

ما زال قصر الملك يشرق فيهما ... حتى حسبنا الصبح حالا سرمدا

تتقابل الأعلام فى شرفاته ... وتخر للشرف المؤثل سجدا

---

(١) الأسرة هى العرش جمع سرير [illegible] والسرير أيضا : خفض العيش . والمرقد والمضطجع .

(٢) الهبة : اليقظة .

والعرش فى عيد بصاحب عهده ... والتاج خلف العرش يحيي المولدا
وترى البلاد به بناء وجودها ... وعمادها ومنارها المتوقدا
قالوا السماك فقلت خطرة شاعر ... من للسماك بأن يُقل السؤددا
قالوا الثريا قلت قد قيست بها ... شرفاته فاختار ثم تقلدا
من للكواكب أن تكون كمثله ... حرما برفرفك الأمين ومسجدا (١)
أو من لها أن تستعد وأن تُرى ... عقدا بأفراح الأمير منضدا
أم هل هى الدنيا التى قد أمّها ... شغلت كما شغل الأحبة والعدى
الشمس كان لها حفيد فى الورى ... وحفيد هذا العز أشرف محتدا
كانت وعود الدهر بين شفاهه ... فافتر عنه فاقتبلتِ الموعدا (٢)
ومشى إليكِ يتوب عن هفواته ... عبدا فرديه بعفوك سيدا

تعليق

خير الشعر ما صوّر عظمة الأبوّة أو الأمومة وتضحياتها وهى تنوء بحمل البنين وتحوطهم بحنانها وحبها ، وتقلق لهم كلما بعدوا أو مرضوا أو هبت الريح على واحد .

وقد عَرَف شوقى الأبوّة فأبدع فى تمثيلها فى خلال المديح والتهنئة وتجلت إنسانيته . تكلم شوقى عن ولى العهد وأبناء البلاد وقد قرن بينه وبينهم بلباقة وبيان :

صبح البنين . إذا غدوا . ونهارهم ... فالأمهات . وما يلدن . له فِدا
نرجو به . وبهم لمصر . بعثة ... ولرب عصرٍ . فى المهود . تجدّدا
ونعدّ منهم . بعد حين . ساعدا ... ونعدّ منه . بعد حين . مبتدا
ولئن تعذر . أن نُهيِّئ . خيرهم ... فمن الأبوّة . أن نحب . ونرشدا

هذا قول شاعر حكيم وشاعر فيلسوف عن الأبوّة ومدى سلطانها . ومسؤوليتها فى الحياة . ولا أظن شاعرا غير شوقى بلغ القمة فى تصوير معانى الأبوّة بفناء شعره إعجازا وسحرا حين يقول :

---

(١) الرفرف : شبه الطاق يحمل عليه طرائف البيت وركن الخباء . وما تهدل من أغصان الأيكة . والحرم : ما يحميه الرجل ويقاتل عنه . والمسجد : مكان السجود . الساجد ينحنى واقفا والراكع : يخر على الأرض جاثيا .

(٢) افتر : تبسم وضحك . وافتر البرق : تلألأ . اقتبل : استأنف . والموعد : العهد ومنه القرآن (وأخلفتم موعدى) أى عهدى .

المرء . فى الدنيـا . مقاصد جمة   جُمعت . فكان النسل . منها المقصدا
فإذا وقدت . على الوجود . فكن أبا   أو كن خيالا . فى الوجود . مشردا

ويلاحظ القارئ أنا وضعنا نقطا فاصلة بين فِقَر الكلام ومواقفه الموسيقية . وشوقى بلا شك نِدُّ البحترى وضريبه فى موسيقاه . وقد قال الأستاذ عبد الصبور و بعض الأدباء أخيرا إن شوقى لا يمتاز إلا بموسيقاه . . ولعلهم نسوا أن الموسيقى ووجدان الشاعر وتصويره وبيانه كل لا يتجزأ . وأن الموسيقى الرفيعة هى قوة الحس عنـد الشاعر ، هى أسـلوبه ، هى كيانه المنغّم الذى تؤثر فيه الحياة قبضا وبسطا . ويهفو النسيم على أوتاره . فيستثير شجى كل نفس من أعماقها وحناياها . ويهز كل طروب . وكل من له أذُن .

* * *

(الأهرام) فى ٩ فبراير سنة ١٨٩٢

إلى صاحب السعادة مظلوم باشا
ناظر حقانية الحضرة الخديوية

تعالى البلاغة فيـك فكيـ   ـف إذا حاول النطق محرومها
فـدون خلالك منثورها   ودون فعالك منظومها
ولكن أقـول لقـولك أنت   رفيـع البـلاغة مفهومهـا
من العـدل أنك للعدل قمت   لترضى الحقـوقُ ومهضومها
وإن إرادة جانى . دماك   لأهل الأرائك . مرسومها
لأنهـم يظلمـون الفُـلى   وأنت وحقـك مظلومهـا

(تحيـة من محب)[1]

---

(١) لا شك أن هذه الأبيات لشوقى . وقد ورد فى الجزء الرابع من (الشوقيات) ما نصه :

"وكتب إلى عزيزه وظهيره صاحب العطوفة المرحوم أحمد مظلوم باشا من باريز يهنئه بالنشان المجيدى الأول :

أقسمت لو أمر الزمان سماءه   قسمت لصدرك شمسها ونجومها
ليتيل قدرك فى المعالى حقه   حكمت المعالى أنه مظلومها"

ويوجد فى هذين البيتين وفى الأبيات الستة الأولى معان واحدة ونفس واحد .

(المؤيد) في ٢٨ أبريل سنة ١٨٩٨

نغمة البشير

بالعيد الكبير

في الجزء الثاني من (الشوقيات) صفحة ١٥١ (باب النسيب) نشر شوقي ثمانية أبيات من هذه القصيدة . وهي ليست من الغزل الجيد . ولا شك أن القصيدة تمتاز بالشعر الاجتماعي والسياسي الذي يتخلل المديح وهو جدير بالتسجيل :

في ذي الجفون مصارع الأكباد ... الله في جنب بغير عماد (١)

كانت له كبد تخاق بها الهوى ... فهوت وقد كانت من الأطواد

وإذا النفوس تطوّحت في لذة ... كانت جنايتها على الأجساد

نَشْوَى وما يُسقَين إلا راحتي ... وَسْنَى وما يُطعمن غير رقادي

ضَعْفَى وكم أبلين من ذي قوة ... مرضى وكم أفنين من عُوّاد

يا قاتل الله العيون فإنها ... في حَرِّ ما نصلى الضعيفُ البادي

قاتلن في أجفانهن قلوبنا ... فصرعنها وسلمن بالأغماد

وصبغن من دمها الخدود تنصلا ... ولقين أرباب الهوى بسواد (٢)

والهدب أرأف بالقلوب وإنما ... يَتِد السلامُ بأوهن الأوتاد (٣)

يا ساقيّ تخيرا صرف الأسى ... أو فامزجا كأسيكما بسهاد

فلعل بعض الهم يخلف بعضه ... فأرى بذلك راحة لفؤادي

مالي تعالجني المدام كأنما ... عقلي بواد والمدام بوادي

هذا الزجاج ولي فؤاد مثله ... ريان من هذي السلافة صادي (٤)

صدعت حواشيه الهموم بنابها ... واللب من صدع على ميعاد (٥)

---

(١) في رواية الديوان (في مقلتيك مصارع الأكباد) ولكن (في ذي الجفون) أحلى سيما وأنه توجد إشارة إلى الجفون في البيت السابع المتصل معناه بالأول . وقد نشر شوقي في مؤيد ٣١ يناير سنة ١٨٩٤ قصيدة مطلعها :

في ذي الجفون صوارم الأقدار ... راعي البرية يا رعاك الباري

(٢) معنى هذا البيت ركيك وغير سلس . (٣) وتد يتد الوتد (كضرب يضرب) : ثبته وتد الوتد : ثبت لازم متعد . يتد السلام أي يثبت السلام .

(٤) يريد أن الكأس تبدو ملآنة أو ريانة من الشراب ولكن زجاجها صاد غير ريان .

(٥) الحواشي : الجوانب . يريد الخمر التي في الكأس .

* * *

ما كنت أوثر أن تطول سلامتى ... فأرى المعالى حلية الأوغاد

وأرى الأعادى فى البلاد مواليا ... وأرى الموالى فى البلاد أعادى

وأيادىَ المتقدمين مساوئا ... ومساوئ المتأخرين أيادى

وأرى بنى وطنى تُفرّق بينهم ... أيدى العداة وألسن الحساد

وأشد من وقع المصاب على الفتى ... ذكر المصاب على لسان عادى (١)

* * *

عباس إنك للبلاد وإنه ... لم يبق غيرك من يقول بلادى

لولاك لم نُعمر المواسم نظرة ... كلا ولم نقبل على الأعياد

ولما توردنا لبائسة دما ... نفدى نفوسا ما لها من فادى (٢)

شغلت بنا تلك الأمور فكن لنا ... فى بحر حيرتنا المنار الهادى

وكن السعود الطاردات نحوسنا ... الغاديات بنفحة الإمداد

يأتى الشقاء على البلاد وينقضى ... وشقاء مصر مؤبد الآباد

وأرى مصيبة كل قوم فيهم ... وأرى مصيبتنا من الأفراد

من كل أرعن كاذب لا يُرتجى ... لعداوة يوما ولا لوداد

يا ابن الأولى لا ينتهى إلا لهم ... إحياء مصر وغرس هذا الوادى

ثبتوا على عهد البلاد بموقف ... ناب الثبات به عن الأجناد

والعصر يرعد والملوك حنيقة ... والفلك رائحة الشراع غوادى (٣)

فأبوا فكان العزم أكرم ناصر ... لهمُ وكان الحزم خير عتاد

والحق يُنصر حين ليس بنافع ... بأس الجيوش ودُربة القواد

فاسأل فكم من صيحة لك فى الورى ... نقلت إلى الدنيا صدى الآساد

مولاى وأبق الدهر أسلم سالم ... وتلق أعيادا بغير عِداد

تؤتى رعيتك الوفية سؤلها ... وتبلغ الأوطان كل مراد

وتفوز بالنصر المبين على العدا ... والغاصبين الحق والأضداد (٤)

وتطهر السودان من آفاته ... وتقيمه فى الأمن والإسعاد

---

(١) فى الأصل (ذكرى المصاب على لسان عادى) . (٢) إشارة إلى ذبائح العيد الكبير .

(٣) لعل فى هذا البيت إشارة إلى الحرب الأوربية التى ألبت فيها انجلترا الدول على محمد على فى سنة ١٨٣٩ .

(٤) الغاصبين الحق : الانجليز الغاصبين حقوق مصر .

وتبيد ملك الذاهبين بعزه   الصائرين بسوقه لكساد
سلطت فى تأديبهم رعدا على   رعد وجلادا على جلاد
فاندك بغيهم ببغى مثله   والله للباغين بالمرصاد [1]

شوقى

---

(١) الواقع أن حكومة المهدى وخلفائه كانت حكومة همجية كما أن الحرب التى شنها الانجليز بمساعدة المصريين على السودانيين ابتداء من سبتمبر سنة ٩٧ كانت حربا همجية . لذلك قال شوقى مشيرا إلى السودانيين والانجليز (فاندك بغيهم ببغى مثله) . ويلاحظ أن شوقى نشر فى (المؤيد) فى ١٢ أبريل سنة ٩٨ (أى قبل أسبوعين من نشر القصيدة الحالية) قصيدة عنوانها (حكاية السودان . تهنئة الجيوش المظفرة على الحدود) . وهى فى الجزء الأول من (الشوقيات المجهولة) ص ١٢٠ — ١٢٤ وفى ١٨ سبتمبر سنة ٩٨ نشر (المؤيد) فى الحوادث المحلية تحت عنوان (النبأ العظيم) ما يأتى : «وقع خبر بلاغ انكلترا لحكومة مصر بشأن السودان وأن لهم بما أنفقوا من مال ورجال حق الأولية عليه وقوع الصاعقة المحرقة على نفس كل مصرى له شعور ووجدان ... » .

(المؤيد) فى ١٣ أكتوبر سنة ١٨٩٨

تهنئة خديوية

بعد عودة الخديوى من الآستانة

" من نظم حضرة صاحب الإمضاء . ولعله يعارض بها قصيدة المتنبي المشهورة التى يقول فى مطلعها

بغيرك راعيا عبث الذئاب ... وغيرك صارما ثلم الضراب

قال حفظه الله " :

ظاهر من تحفظ المؤيد وأسلوبه فى تقديم القصيدة والإشارة إلى قصيدة المتنبي (بغيرك راعيا عبث الذئاب) أن لقصيدة شوقى أهمية خاصة من الناحية السياسية . والعجيب أن هذه القصيدة لم تنشر فى الطبعة القديمة من (الشوقيات) . وأن شوقى آختار أحد عشر بيتا من أبيات الغزل ونشرها فى باب النسيب من الجزء الثانى صفحة ١٤٤ ولم ينشر بيتا واحدا من المديح ، مع أن القصيدة فى مجموعها بغزلها ومديحها الرمزى من أبلغ شعر شوقى فى صباه . وهى شوقية عبقرية بكل معانى الكلمة .

وإنا نغتبط بنشر قطعة من هذه القصيدة لقوة مغزاها السياسى . وتمهيدا لذلك نقول : فى ٥ نوفمبر سنة ١٨٩٨ نشر مصطفى كامل فى (المؤيد) مقالا عنوانه (الأمة والأمير) جاء فيه : « احتفلت الأمة بالأمير المعظم فى العام الماضى لما عاد لعاصمة بلاده حتى أوعز صنائع المحتلين إلى سفلة الأخلاق بالطعن على الحضرة الخديوية فكانت قصيدة السفهاء وما كان من أمرها ... » .

وقد تكلمنا عن قصيدة السفهاء هذه فى صفحة ١١٤ — ١١٥ من هذا الجزء الثانى من (الشوقيات المجهولة) وقلنا إن القصيدة كانت هجوا فى عباس ومدحا فى الإنكليز وإنها كانت ترمى إلى الإيقاع بين الخديوى والخليفة لأن الخديوى كان يقلق بال الإنجليز بتضامنه مع الحركة الوطنية المصرية ومع الخلافة أمام أعداء الملة والبلاد :

على قدر الهوى يأتى العتاب ... ومن عاتبت تفديه الصحاب

صحوت فأنكر السلوان قلبى ... على وراجع الطرب الشباب

وللعيش الصبا فإذا تولى ... فكل بقية فى الكأس صاب

وما رثت له عندى حبال ... ولا ضاقت له عنى ثياب[1]

كأن رواية الأشواق عود ... على بدء وما كل الكتاب

إذا ما اعتضت عن عشق بعشق ... أعيد الكأس وامتد الشراب

وكل هوى بلائمة مشوب ... وحبك فى الملامة لا يشاب

لأنك أنت للأوطان كهف ... وأنت حقوق مصرك والطلاب

فأهلا بالأمير وما رأينا ... هلالا تستقر به الركاب

ولا شمسا (برأس التين) حلت ... وفى الدنيا ضحاها واللعاب

تغيب عن البلاد وعن بنيها ... وما لك عن قلوبهم غياب

أظلتك الخلافة فى ذراها ... وبرت سوحها بك والرحاب

وفتح للرعاية ألف باب ... هناك وسد للواشين باب

وردنا الماء بينكما نميرا ... وأظمأ من يريبكما السراب

وما وجدوا لمفسدة مجالا ... ولكن تنبح القمر الكلاب

فعيشا فرقدين من الليالى ... وعاش خلائق بكما وطابوا

نداء الخلف بينكما عقيم ... وداعى الله بينكما مجاب

شوقى

---

(١) الثياب النفس (وثيابك فطهر). هذا البيت والذى قبله أغفلهما شوقى .

(تهنئـــة)

اشتهر من هذه القصيدة هذان البيتان فى المديح :

مولاى عبدك عبد الناس كلهم   وأنت جامعة الأجناس والملل
إن الملوك على الكرسيّ مربعها   وأنت تجلس فى الأسماع والمقل

ومن روائع الغزل قوله يصف موقف التسليم :

ودعتكم وفؤادى خافق بيدى   والبين يأخذ من حولى ومن حِيَلى
من ظَمِ البين نحسوا ورحنا   قاومات برقاب خُشّـع ذُلُل

وقوله :

لو كنت موسى يخط اليمُّ لى سُبُلاً   حملتكم فى عيون سمحة السبل

ومن صيحاته القوية لاستفزاز الهمم وإيقاظ الشرق النائم :

قـــل للشارق موتى غير راجمة   ففى الممات شفاء الجهل والكسل
فـا نعلّتها والموت مدركها   إلا كما أمن المسلول للأجل

والعجيب أن شوقى وهو يجارى القدماء فى الغزل مثلا ويضرب فى أرضهم ومذاهبهم يجد من المعانى الجديدة ما يغبطه عليه المتعصبون للقديم و « لعمود الشعر » . ولا ريب أن وسائل السفر والوداع واللقاء ومناظرها قد تتغير فى كل بلد وفى كل عصر ولكن العاطفة التى تهيجها الذكرى والحنين ويُشجيها اللقاء والوداع لا تتغير . والشعر عاطفة ووجدان . .

* * *

بين الملامة فيكم والهـوى الجلل   لى موقف الدمع بين العـذر والعذل
إذا سمعت لقلبى زاد بى كلَفى   وإن سمعت لغـير القلب لم أخَل [1]
والحب باللـوم كالدنيـا لصاحبها   لم يخـل من راحة فيها ومن ملل
ودعتكم وفؤادى خافق بيـدى   والبين يأخذ من حولى ومن حيـلى
وما توهمت قلبى قبـل فرقتكم   يهب مثـل هبوب الركب والإبل
لما أبين النـوى وكُلن بى صدقا   بين الشـفاعة فى الأحباب والسُّؤَل [2]

---

(١) سمع الله لمن حمده أى أجاب حمده وتقبله . وسمع له : أطاعه . خال الشيء خيلا وخيلانا وخيلولة ظنه . وفى المثل من يسمع يخل .

(٢) الشفاعة : السؤال فى التجاوز عن الذنوب من الذى وقعت الجناية فى حقه . والسؤلة : ما سأله يقال « أنت سؤلتى من الدنيا » . والسؤلة كهمزة : الكثير السؤال ، يقال رجل سؤلة أى كثير السؤال .

مَن علَّم العِيس نجوانا ورحمتنا ... فأومأت برقاب خُشَّع ذُلُلِ [1]

ردّوا إلى اليأس مضنى لاحراك به ... لعل فى اليأس بُرءًا ليس فى الأمل

لو تبصرون وقوفى فى منازلكم ... رأيتم طللا يبكى على طلل

بليت مثل بلاها وارتدت سقمى ... كلا اللَّبُوسين فيكم أجمل الحلل [2]

لو كنت لازار أعطى يوم منبعث ... بذلته فوق عمرى غير مبتذل

أو كنت يوشع تجرى الشمس طوع يدى ... طمعت منكم غداة البين فى المهل

أو كنت عيسى أعيد الميت سيرته ... أعدت للسقم جسما مات بالعلل

أو كنت موسى يخط اليم لى سبلا ... حملتكم فى عيون سمحة السبل

* * *

مولاى عيدك عيد الناس كلهم ... وأنت جامعة الأجناس والملل

وما صنوف الرعايا حافلين به ... إلا كبيت برب البيت محتفل

وأنت كالشمس لم يخصص بها أفق ... وأنت كالبدر لم يرهَن على نزل [3]

إن الملوك على الكرسىّ مربعها ... وأنت تجلس فى الأسماع والمُقَل [4]

حللت من كل نفس فى سريرتها ... وقمت منها مكان البِشر والجذل

آل الندى لك والأمثال سائرة ... ولو تقدمت ما زادت على مثل

إن يسبقوك لفضل أو لمكرمة ... فالسبق فى الدهر لا فى الفضل للأُوَل

وأنت لولا تليد الملك تحرزه ... من الشمائل فى ملك وفى خول

بلوت فى الجاه قوما والغنى نفرا ... فما تهيبت كالأخلاق فى الرجل

فهن من كل جاه أو غنى بدل ... وما لهن إذا أخطأن من بدل

قل للشارق موتى غير راجعة ... ففى الممات شفاء الجهل والكسل

فما تعلاتها والموت مدركها ... إلا كما أمن المسلول للأَجل

إن الشعوب إذا ما أدبرت حبست ... مالا عن البر أوعلما عن العمل

ونام كل نصوح عن مجاهلها ... ولو أراد هدى أعيا فلم يقل

شقيت بالشعر فى ناس أعوذ بهم ... من أن يقول الأعادى شاعر الهمل

وضعت بالحكمة الغراء فى زمنى ... كما يضيع شعاع الشمس فى الوحل

---

(١) ذل البعير ضد صعب يقال « ذلت له القوافى » سهلت . فهو ذاول جـ ذلل وأذلة . ذلل الكرم مجهولا : دليت عناقيده وقيل سوّيت . وفى القرآن «وذللت قطوفها تذليلا» . (٢) اللبوس ما يلبس وأنشد ابن السكيت «والبس لكل حالة لبوسها» . (٣) رهن الشىء بالمكان : ثبت و — دام . والنزل (بضمتين) ماهيء للضيف أن ينزل عليه . و — القوم النازلون . (٤) ربع الرجل وقف وانتظر وتحبس .

* * *

مولاى أحمد هذا لا سمىٌّ له ... وأنت كل سيوف العصر والدول

لما رأيتك تاج القرن مدّخرا ... قلّدتك الماس من مدحى ومن غزلى

وبشرتنى المنى فيما تحدثنى ... بمظهر لسرير النيل مقتبل

وسؤدد لأميرى فوق سؤدده ... وما المزيد الذى أرجو بمحتمل

وإنما أنا سار فى سنا قمر ... يقول للبدر فى غاياته اكتمل

شوقى

تذكار مولد ولى العهد

" يحتفل اليوم سمو الأمير بتذكار مولد ولى عهده الأمير محمد عبد المنعم للسنة الخامسة من ذلك التاريخ ، وقد هنأ شاعر مصر فى هذا العصر أحمد بك شوقى الجناب العالى الخديوى[1] بقصيدة أودع فيها من لطيف الشعور وشرف المدح وجمال المخاطبة لولى العهد مع السهولة والرقة اللائقين بهذا المقام ما يوجب له الفخر بأنه شاعر وطنه وشاعر كل أمر ذى بال يحدث فيه . قال أعزه الله " :

أسلم محمد سيدى ... للوالدين وعش لمصرا
وخذ النجابة كلها ... عن أنجب الآباء طرّا
وانهض ، فُديت ، بعهده ... مئة وقم بالـ[illegible] أخرى
كن فى الإمارة شبه كسرى ... ثم كن فى الملك [illegible]
إن البلاد لها غد ... يرجى فكن غدها الأغرّا
لا تيأسن فإن ربّـ ... ـك محدث إن شاء أمرا[2]
قَسَما بمن أوصى الفتى ... بالأهل والأوطان برا
إنى أحبك فى على ... والحسين ومن سَطرا[3]
علما بأنك ذخرهم ... وأبوك لى ما زال ذخرا
إن السنين حلفن لا ... حالفن غير صباك نضرا
أفنيتها خمسا فخمسا ... فأبْلِها عشرا فعشرا
فى ظل أفضل جدّة ... ملأت سماء النيل طهرا

---

(١) الواقع أن التهنئة والخطاب موجهان إلى ولى العهد .

(٢) هذا البيت والبيت السابق من خير ما يقال فى هذا الموقف : حاضر مظلم وغد لا يعلمه إلا الله لأن الإنجليز كانوا يعملون على جعل مصر مستعمرة بريطانية وتأبيد الاحتلال .

(٣) على وحسين ابنا الشاعر .

(الجوائب المصرية) — لصاحبها خليل مطران — في ٧ فبراير سنة ١٩٠٦ :

تهنئة العيد

« مرفوعة لأعتاب الخديوى المعظم حفظه الله »

« بحترية[1] المبنى أحمدية المعنى لشاعر مقامه السامى »

العيد علّل فى ذراك وكبّرا ... وسعى إليك يزف تهنئة الورى

وافى بعزك يا عزيز مهنئا ... بدوام نعمتك العباد مبشّرا

نظم المنى لك كالقلادة بعدما ... نثر السعود حيال عرشك جوهرا

لاقى على سعد السعود صباحة ... وجه تهلل كالصباح منوّرا

سمحا تراه ترى العناية جهرة ... والحق أبلج فى الجبين مصوّرا

والله توّجه الجلالة والهدى ... والعز والشرف الرفيع الأكبرا

عرفات راض عنك يا ابن محمد ... والذاكرون الله فى تلك الذرى

نشروا الثناء على الإمام تمسكا ... وعليك من بعد الإمام معنبرا

ملأوا ربوع المعجزات ضراعة ... لله أن يرعى الهلال وينصرا

ويعزّ ملككما ويلحظ أمة ... أغرى الزمان بها الصروف تنكّرا

لم تنقص الأيام من إيمانها ... من سنّة الأيام أن تتغيرا

يا أيها الملك العزيز تحية ... هتف الأنام بها لعزك مكبرا

تخذوا المنابر فى ثنائك جمة ... واختار شاعرك الثريا منبرا

إن لم تكن نيل البلاد حقيقة ... فنداك روّاها وعدلك نضّرا

والنيل عند الظن غاية جريه ... ونداك من فوق الظنون إذا جرى

أو كلما بسط الكرام أكفهم ... بالجود أنهارا بسطت الكوثرا

لم يبق للاسلام غيرك مظهرٌ ... فى مصر لا عدمت لعرشك مظهرا

---

(١) للبحترى قصيدة من نفس البحر والروى كلها رقة وعذوبة وسلامة مطلعها :

لله عهد سويقة ما أنضرا ... إذ جاور البادون فيه الحضرا

وبقيت في الملك السعيد مؤيدا ... بالله والهادى البشير مظفرا [1]
ملك حسودك فيه ليس بعاقل ... من ذا يعادى الله والمدثرا [2]

شوقى

---

(١) الهادى البشير النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) قال تعالى في سورة المدثر (يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر) . جاء في شرح البيضاوى : « المدثر أى المتدثر وهو لابس الدثار » . روى أنه عليه الصلاة والسلام قال : كنت بحراء فنوديت . فنظرت عن يمينى وشمالى فلم أر شيئا فنظرت فوق فإذا هو على عرش بين السماء والأرض — يعنى الملك الذى ناداه — فرعبت فرجعت إلى خديجة فقلت دثرونى فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر . وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسية .

(المواكب الملكية) فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٠٦

تهنئة بالعام الجديد

تسـذرت الركائب والمطايا ... فأوفدنا القلوب إلى « السلوم »

تحث صميمها[1] حبا وشـوقا ... إلى الملك الكريم بن الكريم

تهش لك الصحراء حتى ... غدت ومضاؤها برد النعيم

مررت بها فهشت من بلاها ... كعيسى يوم مر على الرميم

وأنت النيـل إحياء ونفعا ... تبث البرء فى البـلد السقيم

* * *

تهنئك البلاد ومن عليها ... بعام هل ميمون القدوم

يزيد هلاله حسنا وحسنى ... هلال من محياك الوسيم

تطلعت السنون إليك حبا ... وتاه بك الجديد على القديم

فعش ماشئت من عدد جدادا[2] ... يجيد الدهر كالعقد النظيم

مباركة أهلتها لمصر ... وللكرسى والنجل الفخيم

* * *

بعثت سرائرى فى الكتب تترى ... إلى ملك بخالصها عليم

ودون خلاله الأرجات شعرى ... وإن صفت المدائح من النسيم

عبدكم

(شوق)

---

(١) صميمها أى صميم القلوب . والصميم : المحض للواحد والجمع . يقال رجل صميم ورجال صميم . وهو من صميم القوم أى من أصلهم وخالصهم . (٢) يريد سنين جدادا . وهذا جمع لا أعرفه ولعله قياسى .

(الأهرام) فى ٣١ يناير سنة ١٩١٠

سبوع الحج

(شاعر الأمير يهنئ أم أفندينا وكريمتيه النجيبتين)

" أفاض حج مولانا الأمير وحج صاحبة الجلال والدته قرائح الشعراء . وكان سعادة أمير الشعراء فى طليعة الناظمين فوشّى تذكارا لحج الأمير ذلك الطراز طراز البردة (١) . واليوم جادت قريحته بتهنئة الوالدة وكريمتى سمو الأمير بمناسبة الحج " . قال :

أُمّ الملائك والبدور ... أهلا بهودجك الطهور
تمشى الجياد به ضحى ... مشى المدلّ به الفخور
لمـا أقلّك فاض من ... نور الزيارة والمزور (٢)
عَطِر الستور كأنما ... قد صيغ من تلك الستور (٣)
الله أكبر إذ طلعـ ... ـت على المدائن والثغور
أقبلتِ كالرزق الكريـ ... ـم وكالشفاء وكالسرور
الشمس تُزهر فى السما ... ء وأنت أزهر فى الخدور
وممالك ابنك تزدهى ... ورعية ابنك فى حبور
فى موكب جم السنا ... والعز (مكّىّ) العبير
لفت الزمانَ جلاله ... بين التخطر والسفور
الناس فوق طريقه ... كزحامهم يوم النشور
يمشون نحوك بالمصا ... حف والذبائح والنذور
فكأنما قد بشّروا ... بالطهر عائشة البشير (٤)
طافوا بهودجها اغتنا ... مًا للمثوبة والأجور
يتساءلون عن العنا ... ية كيف منّت بالظهور

---

(١) إشارة إلى (طراز البردة) أو (نهج البردة) التى نشرها (المؤيد) فى ٢٦ يناير سنة ١٩١٠ . وقد جارى فيها شوقى البوصيرى . طبعت على حدة فى كتاب بتقديم محمد المويلحى وشرح الشيخ سليم البشرى (١٩١٠) . عدد أبيات القصيدة مائة وتسعون (١٩٠) بيتا .

(٢) من مرادفة للباء . يقول : لما أقلك الهودج فاض بنور الزيارة والمزور.

(٣) فى هذا البيت غموض .

(٤) الطهر : انقطاع دم المرأة . والبشير الرسول .

وعن السعادة هل تجر ال ... ذيل فى الجم الغفير
ولقد أشرت براحتيـ ... ـك فكبّروا ليـد المشير
قال اليتيم عرفتها ... وعرفتها بصر الفقير
هلا مددت يد النوا ... ل الجم للقبل الكثير

* * *

يا بنت الحامى الذى ... بهر الخلائق بالمهور [1]
وبراحة فوق السحا ... ب وفوق مقدرة البحور
كان المعظم فى الحوا ... قين . الأمير على الصدور
أما العزيز (محمد) ... فثناؤه نور العصور [2]
ضربت به الأمثال فى ... فضل وفى كرم وخير
و (فتاك) عند الحادثا ... ت أقر حلما من ثبير
الدين والدنيا له ... فضل من الله القدير
ملء المحافل ملء عيـ ... ـن زمانه ملء السرير
نسب خطير زانه ... ما نلت من حسب خطير

* * *

« أمن الشموس (حفيدتا ... ك) البرتان أم البدور »
« أم من كريمات الحسيـ ... ـن صباحة يوم النفور » [3]
« فتحية وعطية ... نور يسير بجنب نور »
« هذى كما الملك الكريـ ... ـم وتلك كالفلك المنير »
« حوريتان على الثرى ... لم تتركا برا الحور »
« تستأنسان بموحش الـ ... ـفلوات من بعد القصور »
« والدين أليق بالإنا ... ث فهن مدرسة الذكور »
« وأراه أجمل إن حرصـ ... ـن عليه فى العمر النضير »
« يكسو الفتاة على الجما ... ل جلالة الشيخ الوقور »

---

(١) الحامى باشا والد الممدوحة وصهر السلطان .

(٢) الخديوى محمد توفيق زوج الممدوحة . هو أول خديوى خان قضية بلاده . والبون شاسع بينه وبين الممدوحة فى نقاء السريرة وكرم المحتد .

(٣) إشارة إلى خروج الحسين من الحجاز مع أهله إلى العراق حيث قتل .

* * *

« يا أيها الملكات با قِ ذكركنّ على الدهور »
« سرتم إلى خير البيو ت وزرتمو خير القبور »
« فذهابكم وإيابكم فى ذمة الله الشكور »

شوقى

تعليق

نشرنا هذه القصيدة كاملة على الرغم من ركاكتها، ولو كان فيها بيت واحد يستحق الذكر لاخترناه واكتفينا به . وهذه القصيدة تغنينا عن نشر بقية القصائد العشر التى نظمها الشاعر فى بداية القرن الحالى وظهرت فى الصحف فى أوقات مختلفة ولكننا طويناها لأنها مجرد نظم كما أنها ليست فى مستوى شعر شوقى فى صباه . وأمثالها كثير فى الجزء الأول القديم من (الشوقيات) . وقد أرخنا معظم قصائده ، ولم يكن هذا التأريخ بالأمر الهين . فليرجع إليها الدارسون، إذا شاءوا، فقد مهدنا لهم الطريق وأظهرنا معالمه تأريخا وبحثا .

وظاهر أن شوقى تعجل فى نظم هذه القصيدة (سبوع الحج) وأنه كان مجهد القريحة مكدود الخاطر . فقد ظهرت قبلها بخمسة أيام فقط قصيدة (نهج البردة) . وهى من أعظم وأجل قصائد شوقى وأطولها . .

وقد نظم شوقى من نفس البحر والروى فى ٢٠ مايو سنة ١٩٠٩ قصيدته الشهيرة :

سل يلدزا ذات القصور هل جاءها نبأ البدور

ولكن الموسيقى فى القصيدتين ليست واحدة ، وإن كان الوزن واحدا ، لاختلاف النفس الشعرى الذى يسمو بالموسيقى ويهبط بها لأن الشعر والموسيقى ليسا مجرد لفظ ورنين وتنغيم . فرنة الحزن أو الطرب أو الرضى تبدو فى حدودها الضئيلة كمجرد نبرة أو صيحة ولكنها فى الواقع ذات أبعاد وحدود لا نهاية لها لأنها تخرج من أعماق القلب السحيقة وتذهب صُعُدا فى آفاق النفوس الهائمة كالطائر الذى يفلت من القفص وينطلق شاديا فى الفضاء .

إن شعر المتنبى فى مجموعه وشعر فكتور هوجو ضجيج منغم أقرب إلى الطبل منه إلى الموسيقى ولكن الشاعر، أى الموسيقار، هو البحترى، هو لامرتين، هو شوقى .

وقد صدق المعرى فى قوله : المتنبى حكيم والشاعر البحترى . لأن الحكمة إذا أحكم صياغتها انطوت على اللفظ والموسيقى وأدمجتهما فى ثناياها وانطلقت من وعائهما إلى النفس .

لا تستأذن ولا تمهل . ولكنها تسيطر . فلا تجد الأُذُن مهلة تستوقفها فيها . وهذا لا يمنع أن يند بعض شعر المتنبي عن القاعدة . فمثلا قصيدته فى شعب بوان التى يقول فيها :

يقول بشعب بوّان حصانى أعن هذا يسار إلى الطعان

قطعة شعرية موسيقية بحترية لامرتيلية شوقية . وللمتنبى أبيات تجمع بين الحكمة والغزل والموسيق كقوله :

زودينا من حسن وجهك مادا م فحسن الوجوه حال تحول
وصلينا نصلك فى هذه الدن يا فإن المقام فيها قليل

فانظر إلى النبرات المستطيلة فى التقطيع (زودينا — مادام — الوجوه — وصلينا — الدنيا — المقام) والنبرات القصيرة التى تتناسب مع مقتضى الحال : (حال تحول — نصلك — فيها قليل) .

ولا مراء فى أن المتنبى والبحترى هما أكبر شاعرين تأثر بهما شوقى وجاراهما فى شعره .

القسم السادس

شعر الغناء

تمهيد

كان الغناء يساير النهضة الأدبية والشعرية الجديدة منذ ميلادها فى العشر سنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر . وكان عبده الحمولى ومحمد عثمان وسلامة حجازى منشئ دولة الغناء كما كان البارودى و إسماعيل صبرى وشوقى ومطران وحافظ منشئ دولة الشعر . وكان الشعر والغناء مؤتلفين ائتلاف النهر والروض : نهر الشعر الذى يغذى الروض و يسقيه و يحييه و روض الغناء الذى يحلى النهر و يزينه .

كان لشوقى قصائد كثيرة مشهورة يتغنى بها أو ببعض أبياتها المغنون كقصيدة (إلام الخلف) وقصيدة (سلوا قلبى) وقصيدة (علموه كيف يجفو بخفا) وقصيدة (البردة) وقصيدة (سلام من صبا بردى أرق) وقطعة (أنا أنطونيو وأنطونيو أنا) وقصيدة (مضناك جفاه مرقده) وقصيدة (المشرقان عليك ينتحبان) . وهنالك قصائد وأدوار نظمها خصيصا لكبار المطربين من عبده وسلامه حجازى إلى عبد الوهاب وأم كلثوم . وأهم هذه القصائد قطعة على لسان هملت لسلامة حجازى (دهر مصائبه عندى بلا عدد) وقصيدة (سلوا كؤوس الطلا) لأم كلثوم ، و (يا حلوة الوعد ما نساك ميعادى) للسيدة ملك . . . وقد نظم لعبد الوهاب (يا جارة الوادى) و (يا شراعا وراء دجلة) و (قلب بوادى الحمى) و (منك يا هاجر دائى) . وفى هذا الباب نشرنا القصائد التى لم تنشر فى ديوانه وهى (سلوا كؤوس الطلا) و (يا حلوة الوعد) و (دهر مصائبه) . وقد نظم شوقى لعبد الوهاب باللغة العامية (بلبل حيران) و (النيل نجاشى) و (فى الليل لما خلى) و (اللى يحب الجمال) . ومعلوم أن شوقى كان يقول عن فن بيرم « لست أخشى على الشعر العربى إلا من زجل بيرم التونسى » فلما نظم شوقى هذه الأغانى صارت كزجل بيرم خطرا على الشعر العربى وأصبح هو بفضل أغانيه ذا شهرة شعبية .

* * *

وتبدو فى قصائد شوقى التى نظمت خصيصا للغناء وفى أدواره ومنلوجاته أمثال (فى الليل لما خلى) و (النيل نجاشى) و (بلبل حيران) روح الشعر الغنائى الغربى ، روح الطبيعة

والحب والوجدان . لذلك عنينا بنشرها لأن الديوان أغفلها ولم يعن بها الأدباء كثيرا مع أنها ناحية هامة من فن شوقى وعبقريته[1] .

ولا مراء فى أن معظم هذه الأدوار من وحى الأندلس البعيد[2] بجميعها تبدو للناظر المدقق كالروافد لتلك القطعة العظيمة التى نظمها شوقى فى مطلع موشحه الأندلسى (صقر قريش) :

من لنضو يتنزى ألما　　برح الشوق به فى الغلس
حن للبان وناجى العلما　　أين شرق الأرض من أندلس

---

(١) أكبر شاعر حديث أحس بالطبيعة وأحبها هو خليل مطران فى نثره وشعره يليه شوقى . وأكثر ولع شوقى كان بالطبيعة الصغرى ، بالرياض والحدائق والأطيار التى تنشأ فى كنفها . أما قصيدته فى البحر الأبيض المنشورة فى الجزء الرابع والتى قال فيها :

أمن البحر صائغ عبقرى　　بالرمال النواعم البيض مغرى
طاف تحت الضحى عليهن والجو　　هر فى سوقه يباع ويشرى
جئنه فى معاصم ونحور　　فكسا معصما وآخر عرى
وأبى أن يقلد الدر والياقو　　ت نحورا وقلد الماس نحرا
وترى الجيد والتراقم رطبا　　وجمانا حنوالى الماء نثرا
وكأن السماء والماء شقا　　صدف حملا رفيفا ودرا
وكأن السماء والماء عرس　　مترع المهرجان لهوا وعطرا

إلى غير ذلك فهى من الشعر " التقليدى " الذى لا ينم عن إحساس عميق بجلال الطبيعة وجمالها فى الجبل والبحر والشمس الغاربة والشمس الطالعة . ليس فى هذا الشعر عاطفة ولكن فيه صناعة . فيه جواهر وياقوت وماس ولؤلؤ وجمان وصدف . فيه كأن وتشبيهات لا حصر لها .

إن شعر الطبيعة الكبرى قد نجده عند شعراء الجاهلية وبعض الاسلاميين الذين جاءوا فى أعقابهم كذى الرمة . وقلما نجده عند العباسيين والأندلسيين الذين ذكروا الأشجار والرياض والأطيار كثيرا ، ولكن الطبيعة غابت عن شعرهم فكان جسما بلا روح .

وقد تصفحنا كتابا عن (الطبيعة فى الشعر الأندلسى) فعجبنا من تشدق مؤلفها بالكلام عن (الرومانتيكية) والطبيعة وما اليها بطريقة أقل ما تدل عليه أنهم يتكلمون عن عالم يجهلونه .

(٢) من وحى الأندلس البعيد أيضا قطعة (الموت) فى رواية كايوباتره التى ظهرت فى أبريل سنة ١٩٢٩ .

يا موت طف بالشراع　　واحمل جريح الحياة
سر بالقلوع السراع　　الى شطوط النجاة

* * *

شراعك القصى　　فى لجة (التبر)
كالحلم فى النفس　　يجرى ولا يجرى

* * *

يا لك من زورق　　ملاحه الأقدار
ينجو به المغرق　　من لجة الأكدار

* * *

بلبـل علمـه البين البيـان   بات فى حبل الشجون ارتبكا
فى سماء الليـل مخلوع العنان   ضاقت الأرض عليـه شبكا
كلما استوحش فى ظل الجنان   جُنّ فاستضحك من حيث بكى

* * *

فمـه القـانى على لَبتـه   كبقايا الدم فى نصـل دقيق
مدَّه فانشـق من منتبه   من رأى شِقَّ مقص من عقيق
وبكى شجـوا على شعبته   شجو ذات الثكل فى الستر الرقيق

* * *

مـدَّ فى الليل أنينـا وخفقْ   خفقان القرط فى جنح الشعر
فرغت منـه النوى غير رمق   فضلة الجـرح إذا الجرح نغر
يتلاشى نزوات فى حُـرَق   كذُبال آخر الليـل استعر
لم يكن طـوقا ولكن ضرما   ما عـلى لَبتـه من قبس
رحمـة الله له هـل علمـا   أن تلك النفس من ذا النَفَس
قلت لليـل وليـل عـواد   من أخو البث فقال : ابن فراق
قلت : ماواديه ، قال : الشجو واد   ليس فيه من حجـاز أو عراق
قلت : لكن جفنه غير جـواد   قال : شر الدمع ما ليس يُراق
نغبـط الطـير وما نعـلم ما   هى فيـه من عـذاب بَئس
فـدع الطـير وحظـا قُسما   صـيَّر الأيـك كدور الأنَس

* * *

ناح إذ جفناى فى أسر النجوم   رسفا فى السهد والدمـع طليق
أيهـا الصارخ من بحـر الهموم   ما عسى يغنى غريق عن غريق
إن هـذا السهم لى منه كلـوم   كلنـا نازح أيك وفـريق

هذا شعر « غنائى » من أعلى طراز . ولئن كانت معظم أدوار شوقى وأغانيه باللغة العامية فما فى ذكرها من بأس لأن شوقى يريد أن ينتظم قلوبنا بكل لسان و بيان . وحسب هـذه الأدوار والأغانى إنهـا تنبع من شخصية الشاعر ومن صميم وجدانه وأن فيها مسحة من شجو الطبيعة والحيـاة . كان شوقى على إتصال وثيق بعبده الحامولى وجميع خلفائه من كبار رجال الفن والغناء منذ أواخر القرن التاسع عشر فنظم لهم شعرا كثيرا فقد معظمه . فلا أقل من أن نسجل له ما استطعنا الوصول إليه قبل أن يتبدد .

سلوا كئوس الطلا

غناء أم كلثوم

هذه القصيدة نظمت خصيصا لأم كلثوم . ويقال إنها لم تغنها إلا بعد وفاة الشاعر . وقد كان شوقى فى شغل من أم كلثوم بعبد الوهاب . ولكن ذلك لم يمنعه أن يقول ، وإنى أنقل هذه الرواية عن الجليل : « لو كانت الأصوات معادن لكان صوت أم كلثوم من معدن الذهب الإبريز » . كان شوقى يقدر أم كلثوم لأنها أديبة تفهم ما تغنى . وهى تحفظ القرآن ولا تشرب الخمر . وفى غزل شوقى تلميح إلى ذلك .

سلوا كئوس الطلا هل لامست فاها   واستخبروا الراح هل مست ثناياها

باتت على الروض تسقينى بصافية   لا للسلاف ولا للورد رياها

ما ضر لو جعلت كأسى مراشفها   ولو سقتنى بصافٍ من حمياها

هيفاء كالبان يلتف النسيم بها   ويثنى فيه تحت الوشى عطفاها (1)

حديثها السحر إلا أنه نغم   جرت على فم داود فغناها

حمامة الأيك من بالشجو طارحها   ومن وراء الدجى بالشوق ناجاها

ألقت إلى الليل جيدا نافرا ورمت   إليه أذنا وحارت فيه عيناها (2)

وعادها الشوق للأحباب فانبعثت   تبكى وتهتف أحيانا بشكواها

يا جارة الأيك أيام الهوى ذهبت   كالحلم ... ... آها لأيام الهوى آها

---

(1) فى رواية أخرى (ويلفت الطير تحت الوشى عطفاها) . وهى رواية أم كلثوم المفضلة .

(2) أبلغنا الأستاذ أحمد رامى الشاعر أن أصل الرواية (ألقت إلى الليل سحرا نافرا) فوضع رامى لأم كلثوم كلمة جيدا بدلا من سحر (بفتح السين) . ولا شك أن كلمة جيدا أحلى وأنسب . جاء فى القاموس السحر الرئة يقال « كل ذى سحر يتنفس » . ويقال « بين النحر والسحر » . النحر أعلى الصدر أو موضع القلادة .

سنة ١٩٣١

يا حلوة الوعد

جاء في الديوان ، الجزء الرابع ، تحت عنوان (أغنية) : « نظمها بلبنان في صيف سنة ١٩٣١ لتغنيها إحدى القيان » . وإحدى القيان هذه هي البلبلة الشادية السيدة ملك . وقد نظم شوقي الأغنية لها . وهي في الديوان مضطربة النسق مؤلفة من اثنى عشر بيتا فقط . وبالرجوع إلى السيدة ملك حصلنا على نص القصيدة كاملا. وكان شوقي قسمها إلى أغنيتين :

(الأغنية الأولى)

بي مثل ما بك يا قمرية الوادي ... ناديت ليلى ، فقومي في الدجى نادي

وأرسلي الشجو أسجاعا مفصلة ... أو ردّدي من وراء الأيك إنشادي

تلفت الروض لما صحت هاتفة ... كما تلفتت الركبان بالحادي

كم هاج مبكاك من مجروح أفئدة ... تحت الظلام ومن مقروح أكباد

لا تكتمي الوجد فالجرحان من شجن ... ولا الصبابة ، فالدمعان من واد

(الأغنية الثانية)

يا حلوة الوعد ما نسّاك ميعادي ... عن الهوى أم كلام الشامت العادي

كيف انخدعت بحسادي وما نقلوا ... أنت التي خلقت عيناك حسادي

طرفي وطرفك كانا في الهوى سببا ... عند اللقاء ولكن طرفك البادي

تذكري هل تلاقينا على ظمأ ... وكيف بلّ الصدى ذو الغُلة الصادي

وأنت في مجلس الريحان لاهية ... ما سرت من سامر إلا إلى نادي

تذكري منظر الوادي ومجلسنا ... على الغدير كعصفورين في الوادي

والغصن يحلو علينا رقة وجوى ... والماء في قدمينا رائح غاد

تذكري نغمات ههنا وهنا ... من لحن شادية في الدوح أو شادي

تذكري قبلة في الشعر حائرة ... أضلها فمشت في فرقك الهادي

وقبلة فوق خد ناعم عِطر ... أبهى من الورد في ظل الندى الغادي

تذكري قبلة من فيك أجعلها ... من اللقاء إلى أمثاله زادي

تذكري موعدا جاد الزمان به ... هل طرتُ شوقا وهل سابقت ميعادي

فنلتُ ما نلت من سؤل ومن أمل ... ورحت لم أحص أفراحي وأعيادي

سنة ١٩٢٩

منولوج

بلبل حيران

بلبل حيران على الغصون   شجى معنًى بالورد هايم
فى الدوح سهران من الشجون   يبكى وغنى والورد نايم

* * *

سكران بغير الكاس   فى مجلس الورد
من عنبر الأنفاس   ومنظر الخد

* * *

يبص فوقه ويبص تحته   ويمد طوقه ويشم ريحته
فنن يحطه وفنن يشيل   وجناح يقوم به وجناح يميل
فى إيد الليل يلعب به   وراه الويل يا قلبه
مجروح من ساقه ومن طوقه   مايدرى بالشوق من شوقه
من دوح لدوح سهر ونوح   ياليل ده طير بدن وروح
من فرع غصنه ع الورد مال   وراح يمين وجه شمال
قال له يا سوسن يا تمر حنه   يا ورد أحسن من ورد جنه
مين بالفرح لونك مين   ومن الشفق كونك مين
يا ريحة الحبايب يا خد الملاح   لشوكة جمالك وضعت السلاح

* * *

تبارك اللى خلق ظلك من الخفة   واللى كساك الورق ولفه دى اللفه
زى القبل ولفة شفه على شفه   ياورد فوق لا الجناح ينهض ولا الجرح يرقى (١)

* * *

تشوفنى وقت الصباح   جسد على الأرض ملقى
أموت شهيد الجراح   ويعيش جمالك ويبقى

(١) رقا الدم والدمع جف وسكن وانقطع .

زجل

النيل نجاشى (١)

النيل نجاشي حليوه واسمر
عجب للونه دهب ومرمر
أرغوله فى إيده يسبّح لسيده
حياة بلادنا يا رب زيده

قالت : غرامى فى فلوكه وساعة نزهه ع الميه
لحت ع البعد حمامه رايحه على الميه وجايه
وقفت أنادى الفلايكى تعال من فضلك خدنا
رد الفلايكى بصوت ملايكى قال : مرحبا بكم مرحبتين
دى ستنا وانت سيدنا هيلا هوب هيلا
صلّح قلوعك يا ريس هيلا هوب هيلا

جات الفلوكه والملاح ونزلنا وركبنا
حمامه بيضه بفرد جناح تودينا وتجيبنا
ودارت الألحان والراح وسمعنا وشربنا
هيلا هوب هيلا

---

(١) جاء فى كتاب (أنغام من الشرق ، محمد عبد الوهاب) صفحة ٣٣ تحت عنوان (سرقات عبد الوهاب) ما يأتى : « أما ما يقال عن سرقات عبد الوهاب من الموسيقى الغربية ، وخلطها بموسيقى التخت الشرقى ، والمزج بين الموال البلدى ، وبين موسيقى بتهوفن أو شوبان . فان لهذا القول نصيب من الصحة وهو أن عبد الوهاب يتأثر بقطعة غربية فيقتبسها فى بعض موسيقاه بقصد أو بغير قصد ، أو ينقلها بحذافيرها كما فعل فى قطعة « نهر الفولجا » التى غنى معها أغنية « النيل نجاشى » كما ذكر أستاذنا مصطفى أمين » .

وقد علمنا من الأستاذ كامل البنا أن هذا الزجل كان يغنيه عبد الوهاب فى فيلم الوردة البيضاء ، وأن بيرم التونسى بعد كتابة هذا الزجل خاطب أمير الشعراء بزجله المشهور الذى يقول فيه :

يا أمير الشعراء غيرك فى الزجل أصبح أميرك

إشارة إلى أبى بثينة (محمد عبد المنعم) الذى لقبه حسين شفيق المصرى بأمير الزجالين .

١٩٢٩

منولوج

في الليل لما خلي

في الليـل لما خلي — إلا من الباكي

والنوح على الدوح حلي — للبلبل الشاكي

ما يحيرك المشتاق — في الروض من الحاكي

* * *

نكون وحشه وظلمه — وليـل ما لوش آخر

وتلاقي نجمه — بانت ما تتأخر

ما النـوم يا ليل نعمه — يحلم بها الساهر

* * *

الفجـر جانا ناضر — مثل سواد الخيـله

لمع كلامح البياض — في العيون الكحيـله

والليـل سرح في الرياض — أدهم يقـزه جبيـله

* * *

هنا نواح ع الغصون — وهناك بكا في المضاجع

ليه تشتهي النـوم عيون — وعيون سـوالي هواجع

وصبح يغرق في الشجون — ويدمع ماشافش المواجع

* * *

يا ليـل أنيني سمعتـه — والشوق رجـع لي وعاد

وكل جـرح وساعته — وكل جـرح بميعاد

كم من مشارق ونضـو(١) — هجـر وبعـاد

---

(١) النضو المهزول من الإبل وغيرها . وجمعه نضاء من كثرة ما رمى به .

حفلة افتتاح معهد الموسيقى الشرقى

فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٩

نشرت مجلة (مصر الحديثة المصورة) فى عدد ٩ يناير سنة ١٩٣٠ وصفا لحفلة افتتاح معهد الموسيقى الشرقى رسميا (نادى الموسيقى سابقا) جاء فيه : «من أول يوم فكر فيه جماعة نادى الموسيقى الشرقى الهواة والمحترفون فى تشييد بناء خاص لهم . وكانت الأرض والبناء هبة من الحكومة .. حتى تم للدار ما تتطلب من أروقة ومن زخرفة وأبهة حذوا فيها كما قال أمير الشعراء (وحذوت فى هندامها الحمراء) .. وقد أعد مجلس إدارة النادى برنامجا لائقا . وافتتح الحفلة بالسلام الملكى وأعقب ذلك بنشيد المعهد الخاص بالترحيب . وهو من تأليف أمير الشعراء وهذا نصه[1] » :

فــؤاد تعطف وزار   دار الموسـيقى ركابه
روضـــة دخلها أزار[2]   وكـل روضة رحابه
فى كل ناحيـة هزار[3]   يرد بلبـــل جوابه

* * *

القـانون ســلّم   عليـك يا حامى القانون
والعـــود إتكلم   حيـا معـــز الفنون
والنـادى إتقـدم   وقال الله يصون

ثم قالت المجلة « والنشيد من تلحين مصطفى بك رضا رئيس المعهـد . ثم ألقت فرقة الموسيقى الجامعة قطعـة موسيقية باسم (الباقة الموسيقية) من وضع الأستاذ صفر على . وألقى الأستاذ على الجارم قصيدة شوقى بك أمير الشعراء . وليس بكثير على شوقى أن يظهر بمعجزاته جلالة الموسيقى وحكمتها ومكانتها من حضارة الأمم . فشوقى الذى « موّن » مطرب عصره «من عبده»[4] بالأدوار والمقطوعات المختلفة والذى ساعد نبوغ عبد الوهاب على الظهور بعد ما كان فى «صبحة» متواريا .. ليس بكثير على شوقى وهـذه مكانته فى الفن .. وهذا

(١) حذفنا المقطعة الثالثة لأنها مجرد مديح .

(٢) أزاوير بدأ آذار فصل الربيع .

(٣) الهزار (فصح العامة) العندليب .

(٤) عبده الحامولى الذى مات فى ١٢ مايو سنة ١٩٠١ ورثاه شوقى بقصيدة من أروع شعره .

منه للأصوات الشجية المرققة لأغانيه أن يقتم الفن هذه الدرة الثمينة رافعا بها الستار عن جلال الموسيقى وعرشها المقدس .

ويقول عنه في [illegible]

[illegible] ... [illegible] بالك الإيماء

وتمايلت [illegible] ... [illegible] أوتارهن [illegible]

ويقول في الرحيق :

لولا [illegible] ... [illegible] الوجود جهامة وجفاء

[illegible] الحياة وما حوت ... تجد الحياة من الجمال خلاء (1)

ومن [illegible] وضع أمير الشعراء ومن تلحينه [illegible] ...

(1) [illegible] الأبيات [illegible] القصيدة منشورة في الجزء الرابع من الشوقيات صفحة ٣٦ وما بعدها .

الليـــل بدمـــوعه جانى

صيف سنة ١٩٢٩

نشرت مجلة (الراديو المصرى) فى سبتمبر سنة ١٩٣٨ تحت عنوان (الأستاذ محمد عبد الوهاب) ما يأتى : "قام الأستاذ محمد عبد الوهاب برحلات عديدة إلى الأقطار العربية فى فلسطين وسوريا ولبنان ثم جاوزها إلى العراق ، . وتذكرنا رحلات عبد الوهاب إلى الأقطار الشرقية بحادث تظهر فيه روح الفنان بكل جلاء :

كان ذلك فى خلال رحلة قام بها المطرب الكبير إلى لبنان فى رفقة أمير الشعراء . وفى الصيف وفى يوم كان مقررا أن يحيى عبد الوهاب فى مسائه إحدى حفلات الغناء وقع بصره مصادفة على إحدى الصحف الواردة من مصر وإذا به يقرأ فيها نعى أبيه . ملك الحزن قلب الشاب وحزم أمره على السفر فورا إلى مصر وإلغاء الحفلات التى كان متعاقدا على إحيائها . وعبثا حاول أن يرفه عنه أو يثنيه عن عزمه أمير الشعراء .

رافقه المرحوم شوقى بك ، ليسرى عنه ، إلى زيارة الدكتور طه حسين الذى كان يصطاف وقتئذ بلبنان . وعرف الدكتور بوفاة والد عبد الوهاب واعتزامه السفر وإلغاء الحفلات فراح يذكره بواجب الفنان . واقتنع عبد الوهاب وغنى فى نفس الليلة التى قرأ فيها نعى أبيه .

وألهم أمير الشعراء مقطعة دفعها إلى عبد الوهاب فلحنها فورا وغناها فى تلك الليلة الليلاء كان مطلعها :

الليـــل بدموعـــه جانى   يا حمام نـــوّح ويايه
نـــوّح واشرح أشجـــانى   دا نجواك من جنس نجوايه

وعصر المطرب المكلوم الفؤاد قلبه فى التلحين والغناء ، فبلغ بأشجانه حبات قلوب المستمعين وحرك بشدوه المحزون أعمق مشاعرهم فلما فرغ من إنشاده بكى وبكى السامعون .. وتلقى التهنئة والتعزية فى وقت واحد[1]" .

---

(١) أشار أيضا إلى هذه الرحلة الأستاذ محمد أبو شوشه فى كتابه (أنغام من الشرق ، محمد عبد الوهاب الموسيقار) قال : « وقد روى لى عبد الوهاب أنه كان يصيف مع شوقى ذات عام فى عالية بلبنان » وبعد ما ذكر حادث علم عبد الوهاب بوفاة أبيه وامتناعه عن إحياء الحفلة الغنائية وتمكن الدكتور طه حسين من إقناعه بالغناء الذى « يجلو من النفس الحزن» قال : «ولما اقتنع عبد الوهاب نظم له شوقى أغنية غناها فى ليلة وفاة أبيه . ولما عاد إلى مصر —

هذه هي القطعة أو المنلوج التي نظمه شوقي :

الليـل بدمـوعه جاني ... يا حمام نــوح ويايه
نوح وانـــوح أحبابي ... [illegible] من جنس جوايه

• • •

[illegible] ... وشكيت الوجد معايه
أبكى بالدمع [illegible] ... وتنوح يا حمام لبكايه

• • •

[illegible] ... [illegible] دواك ودوايه
[illegible] الأيام [illegible] ... إن كان في الصـبر بقايه

• • •

[illegible] ... [illegible] الشوق جوايه
أنا [illegible] في [illegible] ... وأحكم في القلب أسايه

— [illegible] أغنية شوقي «في الليل لما خلى» . وقد ذكرت مجلة [illegible] ([illegible] بحسرته باكي) في صيف سنة ١٩٢٩ . [illegible] معهد الموسيقى في ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٩ . [illegible] عبد الوهاب «في الليل لما خلى» . وكان شوقي [illegible] في أثناء [illegible] المنولوجين «في الليل» و«الليل [illegible]» لينشدهما عبد الوهاب الذي كانت المنولوجات [illegible] .

منـــــولوج

اللى يحب الجمال

اللى يحب الجمال يسمح بروحه ومالـــه
قلبــه إلى الحسن مال ما للعـوازل ومالـــه

* * *

نام يا حبيبى نام سهرت عليك العنايه
يا ريت تشوف فى المنام دمعى وتنـــظر ضـــنايا

* * *

الحب طير فى الخيال شفنــا غرائب جنـونه
حاكم بأمره وشايـــل عـــلى جنـاحه قانونه

* * *

تيجى تصيده يصيدك وعين سـليم من حبـاله
وكل خالى مسيره يعـــذب الحب بالـــه

* * *

ياللى ماذقت الغـــرام من العيون السلامـه
إسـلم بروحك حرام دى عين تقيم القيامه

* * *

الإسـم عين وتلاقيهـا قـدح وخمـــره وساق
وصحبــة الرمش فيهـا من بابل الســـحر باق

دور

ياما آنت وحشني [1]

أبلغني الأستاذ محمد عبد الوهاب أن الشيخ [illegible] نظم هذا الدور لعبده الحمولي :

(مذهب — جازكار)

يا ما آنت وحشني وروحي فيك	يا مئانس قلبي لمين أشكيك

* [illegible] في [illegible] يهديك *

ربلغ الصابر أمله	أنا حالي في بعدك لم يرضيك

دور

كم [illegible]	[illegible] منصف وتلك وديت

* تشوى [illegible] *

يا قلب أنت مسمول لك إيه	هو صبر جرى وإلا آنجنيت

دور

كيد العوازل [illegible]	بس اسمع شوف
دا انت مالكني من قلبي	والّا بالمعروف
[illegible] تعالى شوف	[illegible] العذول دايما مكشوف
وانا بالصبر ابلغ أمل	يا ما نسمع بكره وبعده نشوف

---

(1) في (تراثنا الموسيقي) هذا الدور منسوب للشيخ محمد درويش .

شبكت قلبي [1]

شبكت قلبي يا عيني شوف بقى مين يحله
النوم بينك وبيني امتى يجيني وأول له

* * *

يا قايتني لسهدي على كيفك تعالا لى والا ابعت طيفك
توحشني وأنت ويايا وأشتاق لك وعنيك فى عنيا
وأذلل والحق معايا وأجى أعاتبك ما تهونش عليا

موال

وطن جمالك فؤادي

من كلام أحمد شوقي بك ويغنيه الأستاذ محمد عبد الوهاب :

وطن جمالك فؤادي يهون عليك ينضام شهد معالم ودادي وتضيع الأعلام
يادي الحبايب شوف فرصة اللوام اللي ما يعرف الصادي تعرفه الأيام

---

(١) أخبرني الأستاذ كامل البنا أن هذه الأغنية الرائعة هي أول أغنية نظمها شوقي لعبد الوهاب .

أغنية لم تتم

طلبت السيدة ملك إلى شوقي أن ينظم لها أغنية في الليل فنظم لها المقطوعة الآتية ولم يتم الأغنية :

الناس بالليل تشكى ... ويحسن له تحكى
والليل لمين يشكى ... ويروح لمين يحكى

* * *

هواك يا ليل مثله ... ويدري خبيته
هو يا ليل قبل لي ... تكونش حبيته

(أغنية أخرى لم تتم)

روى لنا الأستاذ [illegible] لشوقي من لحن عبد الوهاب .

يا ليلة الوصل استنى ... أفرح بحبيبي وأتمتع(١)
الصبح ليه يا خده مني ... والفجر مين قال له يطلع

---

(١) قالت (السياسة الأسبوعية) في عدد ٢٠ مارس سنة ١٩٢٦ تحت عنوان (في كرمة ابن هانئ) ما يأتي: «وعدنا في عدد السياسة الماضي أن نجيء على وصف الليلة الساهرة التي أقامها أمير الشعراء احتفالا بزفاف نجله علي بك شوقي ...» ثم ذكرت برنامج الحفلة :

(القسم الأول)

موال — (قلبي غدر بي) نظم شوقي .

(القسم الثاني)

من نظم شوقي بك وتلحين محمد عبد الوهاب :

أ — موال — (يا قلبي ما حد آسى)

ب — دور —

يا ليلة الوصل استنى ... أفرح بحبيبي وأتمتع

جـ — نشيد الزفاف (دار البشاير مجلسنا) . انتهى .

وها نحن أولاء ننشر النشيد الأخير ودور (يا ليلة الوصل) . أما موال :

قلبي غدر بي ... على قلبي استغنت الله
آه من [illegible] ... ومن قلبي ومنك آه

وموال (يا قلبي ما حد آسى) فلم نهتد إليهما .

منـــولوج

أهــون عليــك

أهــون عليك تزيــد نارى ولسانى يشكى لك لم ترحم شاكى

وليــه بلحاظك ليه تضحينى وانا أبات ليالى باكى

أرى النجوم أناجيها من وجدى وان لاح البدر يواسينى

يشوف حالى ينظر الى حسنك تشوف خيال حبيبى عينى

رضيت أنا بما ترضاه يا روحى بس اتعطّف وانظــر عانى

أخاف تبختل طيف جمالك يروح ولا يجنيش تانى

* * *

كان عهدى عهدك فى الهوى . يا نعيش سَوَى يا نموت سوى

أحــلام وطارت فى الهــوى تركت مريض من غير دوا

ليه طول الجفا . ليه ضاع الوفا ليه زاد الأسى . ليه روحى تهون

دور

أحب أشــوفك

أحب أشوفك كل يوم يــرتاح فــؤادى

والقلب داب من البعاد يا طــول عــذابى

يا ســيدى شوف ذُلّى إليــك الامتثال

حرام عليك ارحــم ودادى

رأيت خيــاله فى المنام ما أحــلاه يا وعدى

والفكر تاه فى دى الحال زوّدت وجــدى

يا روحى راح عقل عليك وأقــول كمان

وحياة عينيك تحفظ لى عهدى

[illegible]

في حفلة زفاف نجله الأستاذ على شوقي

دار الهنا [illegible] وليل زفافك مؤنسنا

[illegible] والله دايماً تفرح بك

[illegible] والفضل على الدنيا بخيرها

[illegible] ومش لأهلك وأصحابك

[illegible] [illegible] وعليها توب فُلّ

[illegible] ولا يقولش تتهنّى

[illegible] [illegible] وبالمعروف سيدها

[illegible] وصلّى واطلب واتمنّى

[illegible] وتقوم بدارك وشؤونها

[illegible] [illegible] ولادك والجنه

[illegible] الى أدبه . ولئن كان شوقي قد نجح ، وبلغ القمة في بعض الملوبات والأزجال المعدودات فان فن الزجل والموّال بصفة خاصة فن شعبي [illegible] ، فن « بلدي » ، فن بيرم عبقري زمانه . بل وأكثر من ذلك إنه فن الشعب وأهل الريف والصعيد، فن القرويين الذين لم يحصّلوا أدب بيرم ولكنهم بالسليقة شعراء رزقوا خيالا وقدرة على قص أحسن القصص [illegible] باللغة العامية . ولو جمعت هذه المواويل والأغاني الشعبية في كتاب لظهرت ناحية من نواحي العبقرية الشعبية المصرية أو الشرقية التي [illegible] في الغرب . حدثني الأستاذ كامل البنا أنه كان يسير مع المرحوم شوقي بالقرب من النيل فسمع شوقي [illegible] يغني موالا فبادر بإرسال كامل ليستمع إليه من كثب ويحفظ الموال . وهذا نصه :

[illegible] لاتبعه عنّك

وكُفّ [illegible] الى جرى منّك

القلب [illegible] داب ولسه ما شبعش منّك

يبات يرفرف عليك   قلبي شبيه الطير
ثلوف بغيرى   يخلّص ربنا منّك

قال شوقى « هـذا موال أندلسى » . يريد أنه لا يقل فى روعته عن موشح أندلسى .. والذى نعلمه أن الغربيين مولعون بدراسة آدابنا الشعبية (الفولكلور) أكثر منا . ولاشك أن المواويل هى كنوز لغتنا العامية وتراثها الوحيد فلا أقل من أن نحتفظ بها .

* * *

موال (١)

كل اللى حب اتنصف   وانا اللى وحدى شكيت
حتى اللى رحت اشتكى له   قال لى ليه حبيت
لا شكوى نفعت ولا يا قلب   الحبيب رقيت
احترت والله واحتار دليلى ياناس   يارب أمرك وباللّى كتبته أنا رضيت

(١) يظهر أن هذا الموال قديم مما نظمه شوقى لعبده الحمولى ثم غناه عبد الوهاب . كتبت مجلة (مصر الحديثة المصورة) فى عدد ١١ ديسمبر سنة ١٩٢٩ فى فصل عن (مقطوعات الغناء على اختلافها والمؤلفون لها) تقول : كان هم رجال الغناء قديما « الموال والدور » فأخذ المؤلفون يجهدون قرائحهم فى هذا العصر حتى أخرجوا لنا أدوارا شتى كلها طيبة المعنى وإن كانت لا تخرج عن الحب وما يتبعه من دلال وصد ووصال . ولكنهم حقا أبدعوا ، وجاءوا بما يحمدون عليه من : « فدتك أمير الأغصان » و « جبوك يا بدر التمام » و « ياطالع السعد » و « شربت الصبر من بعد التصافى » و « والكمال فى الملاح صدف » و « فريد عصرك » و « يامالك قلبى بالمعروف » مما لا حصر له .

« وكذلك الموال » . أبدع فيه القدماء . وكان له رجال يتبارون فى ميدانه ، ويأتون فيه من بديع « الجناس » ما يحار له العقل ويضطر أمامه إلى الاعجاب مثل « إن غبت تعتب وإن صنت الوداد مليت » ، و « أصل اشتباكى مع المحبوب » ، و « كل اللى حب اتنصف » وغير ذلك مما لا نستطيع عده مما أجاده المؤلفون قديما حتى لم يتركوا لنا ما نصنع له الموال » .

ومعروف أن « فدتك أمير الأغصان » لإسماعيل صبرى و « الكمال فى الملاح صدف » لخليل مطران .

موال [illegible]

مـــوال

دلنا أمير الكمان الأستاذ سامى الشوا الى هذا المـوال وهو من كلام شـوق

[illegible]

[illegible] فيمان يتلعب وعن حال الشجي ساهي

[illegible] يحنك تقول مدعي يا جـــنن العشاق

القلب [illegible]

تم الجـــزء الثانى

الجزء الثاني

(١)

الفهـــرس العام

ملحوظـة — أضيفت في آخر القسم الخـامس قصائد كثيرة كان يجب إدراجها في الأقسام السابقة بحسب تواريخها .

(٢)

فهـــرس الشـــعر — ثان

[illegible] الشعر — ثانى

صفحة	موضوع القصيدة	مطلعها	القافية	عدد الابيات	التاريخ
٣٤	الراية الحمراء [illegible]	[illegible]	لديك — ك	٧	١٩٠٥
٣٥	[illegible]	[illegible]	جرم — م	١٦	»
٣٦	عيد الفطر	ألا [illegible]	اتصل — ل	٢١	»
[illegible]	[illegible]	[illegible]	رحله — ل	١٠	»
[illegible]	[illegible]	[illegible]	أيجه — د	١١	»
[illegible]	[illegible]	يا [illegible]	جراى — ى	٤	١٩٠٦
٥٣	[illegible]	[illegible]	الجنبين — ن	٧	»
٥٤	[illegible] حسن جابر	يا ليل طل أو لا تطل	هاذن — ر	٥	»
٥٥	دنشواى	يا [illegible]	والقيل — ل	٢	١٩٠٧
٥٨	»	[illegible]	الجانب — ب	٥	»
٥٩	[illegible]	ماذا [illegible]	الزور — ر	٥	»
٥٩	[illegible]	يا [illegible] الإسلام من قدم	الأباطيل — ل	٥	»
[illegible]	[illegible]	[illegible]	هنا — ن	٢	»
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]بلا — ل	٢	»
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]يوم — م	٢	»
٦١	[illegible]	[illegible]	الزغاليل — ل	٢	»
٦١	»	قالوا الزغاليل سادتنا	روية — ى	٢	»
٦١	أحمد لطفي السيد	أهل الجريدة والذين [illegible]	عملوها — ل	٢	»
٦٢	[illegible] أبو شادى	أصبحت [illegible] التاكل	فندلى — ل	٧	»
٦٢	[illegible]	[illegible]	تنبس — س	٣	»
٦٢	(الجريدة)	[illegible]	نعلى — ل	٢	»
٦٣	»	[illegible]	مفيده — د	٢	»
٦٣	الشيخ رشيد رضا	[illegible]	سفاها — ه	٢	»
٦٣	[illegible]	[illegible]	أتقول — ل	٢	»
٦٣	[illegible]	أقول (لفارس) [illegible]	الغزالة — ل	٢	»
٦٣	[illegible] (سعد)	[illegible] قال صراحة	سنجربه — ب	٥	»
٦٤	[illegible]	[illegible] وكان الله أكرم [illegible]	جليد — د	٢	»
٦٤	[illegible]	[illegible] الكرام [illegible]	حرام — م	٢	»
٦٤	[illegible]	[illegible]	(جريدة) — د	٢	»
٦٥	إلى السيد لطفي	أيها السيد لطفي	جليدا — د	٢	»
٦٥	[illegible] القطن	اليوم [illegible]	مأتم — م	١٦	»
٦٦	أيها البحر	أيها البحر [illegible]	يتسبخ — خ	٢	»
٦٦	[illegible]	قالوا السيد [illegible]	ابريل — ل	٢	»

(تابع) فهرس الشعر — ثانى

صفحة	موضوع القصيدة	مطلعها	القافية	عدد الابيات	التاريخ
٦٦	إلى الورد كرومر	يا ورد قومك قالوا منك ما طلبوا	أوطار — ر	٢	١٩٠٧
٦٦	إلى صاحب الدولة رياض باشا	أنت الكبير على المدى	رياض — ض	٨	«
٦٧	هكذا يقال	قالوا على شيخ الأحزاب	الجديدة — د	٢	«
٦٧	أنت المقطم	قالت الحرباء قولا	سمسم — م	٢	«
٦٧	سبحانك	قالوا كرومر قد ولى	أدبر — ر	٢	«
٧٣	المقطم والمقطم	بين المقطم والمقطم نسبة	العقلاء — ء	٥	«
٧٥	وداع الشبيبة المصرية لكرومر	يا راحلا عنا وذكرك خالد	الآلام — م	١٠	«
٧٦	المؤيد والمقطم	حيرت مقالة جمت فأرعت	غاية — ى	١٠	«
٧٧	خطبة السيد الراحل	أسمعنا يا ورنج فى صده	صده — د	١١	«
٧٨	مارش وطنية	احفظ لنا يا ربنا	الوطن — ن	٦	«
٧٩	مع السلامة أيها المسافر (أرجوزة)	يا سعد إن أنت دخلت لندرة	كمنترة — ر	١١	«
٨٠	رحالك بالرفائيل	أبا الورد فى طول البلاد وعرضها	تطير — ر	٣	«
٨٢	إلى الشيخ الظلوقى	لا والزبيب ومزة من حمص	متلبص — ص	٤	«
٨٣	فتحى زغلول ودنشواى	إذا ما جمتم أمركم وهممتمو	ثمين — ن	٤	«
٨٥	إلى أحمد التهيمى	يا فارسا ترجلا	علا — ل	٧	«
٨٦	دنشواى والشهدان السعيدان	شكرتك فى أجداثها الشهداء	الأحياء — ء	٤٠	١٩٠٨
٩٢	هول كين فى مصر	آذار أقبل قم بنا يا صاح	الأرواح — ح	٥٢	١٩٠٩
٩٧	مدد يا رفاعى	نظارة العدلية	محية — ى	٤	١٩٠٨
٩٨	إلى العلامة أحمد بك زكى	شر البلية أن يكون زعيما	كريما — م	١٢	«
١٠٣	إلى الشيخ عبد العزيز جاويش	ضللتما بناء البلاد بأسطر	ضلالا — ل	٦	«
١٠٤	حملة غورست	غورست رب السكة	البركة — ك	٦	«
١٠٥	من هم الذين خلقوا المؤيد	يتنازع الأرباب فيك تمامة	ستراكا — ك	١٣	«
١٠٧	الوزارة الساقطة	عجبت لهم قالوا سقطت ومن يكن	ويسلم — م	٣	«
١٠٧	الوزارة الجديدة	يقول اليوم بطرس يا قومى	هتوفى — ﻫ	٢	«
١٠٩	ليلة رئيس النظار	على منازل فال	الليالى — ل	٢٦	«
١١١	ملتقط الدر	يقولون لم تطرى عليا وأخته	كريم — م	١١	١٩٠٩
١١١	النجم المذنب	قل للنجم بالأرزاء يتذرنا	والفلك — ك	٢	١٩١٠
١١٢	السلطانان	دار الزمان فدارا	جهارا — ر	٤	١٩٠٩
١١٦	حاشية طراز البردة	زين الملوك الصيد من يزينى	ببابى — ب	٠	١٩١٠
١١٨	إلى ضيف مصر الشريف عبد الله	يا مصر رأس التين قم فى غد	الشباب — ب		«
١١٩	إلى الورداني فى سجنه	صداح يا ملك الكنار	البلبل — ل	٢	«
١٣٠	ابتسامة الثغر المحمل	أيها الثغر طفت الأملا	المحملا — ل	٣	«
١٣٢	رثاء عبد السلام المويلحى	نعى عبد السلام على أبيكم	وطل — ل	٢٣	«

(تابع) فهرس الشعر — ثان

(تابع) فهرس الشعر — ثان

(تابع) فهرس الشعر — ثانى

صفحة	موضوع القصيدة	مطلعها	القافية	عدد الأبيات	التاريخ
[illegible]	[illegible]	[illegible]	مباتم — م	٣٢	١٩٠٤
٢٧٠	الألعاب الرياضية	يحيى فرنسا حية	أسامة — م	٥	١٩٠٣
٢٧٠	[illegible]	[illegible]	جمالا — ل	٦	١٩٠٠
٢٧١	[illegible]	[illegible]	جديد — د	٧	١٩٠٨
٢٧٢	[illegible]	[illegible]	فريدنا — ن	٣	١٩١١
٢٧٢	[illegible]	[illegible]	المظلمة — ه	٧	١٩٠٤
٢٧٤	[illegible] ١٩٢٠	[illegible]	الفاتحين — ن	١٩	١٩٢٠
٢٧٥	[illegible]	بيت الأمة اعقل العليا	عليا — ى	٢٤	١٩٢٦
٢٧٧	»	[illegible]	المذاق — ق	٢٧	»
٢٨٠	[illegible]	[illegible]	وأيدا — د	٢٧	١٨٩٩
٢٨٢	[illegible]	[illegible]	عروبها — م	٦	١٨٩٣
٢٨٣	تهنئة باليد الكبير?	[illegible] الأمجاد	عماد — د	٤٠	١٨٩٨
٢٨٦	[illegible]	[illegible] الشباب	الصحاب — ب	٢٧	»
[illegible]	[illegible]	[illegible]	المنذل — ل	٣٥	١٩٠٠
[illegible]	[illegible]	[illegible]	لمصرا — ر	١٢	١٩٠٣
[illegible]	[illegible]	[illegible]	الورى — ر	١٩	١٩٠٦
٢٩٤	تهنئة بالعام الجديد	تطوف الركائب والمطايا	السلوم — م	١٢	»
٢٩٥	مشروع الحج	أم الأفلاك والبحر	الطهور — ر	٤٠	١٩١٠
٣٠٣	سلوا كؤوس الطلا	سلوا كؤوس الطلا هل لامست فاها	ثناياها — ه	٩	١٩٣١
٣٠٣	[illegible]	في ظل ما [illegible] قرية الوادي	نادى — د	١٨	١٩٣١
٣٠٤	مونولوج	بلبل حيران على الغصون	هايم — م	١٧	١٩٢٩
٣٠٥	زجـل	الليل نجانى	وأسمر — ر	١٣	»
٣٠٦	مونولوج	في الليل لما خلى	الباكى — ك	١٥	١٩٢٩
٣٠٧	لطلبة معهد الموسيقى	[illegible]	ركابه — ب	٦	١٩٢٩
٣٠٨	[illegible]	[illegible]	وبابه — ى	٨	١٩٢٩
٣١١	مونولوج	إلى عجب الجمال	وماله — ل	١٢	١٩٢٦
٣١٢	دور	يا ما انت واحشني	أشكيك — ك	٩	١٨٩٩
٣١٣	»	شبكت قلبي يا عيني	يحله — ل	٥	١٩٢٣
[illegible]	موال	[illegible]	ينضام — م	٢	١٩٢٣
٣١٤	[illegible]	[illegible]	تحكى — ك	٤	١٩٣١
٣١٤	» »	يا ليلة الوصل استنى	أتمتع — ع	٢	١٩٢٤
٣١٥	مونولوج	أمرك عليك [illegible]	شاكى — ك	١٥	١٩٢٣
٣١٥	دور	أحب اشوفك كل يوم	فؤادي — د	٧	»
٣١٦	[illegible]	[illegible]	مؤنسنا — ن	١٠	١٩٢٩
٣١٧	موال	كل الذي [illegible]	شكيت — ث	٤	١٨٩٩
٣١٨	»	ساهي الجفون [illegible] ساهي	ساهى — ه	٣	١٩٠٨

(٣)

فهرس النثر — ثانى



فهرس الأعـــــلام

(ا)

(ب)

(ت)

(ج)

(هـ)

(و)

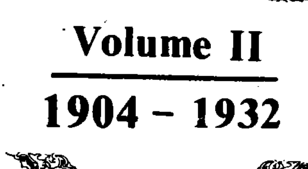
(ى)

* * *

بعون الله وجميل توفيقه قد تم طبع الجزء الثانى والأخير من "الشوقيات المجهولة"

* * *

UNKNOWN POEMS
of
AḤMAD SHAWQĪ



Volume II

1904 - 1932

Edited and Annotated

by

Muḥammad Ṣabrī, Ph.D.

Published by



Dār el-Massīra

Beirut-Lebanon